الرعاية الصحية والطبية

في القرن الأول الهجري

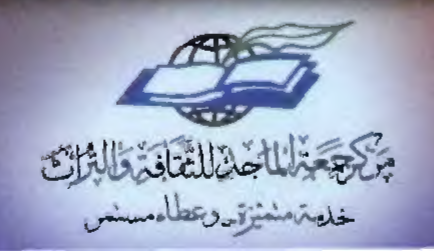
(١-١٠١هـ/ ٦٢٢-٧١٩م)

تأليف

أسماء يوسف آل ذياب

مراجعة وتقديم

قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية



الرعاية الصحية والطبية

في القرن الأول الهجري

(١-١٠١هـ/ ٦٢٢-٧١٩)



مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

ص.ب.: 55156 ـ دبي ـ الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 2624999 4 00971 / 2625999 4 00971 فاكس: 2696950 4 00971

www.almajidcenter.org - E-mail: info@almajidcenter.org

الرعاية الصحية والطبية

في القرن الأول الهجري

(١ - ١٠١ هـ / ٦٢٢ - ٧١٩ م)

تأليف

أسماء يوسف آل ذياب

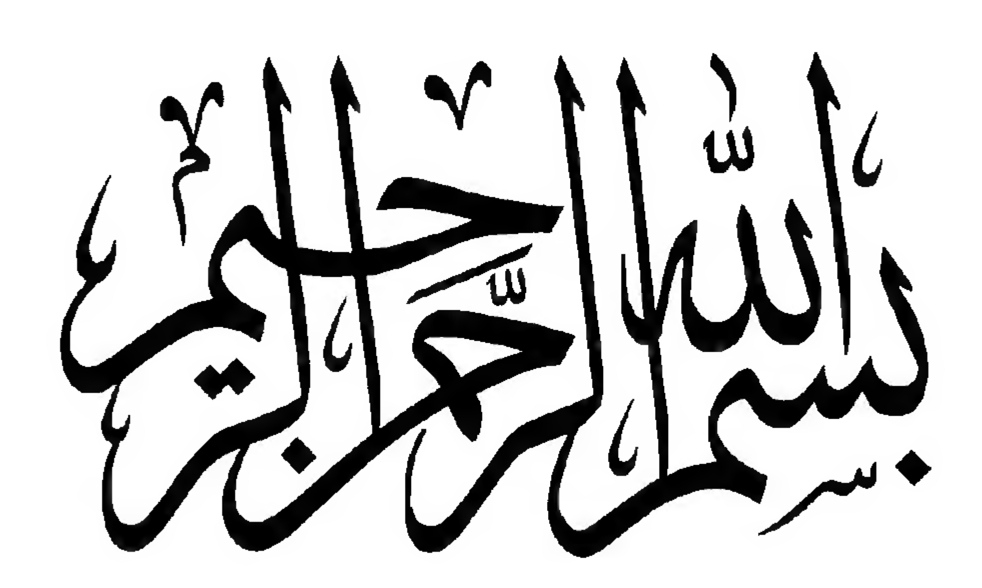
مراجعة وتقديم

قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية



مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

خدمة متميزة ـ وعطاء مستمر


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

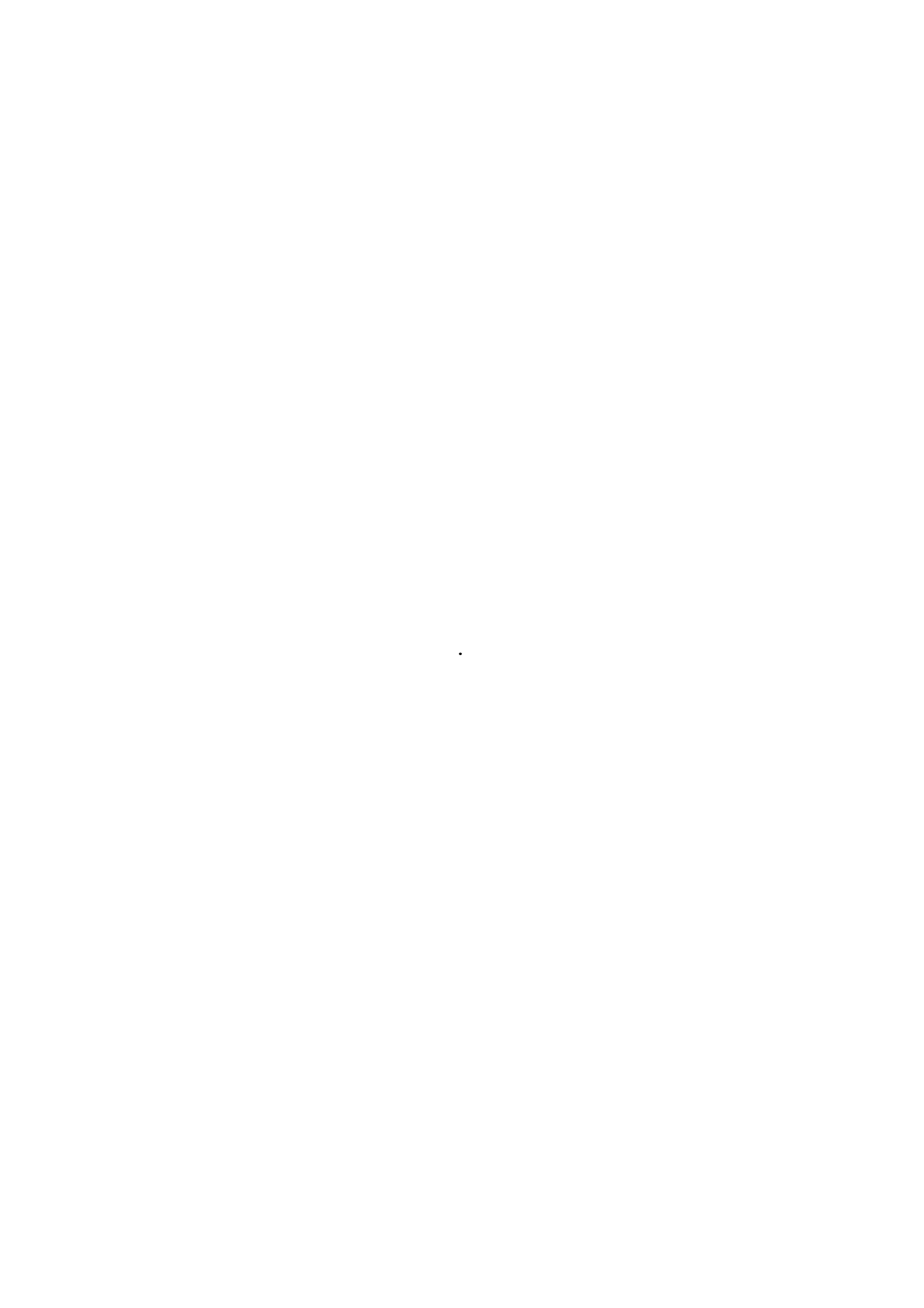
إلى روح والدي "يوسف آل ذياب" تغمده الله بواسع

رحمته.....

إلى والدتي الغالية والحبيبة أطال الله في عمرها......

إلى إخوتي وأخواتي أطال الله في أعمارهم

أهدي هذا العمل المتواضع



تقديم

الحمد لله ذو الجلال والكمال، المنان على عباده بالصحة والعافية في الحال والمآل، والحافظ لعباده بعين الرعاية في الكل والاستفصال، والصلاة والسلام على أوتي حسن المقال، وعلى آله وصحبه الخيرين الأفضال. أما بعد:

فإن الرعاية الصحية والطبية من الأعمال الجليلة التي أولاها الإسلام اهتماماً بالغاً، وخصص لها حيزاً واسعاً في خطابه الإلهي والنبوي؛ لأنه إذا فقد الإنسان صحته فَقَدَ معها القدرة على الإتيان بأعمال العبادات والطاعات على وجهها الأكمل، وعجز عن أداء الكثير من القُرُبَات والصِّلات.

وانطلاقاً من هذا الحرص الشديد للشريعة الإسلامية على صحة البشر وسلامة أنفسهم وعقولهم وأعراضهم ونسلهم من أي ضرر واقع أو متوقع، وجعل ذلك من ضمن الضروريات الخمس ومن مقاصد الشريعة الأساسية، عمل ولاة أمور المسلمين في سياستهم لشؤون الدولة الإسلامية ورعاياها على رعاية هذه المسائل في جميع تصرفاتهم، وبذلوا ما في الوسع على حماية تلك الكليات من أي خلل قد يلحقها استجابة لتوجيهات الشريعة الغراء، وقد كان هذا العمل من قبل الخلفاء والأمراء والولاة جلياً واضحاً، وبخاصة في القرون الأولى، ومنها القرن الأول الذي هو خير القرون.

وقد بيَّنت الباحثة مشكورة باستفاضة تلك المجهودات وتفاصيلها، كما تعرضت للإجراءات والتدابير التي اتخذها حكام وولاة الدولة الإسلامية في فترة الدراسة لحماية ووقاية صحة الإنسان البدنية، والنفسية، فضلاً عن المحافظة على البيئة بأبعادها المختلفة.

لكن الدراسة من الناحية الجغرافية كانت مقتصرة على الحجاز والعراق والشام ومصر، ولم تشمل كافة العالم الإسلامي كله، ومع ذلك فهي تعطي صورة واضحة ومتكاملة عن وضع الرعاية الصحية والطبية في ذلك الوقت.

وقد استخدمت الباحثة في إنجاز عملها هذا منهج الاسترداد التاريخي القائم على النقد والتحليل والمقارنة، فضلاً عن استخدام الأسلوب الكمي، كما أفصحت هي عن ذلك في مقدمة بحثها.

ولعل الجانب الممتع في هذه الدراسة هو بيانها لمدى الإسهامات التي قدمتها الحضارة الإسلامية للإنسانية، وبخاصة في الحقبة الزمنية التي ركزت فيها الباحثة دراستها.

ولقد احتوت هذه الدراسة على تمهيد وثلاثة فصول، تحدثت في الأول منها عن الرعاية الصحية والطبية في عصر الرسالة، وتحدثت في الثاني عن الرعاية الصحية والطبية في العصر الراشدي، وفي الثالث عن العهد الأموي.

ونظرا لأهمية الكتاب العلمية، رأى مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث طباعته خدمة للباحثين والدراسين في هذا الحقل، وإثراء للمعارف الإسلامية والتاريخية من خلال ما يطرحه هذا النص من قضايا جديرة بالوقوف عندها.

ولا يفوتنا ونحن نخرج هذا العمل أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا وسهَّل لنا إخراجه، وعلى رأسهم معالي جمعة الماجد رئيس المركز وكل الإخوة بالإدارة العليا.

وأخيرًا، نأمل أن تسُدَّ هذه اللبنة ثغرةً من ثغور الثقافة الإسلامية، وتكون نبراسًا لأولئك الباحثين عن كنوز المعرفة في حضارتنا الإسلامية.

الدكتور عزالدين بن زغيبة

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

المقدمة

حاولت في هذه الدراسة إبراز ألق الحضارة الإسلامية في جانب يعد من أهم الجوانب في الفاعلية الحضارية للإنسان، ألا وهي الجانب الصحي والطبي، حيث قمت في هذه الدراسة بتسليط الضوء على أهم القيم الثمينة التي تضمنتها الحضارة الإسلامية، وكيف أسقطت هذه القيم والتوجيهات في الواقع المعيش، من خلال تتبع ما قام به المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، والخلفاء الراشدون، والأمويون حتى نهاية حكم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) في مجال صحة البيئة والإنسان، فضلاً عن تتبع أبرز الإنجازات التي قام بها الخلفاء والأمراء والقادة في مجال تشجيع الطب والأطباء، وبناء البيمارستانات والخدمات الصحية المختلفة، ناهيك عن تسليط الضوء على تراجم أهم الأطباء الذين تركوا بصمات واضحة في مجال الطب والرعاية الصحية.

ولم أغفل في هذه الدراسة عن إبراز روح التسامح والتعايش من خلال المؤسسة الطبية التي فتحت ذراعيها للمسلم وغير المسلم، للرجل والمرأة بغض النظر عن اللون والجنس والدين والمذهب، حيث تنافس الخلفاء والأمراء في تشجيع الأطباء على ممارسة مهنتهم بكل حرية وتحفيزهم على الإبداع، من خلال توفير كل الإمكانات، فتطورت البيمارستانات وتقدمت الرعاية الصحية والطبية، وساهم الأطباء من مختلف الأعراق والأجناس والأديان في تقديم خدماتهم للأمة.

أهمية الموضوع.

يعد إبراز إسهامات الحضارة الإسلامية في خدمة الإنسانية في هذه اللحظة التاريخية، التي تتصاعد فيها وتيرة العولمة التي لا ترحم الضعفاء وتجتث من ليس له جذور، واجباً ملقىً على عاتق كل باحث ينتمي لهذه الأمة، وبما أن الجانب الصحي يعد من أهم الجوانب التي تهم الإنسان، في كل المراحل التاريخية، جاءت هذه الدراسة، لتدلي بدلوها في هذا الجانب الهام، من خلال تتبع إسهامات الحضارة الإسلامية في هذا الجانب في قرن يعد من أهم قرون الاحتجاج في تاريخنا الإسلامي، ألا وهو القرن الهجري الأول، قرن التأصيل والتقعيد لكل النواحي في حياة

الأمة الإسلامية، ففيه أقام الرسول (صلى الله عليه وسلم) دولته المباركة، وقدم بأقواله وأفعاله وتقريراته الأدلة والشواهد على حرص هذا الدين على الرقي بالمستوى الصحي للإنسان والبيئة، حيث يعتبر ما قدمه الإسلام في مجال الطهارة والنظافة أعظم برنامج لصيانة الصحة والبيئة بكل أبعادها.

إن تسليط الضوء على هذا الموضوع وتعريف الأجيال بما قدمه الأجداد في هذا الحقل الحيوي والهام، يسهم في تعزيز الهوية وتقوية الانتماء، وخصوصاً في هذه البقعة الجغرافية التي تشهد تمازجاً حضارياً فريداً يحتم تحصين الهوية، ويتطلب من الباحثين التعمق في هذه التجربة الحضارية والخوض فيها؛ لتقديمها للأجيال بأسلوب علمي مناسب، ومقنع وميسر، ليحفزهم على مواصلة ما انقطع من تاريخهم من خلال رصد نقاط القوة وتعزيزها، وتشخيص نقاط الضعف ومحاولة تجنب الوقوع فيها.

الحاجة للبحث.

أطمح بقيامي بهذه الدراسة إلى أن تسد ثغرة في المكتبة العربية الإسلامية، التي تفتقر للدراسات المتخصصة في هذا الحقل الهام، فعلى حد علمي، فإنه لم يتم بحث هذا الموضوع تحت هذا العنوان (الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري)، من خلال دراسة جامعية، كما أطمح إلى إبراز مشاركة علماء الأمة في إثراء المسيرة الإنسانية في هذا الحقل الكبير؛ مما يعزز حب الأجيال لتاريخهم، ويقوي من إيمانهم بهويتهم ودورهم الفاعل والريادي في المجتمع الإنساني، ناهيك عن أن دراستي هذه تطمح إلى تقديم نماذج حية على سماحة الحضارة الإسلامية وإيمانها القاطع باحترام كرامة الإنسان، ورعاية صحته وصحة كل من يشاركه الحياة في هذا الكون، من خلال فلسفة الأخذ والعطاء والتعايش والتواصل.

وقد انطلقت هذه الدراسة من محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

س١ – ما الأسس والقواعد التي أرساها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في مجال الرعاية الصحية والطبية؟

س٢- كيف ساهمت الفتوحات الإسلامية في تطور الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري؟

س٣- ما الإسهامات التي قدمها الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي تجاه الرعاية الصحية والطبية؟

س٤- كيف جسدت الرعاية الصحية والطبية مفهوم التعايش والتسامح في القرن الأول الهجري؟

حدود البحث.

سوف يتناول هذا البحث دراسة الرعاية الصحية والطبية من الناحية الزمانية في القرن الأول الهجري، أما الناحية المكانية فسوف تشمل المناطق الآتية: الحجاز، العراق، الشام، مصر، كما تقصد الدراسة بالرعاية الصحية والطبية: تلك الإجراءات والتدابير التي اتخذها حكام وولاة الدولة الإسلامية في فترة الدراسة لحماية ووقاية صحة الإنسان: البدنية، والنفسية، فضلاً عن المحافظة على البيئة بأبعادها المختلفة.

تحليل لأهم المصادر والمراجع.

لم تعثر الباحثة على دراسة علمية متخصصة أو أطروحة جامعية في هذا الموضوع، علماً بأن هناك العديد من الدراسات التي تناولت جوانب من الموضوع وخصوصاً في عصر الرسالة، ناهيك عن كتب الحضارة، والفتوح، والحسبة، وكتب الفقه، وتاريخ العلوم، والبلدانيات، والتراجم، وكتب التاريخ العام، التي عرجت على بعض عناصر الدراسة، والتي أثرت أطروحة الدراسة، والتي منها على سبيل المثال:

- بك، أحمد عيسى، "تاريخ البيمارستانات في الإسلام" ، صدر هذا الكتاب في دمشق عن المطبعة الهاشمية عام ١٩٣٩م، ويسلط الكتاب الضوء على نشأة البيمارستانات وتطورها في الدولة الإسلامية ودورها الفعال في تطور الرعاية الصحية والطبية، وهو

دراسة قيمة تتبعت تطور بناء البيمارستانات منذ فجر تاريخها، وقد انتفعت به الدراسة في أكثر من موضع إلا أن الكتاب يغلب عليه الطابع العام.

- السيد، عبدالباسط محمد، "الطب الوقائي" ، هذا الكتاب صادر من مكتبة ألفا للتجارة والنشر، مصر، ٢٠٠٢م، يتحدث هذا الكتاب عن الطب النبوي، وتوجيهاته الوقائية للمحافظة على صحة الإنسان، والمحافظة على نظافة البيئة، وقد أفادت منه الدراسة في الفصل الأول.

- الهوني، فرج محمد، "تاريخ الطب في الحضارة العربية والإسلامية" ، وهذا الكتاب صادر من مؤسسة الدار الجماهيرية للنشر، الجمهورية الليبية ، ١٩٨٦م، حيث يتناول الفصل الأول الطب في الحضارات القديمة وعند العرب في الجاهلية، والفصل الثاني يتمحور حول الحديث عن الطب النبوي والطب والتطبيب زمن الخلافة الراشدة، ويتناول الفصل الثالث الحديث عن أشهر أطباء العصر الأموي، وقد استفادت منه الدراسة في فصولها الثلاثة.

- الخطيب، حنيفة، "الطب عند العرب" ، صدر هذا الكتاب من الأهلية للنشر، لبنان، ١٩٨٦م، يتحدث هذا الكتاب عن صفات الطبيب وأخلاقياته، والطب في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والعصر الراشدي، وأبرز المدارس الطبية عند العرب والمسلمين قبل الإسلام وبعده، وعن نشأة البيمارستانات وأثرها في تطور الرعاية الصحية والطبية في الحضارة الإسلامية.

- السعيد، عبد الله عبدالرازق مسعود، "من رواد الطب عند المسلمين والعرب في القرن الأول الهجري وفي فلسطين والأردن" ، صدر هذا الكتاب من مكتبة الأقصى، الأردن، ١٩٨٨م، وقد تحدث عن تاريخ الطب والأطباء قديماً عند الأمم السابقة، وعن أبرز الأطباء الذين عاصروا النبي (صلى الله عليه وسلم)، والذين عاصروا بني أمية.

- سالم، مختار، "الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع" ، صدر هذا الكتاب من مؤسسة المعارف، لبنان، ١٩٨٨م، تناول هذا الكتاب الطب في العصر الجاهلي ونوابغه، وطب

العصر النبوي ونوابغه، وطب العصر الأموي ونوابغه، كما سلط الضوء على رعاية القوة البدنية في الإسلام، من خلال أثر التكوين البدني عند الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتحدث عن رياضة المشي، وفن المبارزة والرماية والفروسية والسباحة وفوائدها العظيمة في حياته (عليه الصلاة والسلام).

- عكاوي، رحاب خضر، الموجز في تاريخ الطب، والكتاب صادر عن دار المناهل، لبنان، لعام ٢٠٠٠م، ومن أبرز موضوعات هذا الكتاب ما جاء عن الطب في مصر الفرعونية، والطب الإغريقي، والطب في فجر الإسلام وعصر الخلفاء الراشدين، والطب في العصر الأموي ...

- الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي الإصدار الرابع والنصف؛ إذ يحتوي هذا الجامع على نحو: ٢٠٠٠٠ مجلد إلكتروني، وأكثر من ٢٢٩٠ عنوان كتاب، وأكثر من أربع ملايين صفحة إلكترونية، وهذا صدر من مركز التراث للبرمجيات، الشارقة، لعام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، وقد استفادت الباحثة من الجامع الكبير من خلال المصادر الكثيرة الموجودة فيه، والتي خدمت موضوع الدراسة والتي منها على سبيل المثال:

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت: ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، يتناول هذا الكتاب التعريف بأبرز أطباء العصور القديمة، ويتحدث أيضاً عن الأطباء والطبيبات الذين عاصروا عصر الرسالة، وفترة الخلافة الراشدة، والعصر الأموي.

- ابن جلجل، أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي (٣٣٢هـ/ ٩٤٣م)، "طبقات الأطباء والحكماء" ، يتناول هذا الكتاب الحديث عن أبرز أطباء الحضارات القديمة، سواء في الحضارة الصينية، والهندية، واليونانية، وتحدث أيضاً عن أشهر أطباء العصر الجاهلي وأطباء العصر الإسلامي حتى عصره.

- ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، "تاريخ مدينة دمشق" ، حيث يتحدث هذا الكتاب في جزئه الثاني عن اهتمام الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية بالصحة والطب.
- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن محمد العدوي (ت: ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" ، وقد تطرق الكتاب إلى الرقابة الصحية على الأسواق والأطعمة والشوارع والبيئة على العموم.
- البغدادي، موفق الدين عبداللطيف (ت: ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، "الطب في الكتاب والسنة" ، حيث تطرق الفصل الأول للحديث عن حفظ الصحة، من خلال أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) التي تدعو للمحافظة على سلامة الأبدان وعدم الإفراط في الأكل والشرب، وسلط الفصل الثاني الضوء على الأعراض النفسية وهي الغضب والهمّ والحزن، وغيرها من الموضوعات التي أفادت منها الدراسة.
- ابن قيم الجوزية، الحافظ شمس الدين (ت: ٧٥١هـ/ ١٣٥٠ م)، "الطب النبوي" ، الشارقة، ويتناول هذا الكتاب توجيهات المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الطبية والصحية، سواء في أقواله أو أفعاله للعامة والخاصة.

وغيرها من المصادر والمراجع التي تمت الإشارة إليها في حواشي الدراسة.

منهجية البحث.

يستند البحث إلى منهج الاسترداد التاريخي القائم على النقد والتحليل والمقارنة، فضلاً عن استخدام الأسلوب الكمي.

النتائج المتوقعة.

يتوقع من هذه الدراسة -بمشيئة الله تعالى- أن تفتح آفاقاً جديدة للباحثين والباحثات والمهتمين بدراسة تاريخ الطب والرعاية الصحية في الحضارة الإسلامية، كما من المتوقع أن تبرز

هذه الدراسة حجم الإسهامات التي قدمتها الحضارة الإسلامية، للإنسانية في هذه الحقبة التاريخية الهامة وفي هذا المجال الحيوي والهام.

صعوبات الدراسة.

من أهم الصعوبات التي واجهتها الباحثة في إعداد هذه الدراسة:

- قلة توافر المعلومات اللازمة بشكل مباشر من المصادر المختلفة، حيث تناثرت مادة الدراسة في ثنايا كمّ كبير من الدراسات؛ مما تطلب من الباحثة جهداً إضافياً للتنقيب عن المادة العلمية في بطون أمهات المصادر.
- حاجة الدراسة إلى الإلمام بالمصطلحات الطبية والصحية قبل الشروع بالكتابة.
- صعوبة الحركة والتنقل بالنسبة للفتاة العربية، وهذا اقتضى التواصل مع عدد كبير من الباحثين، والمراكز البحثية، للحصول على بعض الدراسات، وهذا كان على حساب الزمن المخصص للبحث، ناهيك عن التكلفة المادية.

التمهيد:

نبذة مختصرة عن الرعاية الصحية والطبية عند الأمم القديمة.

يقصد بالرعاية الصحية والطبية لغةً: رعى يرعى رعياً، والراعي يرعى الماشية، أي يحوطها ويحفظها، أما الصحة: صحح يصح أي ضد السقم، وهو ذهاب المرض، وقد صح فلان من علته، والطب لغةً: علاج النفس والجسم، ورجل طبيب، أي عالم بالطب، وقد طب يطب تطبب في الطب، [١] أما تعريفها اصطلاحاً فهي: تقديم الرعاية الصحية والطبية الشاملة بأبعادها النفسية والاجتماعية والعضوية، بما يكفل للفرد والجماعة حالة صحية جيدة. [٢]

لهذا ارتبط العلاج والطب عند الإنسان بوجود الألم، ومحاولته لمعرفة سبب ذلك الألم وكيفية التخفيف من آثاره أو إزالته؛ وذلك عن طريق دراسته ومعرفة أعراضه، وبعبارة أخرى فالطب قديم قدم الإنسان ذاته، ففي البداية استعان الإنسان بأساليب متعددة لمواجهة آلامه وأمراضه، فاتجه إلى السحرة والمشعوذين والاستعانة بالأرواح الشريرة لمحاربة تلك الأمراض، وعندما وجد أنها لم تحل إشكالاته، أخذ يتفحص الطبيعة بما فيها من حشائش وأعشاب، وهوام، وحشرات، فأخذ يأكل من هذه، ويصنع تلك، ويخلط ذاك بتلك، فتوصل في نهاية المطاف من خلال الخطأ والصواب، لمجموعة من العقاقير المستخلصة من الطبيعة لمعالجة بعض أمراضه والتخفيف من أوجاعه، [٣] ولعل المجال لا يتسع للتحدث بإسهاب عن صناعة الطب وتطور الرعاية الصحية عند الأمم القديمة كمدخل لدراسة هذا الموضوع؛ لذا سأكتفي بنبذة

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، ج٦، ص١٧٩-١٨٠، ط٤، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار صادر، بيروت.

(٢)-انظر: الموقع الطبي، WWW.Altibbi.com

(٣) الهوني، فرج محمد، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ص٥- ٦، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا.

ميسرة عن جهود بعض الأمم القديمة في خدمة المجال الصحي؛ لأن تطور العلوم والخبرات لا تتم إلا من خلال تراكمية معرفية، قائمة على الأخذ والعطاء والتثاقف. (٤)

ويبدو -كما تذكر بعض الدراسات- أن الفراعنة أعطوا للصحة ومعالجة الأمراض أهمية قصوى، وهذا يتضح من خلال ما قدموه للإنسانية من إنجازات في هذا المجال، فقد برعوا في تشخيص وحصر الأمراض والتحنيط، ويظهر من دراسة بعض المومياوات أن الفراعنة برعوا في الجراحة؛ وذلك من خلال الآثار التي تحملها تلك المومياوات، وعند تأمل البرديات المصرية المحفوظة في متاحف العالم، يلاحظ أن المصريين جعلوا من (أمنحوتب) (٥) إلهاً للطب، وعدوه أول طبيب عندهم إلى جانب كونه حاكماً، وكاتباً، ومهندساً، وظلت علومه الطبية تسيطر على مهنة الطب طوال العهد الفرعوني، ويذكر هيردودت (ت: ٤٢٥ق.م) أن المصريين انفردوا بالتحنيط ونجحوا فيه، وأنهم عرفوا الطب معرفة جيدة وتخصصوا في أفرعه، فمنهم من تخصص في أمراض النساء، ومنهم من تخصص في أمراض العيون، وذكر أيضاً أنهم اتبعوا في علاجاتهم سبلاً وقوانين عاقبوا بها كل من خالفها، وهذه العبارة تدل على خوف وحرص الأطباء المصريين القدماء على صحة العامة وعدم تساهلهم مع أي طبيب يخطئ في حق أي مريض، وتنزيل أقصى العقوبة به من خلال هذه القوانين التي سنّوها. (٦)

وأعَدَّ العلامةُ ابن أبي أصيبعة في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)، هرمس الثالث، الذي هو صاحب كتاب (الحيوان ذوات السموم)، من أشهر أطباء مصر حيث كان طبيباً

---

(٤) عكاوي، رحاب خضر: الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص٥-٩، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م دار المناهل للنشر، بيروت.

(٥) أمحوتب هو باني هرم زوسر المدرج وهو أول مهندس معماري، وأحد أشهر المهندسين في مصر القديمة، رفع إلى درجة معبود بعد وفاته وأصبح إله الطب. ظهوره، أصبح إمحوتب فيما بعد إله للشفاء أو كإله للطب، وله معبد في سقارة باسم معبد إمحوتب ، وصار مصحة يزورها المرضى من جميع أنحاء الأرض، حيث انتشرت عنه أخبار كثيرة تعلن نجاحه في شفاء الكثير من الأمراض والعقاقير الناجحة التي اخترعها، وقد ظلت شهرته منتشرة حيث كرست له عدة أبنية في كثير من المعابد بمنطقة طيبة في معابد الكرنك والدير البحري ودير المدينة وجزيرة فيلة، كما بنى له بطليموس الخامس معبدا، موقع ويكبيديا www.wikipedia.com

(٦) عكاوي، المرجع السابق، ص١٥-١٧.

فيلسوفاً، وعالماً بطبائع الأدوية القتالة والحيوانات المؤذية، حيث كانت التجربة والتجوال والتعرف على الأقاليم ومعرفة طبائع السكان المعين الذي كان ينهل منه في أبحاثه الطبية ووصفاته العلاجية. (٧)

ومن مظاهر اهتمام المصريين بالطب أنهم ربطوه بالعبادة وتخصص به كهنة المعابد؛ لذلك كانوا يعتمدون على الصلاة للآلهة عند التطبيب، والمريض يفعل ذلك عند تناول العلاج.

وكان لطب الأسنان عند المصريين آلهة تدعى (أبولونيا)، وهي ابنة قاضٍ مصري، ولعل قمة تطور صناعة الطب والرعاية الصحية في مصر القديمة تبدو في ظهور متخصصين في فروع محددة من الطب، فهناك من تخصص بأمراض الرأس، وهناك من تخصص في الباطنية، وهناك من تخصص في طب الأسنان، وكل ذلك تدل عليه المحنطات وهياكل العظام والأسنان الذهبية التي عثر عليها في أضرحتهم. (٨)

وتشير اللقى الأثرية في المدافن المصرية القديمة إلى أن الأطباء المصريين برعوا في الجراحة واستخدام الآلات الجراحية، فقد ذكر علماء الآثار أنهم وجدوا في إحدى مقابر طيبة بمصر آلات جراحية من البرونز يرجع تاريخها لنحو ١٥٠٠ق.م.

وتؤكد بعض الدراسات أن الأطباء المصريين القدماء كانوا ينصحون مرضاهم بالصيام لاعتقادهم بأن الإنسان يأكل أكثر من حاجته؛ ولذلك كان عليه أن يمتنع عن الطعام حيناً بعد حين ليصرف الفائض من غذائه (٩).

واهتم أطباء قدماء المصريين بالمحافظة على حياة الطفل، ويتجلى ذلك من الاهتمام بجودة لبن الطفل بالثدي، وبكميته، وبسلامة الثدي وإرضاع الأم طفلها، وقدسيتهم للرضاعة، أما أبرز

---

(٧) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت: ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٣٠-٣٢، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الثقافة، بيروت.

(٨) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص٣٠-٣٢.

(٩) الشطي، شوكت موفق، تاريخ الطب (السفر الأول)، ص٨-١٢، ط١، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، مطبعة الجامعة السورية، دمشق.

أمراض الأطفال التي عرفها الأطباء المصريون القدماء فهي: النزلات المعوية، التبول عند الأطفال، شلل الأطفال، والكساح وغيرها. [١٠]

أما سمعة الطب في بلاد الرافدين فقد ذكرت بعض المراجع الأجنبية أنها لم تنل استحقاقها العادل، ربما بسبب تكرار الملاحظات المشوهة التي أوردها هيرودتس والتي تدعي أن الأطباء لم يكونوا معروفين في بابل [١١]، في حين أن بعض المصادر تؤكد أن الرعاية الصحية والطبية في بلاد الرافدين كانت من أهم مظاهر حضارة بابل، حيث استفاد البابليون والآشوريون من الطب المصري في علاج مرضاهم، ومن إبداعاتهم للاستفادة من خبرات الأمة الصحية أنهم كانوا يضعون مرضاهم في الساحات العامة خارج مدنهم لغرض عرضهم على المارة، حتى يتصلوا بهم للاستفسار عن معضلتهم، فمن كان منهم قد أصيب بمثل هذا الداء وشفي منه أرشد هذا المصاب إلى استعمال نفس الوسائل والأدوية التي شفته. [١٢]

وكانت قوانين (حمورابي: كان حاكماً لبابل بين عامي ١٧٩٢–١٧٥٠ق.م.) قد حددت أجور الأطباء، ووضعت قوانين صارمة تجاه الأطباء إذا وقعوا في الخطأ وتسببوا في أذى أو وفاة أي مريض. كما ذكرت قوانين حمورابي المرضعات وفرضت عليهن عقوبات صارمة إذا أهملن الرضيع.

وقد درس البابليون والآشوريون التشريح ولا سيما الكبد، وعرفوا التشوهات التي تطرأ على الإنسان والحيوان، والسبب في دراستهم الكبد اعتقادهم أنه العضو المسيطر على سائر أعضاء جسم الإنسان، وكان الجهاز الطبي مرتبطاً بالملك نفسه، وكان الأطباء مقسمين إلى

---

(١٠) الكساح: هو مرض يصيب الطفل حيث يكون رأسه كبيراً ووجهه صغيراً وأطرافه السفلى مشوهة، الحاج قاسم، محمد محمود، تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص٢٦–٢٨، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد.

(١١) Joan Otes. BABYLON,Germany, Interdruck Leipzig, 1994, p, 180.

(١٢) عبد الرحمن، حكمت نجيب، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص٣٠–٣٢، ط١، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م، جامعة الموصل العراق.

ثلاث فئات: فئة تعالج بالنصح، وفئة تعالج بالأدوية من نباتية وحيوانية، وفئة تعالج بالطلاسم (السحر)، وكان البابليون والآشوريون يعتقدون أن للطب آلهة تدعى (غولا) Gula. (١٣)

وكانت الرعاية الصحية والطبية من المعالم البارزة في حضارة الهند القديمة، حيث اكتشفت بقايا مستشفى في سيلان يعود تاريخه إلى القرن الخامس ق.م، كما وجدت كتب طبية بقيت تزود العالم بالعلوم الطبية حتى نهاية القرون الوسطى، وكان من بين هذه الكتب كتاب الطبيب الشهير "شاراك" الذي عاش في حدود القرن الثاني الميلادي، وكان هذا الكتاب من المصادر المهمة للكثير من الأطباء العرب المسلمين أمثال: أبي بكر الرازي (ت: ٩٢٣هـ/ ١٠٣٧م) في كتابه (الحاوي).

أما الكتاب الهندي الثاني الذي ترجم إلى العربية فهو كتاب (سوسروتا)، وهو اسم المؤلف الذي صنفه (نحو سنة ٣٠٠ق.م)، وهو أضخم كتاب هندي وصل إلى العرب، وفي كتاب (سوسروتا) معلومات قيمة عن الطب الهندي، وما يستعمل من الأدوية والأدوات الجراحية في العلاج والسموم، وكيفية صنع كل واحد منها، والتداوي بالوسائل الطبيعية، وفيه فصل خاص برعاية الحامل، وعمليات الولادة العسرة، وفصل في تغذية الطفل وتربيته.

وقد أشار بعض المؤرخين إلى وجود مدرستين اهتمتا بصناعة الطب والمهن الصحية في الهند وهما:

- مدرسة في بيناريس في شرقي البلاد، ورائدها الطبيب (أتريا) المعالج بالأدوية والأغذية.
- ومدرسة في تكسيلا في غربي الهند، الواقعة على نهر جهيلام، ورائدها الجراح (سشروتا) المعروف بموسوعته الذائعة الصيت والتي تعتبر من أهم مآثر الحضارة الطبية الكلاسيكية القديمة. (١٤)

(١٣) الشطي، المرجع السابق، ص٤-٦.

(١٤) عكاوي، المرجع السابق، ص٤٨-٥٠.

لقد عرف الهنود القدماء الكثير من الأمراض ودرسوا خصائصها ومراحلها السريرية ومنها: حمى الملاريا وعلاقتها بالبعوض، ووباء الطاعون وعلاقته بالجرذان، واستعملوا التلقيح في معالجة الجدري، ومارسوا عمليات التجميل وترقيع الجلد، وعرفوا العملية القيصرية عند الولادة العسرة، واستعملوا لتوقيف نزف الدم في هذه العمليات الضغط والدهون الحارة والكي أحياناً.(١٥)

ولا تختلف الرعاية الصحية والطبية عند اليونانيين عن الأمم القديمة الأخرى، حيث يتكون الطب عندهم من قسمين: قسم أسطوري يرتبط بالقوى الخارقة والشعوذة، وقسم واقعي موضوعي قائم على المعرفة، وتقول الأسطورة اليونانية أن (اسقبيلوس) (١٦) برع في الطب إلى درجة أن عدد الموتى قد قلوا؛ مما دفع اليونان إلى عبادة (اسقبيلوس)، حيث بدأ المرضى والأصحاء يقدمون القرابين له، وقد انتشرت المعابد في جميع اليونان، والتي تحولت إلى مستشفيات حيث كانت طقوس هذه المعابد توصل المريض إلى ساحة المعبد، ليقوم بالاطلاع على ما كتبه المرضى الذين سبقوه إلى المعبد، وكيف شفوا من أمراضهم، إلا أن اليونان في الجانب العملي قدموا خدمات جليلة في حقل الرعاية الصحية والطبية، حيث يعد (أبقراط) أبا الطب الإغريقي. (١٧)

وقد تعلم (أبقراط) صناعة الطب من أبيه ايرقليدس، كما يقول ابن أبي أصيبعة، (١٨) وهناك من يذهب إلى أن أبقراط أول من أوجد المستشفيات في التاريخ الطبي، حيث كانت البداية أنه عمل بالقرب من داره في موضع بستان مجمعاً للمرضى، جعل فيه خدماً يقومون

---

(١٥) المرجع السابق نفسه، ص٥٠.

(١٦) اسقبيلوس تلميذ لهرمس مصر، وكان مسكنه أرض الشام، ومعنى اسمه البهاء والنور، والطب صناعة اسقبيلوس، انظر: ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسّان الأندلسي (ت: ٣٨٣هـ/ ٩٩٤م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، ص١١-١٢، ط٢، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة.

(١٧) الموني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ص٥٦-٥٨.

(١٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الاطباء، ص٤١-٤٣.

بمداواهم، وقد خلف لنا هذا الطبيب العبقري أكثر من ستين مؤلفاً كانت مرجعاً للأطباء طوال حقب تاريخية طويلة. (١٩)

وبعد ٦٦٥ سنة على وفاة أبقراط حسب المصادر العربية أو ٥٠٠ سنة حسب المصادر الغربية، ظهر جالينوس (١٣٠-٢٠١م) ثاني أشهر طبيب بعد أبقراط، في الطب اليوناني وأحد أشهر أطباء البشرية، ويذكر (أنه مفتاح الطب، وباسطه وشارحه بعد المتقدمين، وله في الطب ستة عشر ديواناً، لم يسبقه أحد إلى علم التشريح، ألّف فيه سبع عشرة مقالة في تشريح الموتى، وألّف في تشريح الأحياء كتاباً، وشرح كتب أبقراط كلها، وبسطها). (٢٠)

وارتبطت الأمراض عند الصينيين القدماء بالفصول الأربعة، فرأوا أنها مسؤولة عن الأمراض، فذكروا: أن أمراض الصدر تحدث في الشتاء، وأن الحميات تكثر في الخريف، وأن الأمراض العصبية تحدث في الربيع، والأمراض الجلدية تحدث في الصيف؛ أي أن الأمراض ترتبط بالحر والبرد، والجفاف والرطوبة، والعلاج في تلك الحالات يقتضي تقوية المريض لتتغلب الطاقة الحيوية في جسمه على المرض، كما عرف الصينيون الدورة الدموية، وتمكنوا من معرفة التبدلات التي تطرأ على النبض في الأمراض المختلفة، وعرفوا النباتات المستعملة في العلاج، وعرفوا أيضاً الوسائل الطبيعية للعلاج الطبيعي، مثل الحمامات والتسميد، وتوصلوا إلى صنع بعض الآلات الجراحية البسيطة. (٢١)

أما الرعاية الصحية والطبية عند الفرس فقد كانت مزيجاً من الطب اليوناني والهندي والمصري، وقد دخل الطب اليوناني –حسب بعض الروايات– إلى بلاد فارس إثر زواج ابنة القيصر (أولينوس) بملك الفرس (سابور)؛ إذ كان في حاشيتها عدد من الأطباء اليونانيين، فنقلوا الطب اليوناني إلى فارس، كما استقدم ملوك فارس الأطباء المصريين ليشاركوا في تعليم التحنيط، (٢٢) وقد برزت في فارس طبقة (الزرادشتية)، التي اهتمت بدراسة الطب ولمعت في

---

(١٩) الشطي، تاريخ الطب (السفر الأول)، ص٣٩-٤٠.

(٢٠) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص٤١-٤٣.

(٢١) الهوني، المرجع السابق، ص٢١.

(٢٢) – المرجع السابق نفسه، ص٢٤.

صناعته، وتكونت من هذه الطبقة فئات ثلاث من المعالجين: الأولى كانت تعالج بالأدعية والصلاة، والثانية بالأغذية والعقاقير، والثالثة كانت تستعمل الأدوات الدقيقة في إجراء العمليات الجراحية. (٢٣)

ولم تصل إلينا معلومات واسعة عن الطب والرعاية الصحية والطبية عند العرب قبل الإسلام، إلا أنهم كانوا على تماس مع الفرس والأحباش والروم عن طريق التجارة، فأخذوا منهم وتأثروا بما شاهدوه وقرأوه، فكانوا يعتمدون في طبهم على السحر، فكان الساحر يداوي المرضى بسحره، وكذلك كان الكهان والعرافون والمشعوذون والقافة (٢٤) وغيرهم يداوون المرضى، وكان من يتعاطى الطب عند العرب له مكانة كبيرة في الجاهلية.

ولعل من أبرز وسائل العلاج عند العرب (**الكي بالنار**) لاعتقادهم كغيرهم من الأمم السابقة، أن سبب الأمراض التي تصيب الإنسان هي الأرواح الشريرة، واستخدموه في علاج أمراض المفاصل (الروماتزم)، ووجع الرأس، والقروح، واستعملوا الكي للشوكة. (٢٥)، كما استخدموا العديد من النباتات لعلاج بعض الأمراض والتي منها (**الكمون**) حيث استعملوه في معالجة النزلات الصدرية، والريح في المعدة وللهضم (٢٦)، أما (**الحلبة**) فقد استخدموها في معالجة أمراض الصدر مثل: الربو، والسعال، والبلغم. (٢٧).

---

(٢٣) عكاوي، المرجع السابق، ص٤٤-٤٦.

(٢٤) القافة: (قوف)، قاف جبل محيط بالأرض، والقائف الذي يعرف الآثار والجمع القافة، يقال: قاف أثره من باب قال إذا تبعه مثل قفا أثره، الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٧٢١هـ/ ١٣٢١م) مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، ص٢٣٢، ج١، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

(٢٥) الشوكة: وهي حمرة تظهر في الوجه وغيره من الجسد، وقيل الشوكة داء كالطاعون، وكانوا يسكنون الشوكة بالرقي كذلك، انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٣٩٢-٣٩٣، ج٨، ط٢، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، دار العلم للملايين، بيروت.

(٢٦) جواد علي، المرجع السابق، ج٨، ص٣٩٣.

(٢٧) الجراحي: إسماعيل بن محمد العجلوني (١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق: أحمد القلاش، ص٢١٧،ج٢، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

واستخدموا (القسط) [٢٨] بخوراً ودواء [٢٩]، **وصنعوا (السعوط)** [٣٠] واستعمل في مداواة (العذرة)، وهو وجع يأخذ الطفل في حلقه، يهيج من الدم أو في (الخرم)، الذي هو بين الأنف والحلق، وقيل قرحة تخرج بين الأنف والحلق [٣١].

ومن المواد المهمة في علاج الجروح **(البلسم)**؛ إذ هو مادة صمغية تضمد بها الجراحات، ووطنه الحبشة، ومن أشهر أنواعه الجيدة (بلسم جلعاد)، وهو ذو رائحة عطرة، مدحه الأطباء وأثنوا عليه في معالجة الأمراض والجروح، وذكر علماء اللغة أن (البلسم) هو (البلسام)، وهو البرسام، واستعملوا أيضاً البان وهو شجر معروف في علاج النمش، والكلف، والبهق، والجرب، وتقشر الجلد [٣٢]، وكان العرب في الجاهلية يعالجون الحصبة والجدري **(بمرار الشجر)، (والحنظل) (والحرمل)** [٣٣].

أما عن طرائق العلاج عند العرب في الجاهلية للأمراض النفسية، فيذكر أنهم كانوا يستخدمون **(السلوة)**، وهي:(خرزة تدلك على صخرة فيخرج من بين ذلك ماء فيسقى المهموم أو العاشق من ذلك الماء فيسلو وينسى) [٣٤]، وقد كان الختان شائعاً بين العرب، ويستعمل

---

(٢٨) القسط: وهو عود يجاء به من الهند، فعرف لذلك بالقسط الهندي، ويقال له (الكست)، وكشط، وفي رواية: كسط، والأظفار: جنس من الطيب لا واحد له من لفظه. وقيل: هو شيء من العطر أسود، أو قطعة منه شبيهة بالظفر، انظر: خان، صديق حسن (ت: ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) الروضة الندية، تحقيق: علي حسين الحلبي، ص٢٩٧، ج٢، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، دار ابن عفان، القاهرة.

(٢٩) خان، المصدر السابق، ج٢، ص٢٩٧.

(٣٠) السعوط: اسم الدواء الذي يصب في الأنف (مكون من دهن الخردل، ودهن البان، والقسط الهندي، والعود الهندي، والكافور)؛ وذلك بأن يوضع الدواء في إناء يجعل فيه السعوط ويصب منه في الأنف، ويقال للإناء المسعط والسعيط، ويستعمل السعوط من مختلف الدهون، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص٣٩٤.

(٣١) جواد علي، المرجع السابق، ج٨، ص٣٩٤.

(٣٢) المرجع السابق نفسه، ج٨، ص٣٩٤-٣٩٥.

(٣٣) المرجع السابق نفسه، ج٨، ص٤٠٧-٤٠٨.

(٣٤) أتيت طبيب الإنس شيخاً مداوياً ... بمكة يعطي في الدواء الأمانيا

فخاض شراباً بارداً في زجاجة ... وطرّح فيه سلوة وسقانيا

انظر: علي جواد، المرجع السابق،ج٨، ص٤١٠ . والبيتان لمجنون ليلى، قيس بن الملوح العامري– ت٦٨ هـ

"الموسى" للختان، ولوقف الدم تستعمل أدوية خاصة من مراهم ومواد، كما يستعمل الضماد أيضاً، و لم يكن الختان من أعمال الطبيب، إنما يقوم به الختّان، والحلاقون والحجّامون.

وقد برز عدد كبير من الأطباء في جزيرة العرب منهم: الحارث بن كلدة الثقفي (٤١هـ/٦٦١م) الذي يقول عنه ابن جلجل: "كان قد تعلم الطب بناحية فارس واليمن، وتمرن هنالك، وعرف الدواء، وتعلم ذلك أيضاً بفارس واليمن، وبقي أيام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأيام أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي (رضي الله عنهم) ومعاوية ابن أبي سفيان (رضي الله عنه)" [٣٥]. أما النضر بن الحارث بن كلدة (٢هـ/٦٢٤م) وهو ابن خالة النبي (عليه الصلاة والسلام)، جال بلاداً كثيرة، كما فعل أبوه، وكان يجالس العلماء والكهنة، والأحبار، ودرس كثيراً من العلوم، مثل الفلسفة والحكمة، وتعلم الطب عن أبيه، وكان معادياً للنبي عليه الصلاة والسلام وآذاه كثيراً، وانضم إلى أبي سفيان، وقتل بعد معركة بدر. وأشارت بعض المصادر العربية أيضاً إلى الطبيب ابن حذيم التميمي من تيم الرباب، قيل إنه حاز على شهرة واسعة في العصر الجاهلي، وزعم أنه كان أطب العرب، وأنه كان أطب من الحارث بن كلدة، وأنه كان بارعاً في الكي، وكان متطبباً عالماً. وتذكر بعض المصادر أيضاً زهير بن الحميري بأنه كان يمارس الطب في جزيرة العرب إلى جانب ضماد بن ثعلبة الأزدي. [٣٦]

وتخصص نفر من العصر الجاهلي في معالجة الحيوان، وهم البياطرة، يعالجون أمراضها فيصفون الأدوية، يقال للواحد منهم البطير والبيطر والبيطار، وقد أشير إليهم في بعض أشعار الجاهليين، ويعالجون الجروح التي تصيبها، وفي جملة ما كانوا يعالجون به الكيّ. والمعالجة باستعمال (**القطران**)؛ وذلك بطلي الحيوان المريض به، ومن هذه الأمراض الجرب، ويقال للحيوان المطلي بالقطران "المقطور"، أما إذا كان أنثى، مثل ناقة، فيقال: "مقطورة" ، ويقال إن الجرب، هو العُرّ، والعرّ بثر في الإبل، ويعالج بالقطران. قال علقمة الفحل:

قد أدبر العُر عنها وهي شامـــلها   من ناصع القطران الصرف تدسيم

(٣٥) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص٥٤-٥٥.

(٣٦) الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ص٣٠-٣٢.

وكان بعضهم إذا وقع العُرّ في إبلهم،"اعترضوا بعيراً صحيحاً من تلك الإبل، فكووا مشفره وعضده وفخذه، ويرون أهم إذا فعلوا ذلك ذهب العُرّ عن إبلهم" ، ويقال إهم كانوا يفعلون ذلك ويقولون: تؤمن معه العدوى، ويقال للجرب عند أول ظهوره: النقب، ويقال للبعير المهنوء بالقطران "المشوف" ، كما عالجوا أمراض الجلد التي تصاب بها الإبل أيضاً بطليها بالنفط "الكحيل" (نوع من النفط).

ومن الأمراض التي تصيب "الإبل" مرض "الدبرة" ، يظهر في سنام الإبل فلا يزال يأكل سنامه حتىُ يُجبَّ؛ أي يقطع، وإلا نزل على السناسن فيصيبها ويموت الحيوان، وإذا كان السنام مكشوفاً فإن الطيور تنقره فيتأذى الحيوان ويتألم وقد يموت، ولعل ذلك هو الذي حمل أهل الجاهلية على التشاؤم من "الأخيل" وبعض الطيور الأخرى التي كانت تحط على ظهور الإبل فتنقر سنامها، ويقال للجمل الذي يقطع سنامه "الأجبّ" .[٣٧]

ومن الأمراض التي كانت تصيب الإبل "السوّاف" ، وقد عرف بأنه داء يصيب الإبل فتهلك، و "الجارود" ، وهو مرض معدٍ، إذا فشا أهلك الإبل، وقد ظهر في "بكر بن وائل" ، فأهلك إبلها، وهم يعلمون أنه من الأمراض التي تعدي، وتنتقل بالعدوى، وذكر أهل الأخبار أن "الجارود العبدي" ، وهو رجل من الصحابة من عبدالقيس، إنما سمي "جاروداً" لأنه فر بإبله إلى أخواله من "بني شيبان" وبإبله داء، ففشا ذلك الداء في إبل أخواله فأهلكها، وفيه يقول الشاعر:

لقد جرد الجارودُ بكر بن وائل ... ولذلك سمي المشؤوم جاروداً.[٣٨]

ومن أبرز أمراض الدواب مرض يقال له "العقل" ، يصيب رجل الدابة، إذا مشت ظلعت، وأكثر ما يعتري في الشاة، ومرض "الحلمة" وهي دودة تقع في جلد الشاة الأعلى وجلدها الأسفل، وقيل: دودة تقع في الجلد فتأكله، فإذا دبغ وهى موضع الأكل وبقي رقيقاً، وقيل: القراد أول ما يكون صغيراً قمقامة، ثم يصير حمنانة، ثم يصير قراداً، ثم حلمة، وكانوا ينقون رحم الفرس أو الناقة من النطف، ويخرجون الولد من بطن الفرس أو الناقة ويعبر عن ذلك

(٣٧) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٨، ص٤٩٨.

(٣٨) جواد علي، المرجع السابق، ج٨، ص٤٩٨.

بلفظة "مسى" ، ومن الذين عرفوا بين الجاهليين بمعرفتهم بالبيطرة "العاص بن وائل" (٣٩)، وكان يعالج الخيل والإبل، وقد برع البياطرة بمعرفتهم خاصة بالخيل والإبل؛ لأنها أثمن أموال العرب، وعنايتهم بها كبيرة. (٤٠)

وخلاصة الأمر أن الإنسان حاول منذ فجر تاريخه التعرف على الأمراض التي تفتك به، وحاول التصدي لها تارة بالسحر والشعوذة والكهانة، وتارة بالتجربة والبحث، فأبدع وقعد علوم الطب، وتعرف على أساليب معالجة الأمراض بالعقاقير والجراحة، مستفيداً من تجارب أخيه الإنسان في مختلف أرجاء المعمورة، فاستفاد الصيني من الهندي والفارسي من اليوناني والهندي والعربي منهم جميعاً، ولكن على الرغم كل هذه الإنجازات بقي الطب والرعاية الصحية عند الأمم القديمة حبيسة الأسطورة والشعوذة، بل نجد أن الكهان والعرافين كانوا في معظم الحضارات القديمة لهم اليد الطولى في الطب، إلى أن جاء الإسلام وحرر العقل من الأسطورة والخيال، وشجع العلم التجريبي وفتحه أمام الجميع، لتخطوا الرعاية الصحية والطبية خطوات واسعة، لخدمة صحة الإنسان وتثري معارفه في مختلف المجالات العلمية.

---

(٣٩) الدميري: كمال الدين بن محمد بن موسى بن عيسى (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن، ص٢٧٩، ج١، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤٠) جواد علي، المرجع السابق، ج٨، ص٤٩٩.

جدول (١)

بعض الأمراض المعروفة عند الأمم القديمة

الرقم	أمراض الإنسان	طرائق علاجها
١	الأمراض الباطنية	بالصيام
٢	التهاب الأسنان	شد الأسنان بالذهب
٣	أمراض النساء (الولادة المتعسرة)	بالضغط والدهون الحارة
٤	أمراض المفاصل، الحروق، وجع الرأس، الشوكة، القروح	العلاج بالكي لكافة تلك الأمراض
٥	الجدري، الحصبة	الحرمل والحنظل
٦	العذرة	السعوط
٧	النمش، الكلف، الجرب، تقشّر الجلد	علاجهم بالبان
٨	النزلات المعوية	الكمون
٩	السعال، الربو، البلغم	الحلبة
١٠	الأمراض النفسية	السلوة
١١	نزيف الدم	الختان

جدول (٢)

بعض أمراض الحيوانات المعروفة عند الأمم القديمة

الرقم	أمراض الحيوان	طرائق علاجها
١	الجرب	يصيب الإبل وعلاجه الكي بالنار
٢	الدبرة	يصيب الإبل وعلاجه بالقطران (النفط)
٣	السواف	الكي بالنار
٤	الجارود	الكي بالنار
٥	العقل	بالكي بالنار
٦	الحلمة	هذا المرض يصيب الشاة ويقومون بحلق صوفها.

مؤشرات الجدولين.

١ – عدد الأمراض البشرية التي كانت معروفة لدى الأمم القديمة والعصر الجاهلي التي وردت في الدراسة بلغت ٢٢ مرضاً من أبرزها: الأمراض الباطنية، الجدري، والحصبة، النزلات المعوية، الربو، السعال، البلغم، الأمراض النفسية، العذرة، وقد عالجوها بأكثر من ثلاثة عشر أسلوباً بعضها بالكي، والبعض الآخر بالأعشاب، والمعاجين والدهون، وعالجوا الأسنان المتساقطة بشدها بأسلاك الذهب.

٢ – أن من أشهر الأمراض التي كانت تصيب الحيوانات: الجرب الذي يصيب الإبل، والدبرة، والسواف والجارود، وكلها أمراض تصيب الجمال، وهناك الحلمة التي تصيب عادةً الأغنام، وقد استخدم العرب في الجاهلية عدة طرائق في معالجة تلك الأمراض أبرزها: الكي بالنار، واستخدام بعض الأعشاب، والقطران، للقضاء على الجرب، وجز الصوف، وحلق الشعر للشياه التي تصيبها بعض الأمراض الجلدية، وقد بلغ عدد الأمراض الحيوانية المشهورة نحو ستة أمراض، وهكذا يكون مجموع بعض الأمراض البشرية والحيوانية عند الأمم القديمة والعصر الجاهلي نحو ٢٨ نوعاً من الأمراض المختلفة، يقابلها ١٦ طريقة علاجية لمكافحة تلك الأمراض والقضاء عليها.

الفصل الأول

الرعاية الصحية والطبية في عصر الرسالة:

المبحث الأول: التدابير الصحية الوقائية في عصر الرسالة.

المبحث الثاني: أشهر أطباء وطبيبات وآسيات عصر الرسالة.

المبحث الأول

التدابير الصحية الوقائية في عصر الرسالة

من منطلق أن الوقاية خير من العلاج، فقد قدمت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية العديد من النصائح والتوجيهات للوقاية من الأمراض والمحافظة على صحة الجسم، قال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** (٤١)، وكان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يحتجم، فعن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: "احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم". (٤٢)

وقد تنوعت هذه التوجيهات، فمنها ما هو متعلق بنوعية الطعام، ومنها ما هو متعلق بسلوك الإنسان الغذائي، ومنها ما يحذر من بعض الأطعمة والمشروبات، وكل ذلك بأسلوب مختصر ومركز (*)، ولعل من أبرز هذه التدابير الوقائية:

أولاً: الحث على طلب العلم.

أول سورة نزلت في القرآن الكريم تدعو الإنسان للتعلم، هي سورة العلق قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)﴾ (٤٣)، وقال (عليه الصلاة والسلام): "مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً"، (٤٤) وهو توجيه صريح للبحث والتقصي

---

(٤١) سورة البقرة، الآية (٢٢٢).

(٤٢) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن بردزبه (ت: ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، صحيح البخاري، تحقيق الدكتور: مصطفى ديب البغا، ص، ٦٥٢، ج٢، ط ٣، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م، دار ابن كثير، بيروت.

(٤٣) سورة العلق، الآيات (١-٢).

(٤٤) البخاري، المصدر السابق، ج٥، ص٢١٥١.

للأمراض، ومعرفة أسبابها، وطرائق علاجها؛ وبالتالي ربط الرعاية الصحية والطبية بالعلم؛ ما يعد نقلة نوعية في الفكر الصحي العالمي آنذاك [٤٥].

ويذكر جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" أن أول مستشفى في الإسلام كان في مسجد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، كان فيه موضع يعالج فيه المرضى والجرحى، وكان (صلى الله عليه وسلم) والصحابة يتفقدون الجرحى هناك [٤٦]، والذي يعد خطوة عملية نحو تحرير الطب من الأسطورة والخرافات التي كانت تشل فاعليته، ولعل المتأمل للأحاديث النبوية الشريفة يلحظ الكثير في الأحاديث التي تدعو إلى العلاج ومعالجة الأمراض بطريقة صحيحة وعلمية والتي تكشف عن علم بالطب، فعلى سبيل المثال: أمر البعض بالتداوي بالحمية، وقطع لبعضهم عرقاً، وكوى آخر، وقال لعلي (رضي الله عنه) وكان قد رمد: لا تأكل من هذا (يعني الرطب)، وكل من هذا فإنه أوفق لك (يعني سلقاً قد طبخ بدقيق أو شعير) [٤٧]، إلى غير ذلك من التوجيهات والنصائح الطبية.

ثانياً: الاعتدال في تناول الطعام.

من المعروف أن الغذاء يشكل أهمية كبيرة في حياة الإنسان، ولكن الإكثار منه يؤدي إلى الشعور بالكسل والخمول والرغبة الشديدة في النوم؛ لهذا حث الإسلام المسلم على الاعتدال وعدم الإسراف في تناول الطعام، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

(٤٥) الخطيب، حنيفة، الطب عند العرب، ص ١٥-١٧، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.

(٤٦) جواد علي، المرجع السابق، ج٨، ص٤١٢.

(٤٧) المكي: محمد بن علي بن عطية أبي طالب الحارثي (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق الدكتور: عاصم إبراهيم، ص٣٤، ج٢، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.

الْمُسْرِفِينَ﴾، [٤٨] وقال (عليه الصلاة والسلام): " ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن، بحسب بن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه". [٤٩]

وخلاصة الأمر أن أقوال المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بشأن الغذاء وعدم الإسراف في تناوله تتطابق مع ما توصل إليه العلم الحديث من أضرار الإفراط في تناول الطعام؛ إذ ينشأ عنه العديد من الأمراض التي تهدد حياة الإنسان وتعرضه للهلاك مثل: أمراض السكري، وارتفاع ضغط الدم، وتصلب الشرايين، وغيرها من الأمراض.

ثالثاً: الاهتمام بنوعية الغذاء.

لقد وجه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الانتباه إلى أهمية نوعية الغذاء في الوقاية من الأمراض وتقوية المناعة، فوردت العديد من الآيات والأحاديث التي تؤكد أهمية بعض الأطعمة الطبية والصحية التي منها على سبيل المثال:

١- العسل.

لقد تضافرت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على أهمية العسل في علاج الأمراض والوقاية منها، قال تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، [٥٠] وقد أكد (عليه الصلاة والسلام) على أهمية العسل للجسم الإنسان فقد ورد: "أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلاً، ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلاً، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلاً، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلاً، فَسَقَاهُ فَبَرَأَ"[٥١].

---

(٤٨) سورة الأعراف، الآية (٣٣).

(٤٩) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ص٥٩٠، ج٤، د.ط.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٥٠) سورة النحل، الآية (٦٩).

(٥١) البخاري ومسلم، الجامع بين الصحيحين، (كتاب الطب والرؤيا)، تحقيق الدكتور: صالح أحمد الشامي، ص٢٤٩، ر٢٤٩٩، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار القلم، دمشق.

وقد أشارت بعض الدراسات الحديثة الخاصة بالنحل إلى أن ما يقارب مئة ألف من النباتات تعطي رحيقها للنحلة لتصنع منه العسل، [٥٢]. ولعل من أبرز فوائد العسل -كما ذكرها علماء الطب الحديث- أنه غذاء ليست له فضلات، وغذاء مثالي للضعفاء والمرضى والأطفال، وغذاء يريح الجهاز الهضمي؛ لأنه لا يحتاج إلى مجهود في الهضم، وغذاء يريح الكلى والكبد؛ لأنه لا ينتج عنه فضلات سامة، وغذاء طازج دائماً فهو يحتفظ بقيمته الغذائية أطول وقت ممكن.[٥٣]

٢- التمر.

يعد التمر من الأطعمة الغنية بالفيتامينات والألياف المفيدة للبدن؛ لذا نجد القرآن الكريم ينوه بذكره، ويؤكد فوائده، وكذلك تعددت الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد قيمته الغذائية، قال تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً ﴾[٥٤]

وبين المصطفى (عليه الصلاة والسلام) أن: "مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ"، [٥٥] لذلك؛ تعددت بعض الدراسات العلمية التي أكدت أن ثمرة التمر تحتوي على عشرات العناصر الغذائية الهامة لدوام الجسم حياً نشطاً ... إذ إنها

---

(٥٢) رقيط، حمد حسن، الرعاية الصحية والرياضة في الإسلام، ص٧٢، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار ابن حزم، بيروت.

(٥٣) رضا، أكرم، الطب النبوي، ص١٨٦، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٥م، دار الوفاء للطباعة، القاهرة.

(٥٤) سورة مريم، الآية (٢٥)، (٢٦)، وانظر: أيضاً الآيات التي تحدثت عن أهمية التمر، قال عز وجل أيضاً: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، سورة الرعد الآية (٤)، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾، سورة الأنعام الآية (٩٩).

(٥٥) البخاري ومسلم، الجامع بين الصحيحين، (كتاب الطعام والشراب)، ص١٦٥، ر٢٣١٠.

تحتوي على نسبة عالية جداً من السكر السهل الهضم السريع الامتصاص الذي يمد الجسم بالطاقة والحركة والحرارة [٥٦]، فهي في عرف علماء التغذية تمثل غذاءً متكاملاً.

٣ – الزيتون [*].

الزيتون ذكرت هذه الشجرة المباركة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [٥٧]، وقال عز وجل: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ [٥٨]، وقال المفسرون: هي شجرة الزيتون، والدهن هو زيت الزيتون والصبغ الأدم؛ أي أن هذه الشجرة فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ، وشجرة الزيتون هي من أكثر الشجر فائدة بزيتها وطعامها وخشبها[٥٩]، وقد أوصى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بزيت الزيتون لما فيه من منافع، قال (عليه الصلاة والسلام): "كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ" [٦٠]، وقد ذكر البغدادي في كتابه "الطب من الكتاب والسنة" عن زيت الزيتون أن الادهان به يقوي الشعر والأعضاء، ويبطئ الشيب، وشربه ينفع السموم، ويطلق البطن. [٦١]

(٥٦) رقيط، المرجع السابق نفسه، ص٦٩.

(٥٧) سورة النور، الآية (٣٥).

(٥٨) سورة المؤمنون، الآية (٢٠).

(٥٩) رقيط، المرجع السابق، ص٧٤.

(٦٠) الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص٢٨٥.

(*) وفوائد زيت الزيتون كثيرة منها: يوصف الزيت للأطفال لاحتوائه على العناصر اللازمة للنمو، وارتفاع قيمته الغذائية، واشتماله على فيتامين (د) الذي يقي الأطفال من مرض الكساح ولين العظام، وهو مغذٍ ومقوٍّ للمناعة لاحتوائه على فيتامين (أ) الذي يقوي مناعة الجسم، انظر: البغدادي: العلامة موفق الدين عبداللطيف (ت: ٦٢٩هـ/ ١٢٢٧م) الطب من الكتاب والسنة، تحقيق الدكتور: عبدالمعطي أمين قلعجي، ص١١٥، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، دار المعرفة، بيروت.

(٦١) البغدادي، المصدر السابق، ص١١٤.

٤- الحبة السوداء.

ورد ذكرها في السنة النبوية المطهرة، حدثنا عبد اللَّهِ بن أبي شَيْبَةَ، حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ، حدثنا إِسْرَائِيلُ، عن مَنْصُورٍ، عن خَالِدِ بن سَعْدٍ قال: خَرَجْنَا وَمَعَنَا غَالِبُ بن أَبْجَرَ، فَمَرِضَ في الطَّرِيقِ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وهو مَرِيضٌ، فَعَادَهُ ابن أبي عَتِيقٍ، فقال لنا: عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحُبَيْبَةِ السَّوْدَاءِ فَخُذُوا منها خَمْسًا أو سَبْعًا فَاسْحَقُوهَا ثُمَّ اقْطُرُوهَا في أَنْفِهِ بِقَطَرَاتِ زَيْتٍ في هذا الْجَانِبِ وفي هذا الْجَانِبِ، فإن عَائِشَةَ حَدَّثَتْنِي أنها سَمِعَتْ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ هذه الْحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ من كل دَاءٍ إلا من السَّامِ)، قلت: وما السَّامُ؟ قال: (الْمَوْتُ) [٦٢]، ويذكر الدكتور أكرم رضا في كتابه الطب النبوي أن هناك تأثيراً خفيفاً للحبة السوداء على كثير من أجهزة الجسم، فمثلاً: تأثير في خفض ضغط الجسم وعدد ضربات القلب، تأثير في خفض سكر الدم، وتأثير منبه للجهاز التنفسي، وتخفيف أعراض الحساسية، وتأثير في وقف نمو كثير من الميكروبات، مثل الكوليرا وغيرها من الفوائد. [٦٣]

٥- اللبن.

اللبن ورد ذكره في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾. [٦٤]، وورد في الحديث الصحيح، أَنَّ نَاساً كَانَ بِهِمْ سَقَمٌ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آوِنَا وَأَطْعِمْنَا، فَلَمَّا صَحُّوا قَالُوا: إِنَّ الْمَدِينَةَ وَخِمَةٌ فَأَنْزَلَهُمْ الْحَرَّةَ فِي ذَوْدٍ لَهُ فَقَالَ اشْرَبُوا أَلْبَانَهَا، ... إلخ [٦٥]، وقد أثبتت الدراسات ما للبن من فوائد عظيمة وبخاصة ألبان الإبل.

---

(٦٢) البخاري ومسلم، الجامع بين الصحيحين، (كتاب الطب والرقى والسحر)، ص٢٥٢، ٢٥٣.

(٦٣) رضا، الطب النبوي، ص٧٠-٧١.

(٦٤) سورة المؤمنون، الآية (٢١).

(٦٥) البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ر٢١٥٣.

٦- التلبينة.

التلبينة ورد ذكرها في السنة النبوية المطهرة، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تَلْبِينَة فطُبخت، ثم صُنِعَ ثَرِيد فصُبَّت التَّلْبِينَة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (التَّلْبِينَة (*) مُجِمَّةٌ لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن) (٦٦).

٧ – الخل.

ورد في الحديث الشريف أن النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) سَأَلَ أهله الأُدُمَ فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إلا خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يأكل بِهِ وَيَقُولُ: "نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ، نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ" (٦٧)، وقد ثبت في الدراسات الحديثة أن مادة الخل مادة مطهرة للأطعمة، وتقضي على الجراثيم وتقتلها وتنقي الطعام منها.

٨ – الأترج.

عن أبي مُوسَى الأشعري (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ) (٦٨)، والأترجة ثمرة تنتمي لفصيلة الحمضيات (البرتقال والليمون)، ولها فوائد عظيمة حيث إن قشرة هذه الثمرة تمنع السوس من الثياب، ويطيب نكهة الفم بها، وتطرد الرياح، ولحمها ملطف لحرارة المعدة، وحمض هذه الثمرة، يستعمل في تنظيف الثياب من الحبر، وتسكن العطش (٦٩).

---

(٦٦) البخاري ومسلم، الجامع بين الصحيحين، (كتاب الطعام والشراب)، ص١٦٤، ر: ٢٣٠٨.

(*) والتلبينة هي من التلبين: حساء يتخذ من ماء النخالة فيه لبن، وهو اسم كالتمتين. ويقول الأصمعي: التلبينة حساء يعمل من دقيق أو نخالة ويجعل فيها عسل، سميت تلبينة تشبيها باللبن لبياضها ورقتها، وهي تسمية بالمرة من التلبين مصدر لبن القوم؛ أي سقاهم اللبن، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٧٦.

(٦٧) مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ر١٦٢١.

(٦٨) البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ر٢٧٤٨.

(٦٩) رضا، الطب النبوي، ص٢٤٤-٢٤٥.

٩ – الكمأة.

يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "الْكَمْأَةُ من الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ" (٧٠)، وهذه تشبه البطاطس وهي غنية بالبروتينات، والنشويات، والسكريات، والدهون، مع بعض وجود الأحماض الأمينية اللازمة للجسم، وهي غنية بفيتامين (ب) الذي يفيد في علاج هشاشة الأظافر، وسرعة تشقق الشفتين واضطراب الرؤية (٧١).

١٠ – الإذخر.

والإذخر (٧٢) كما ورد في الحديث النبوي هو الحشيش النابت في الأرض ويكثر في مكة، ويسمى تين مكة أو حلفاء مكة، ويحتوي على زيت (السترونيلا)؛ ولهذا الزيت فوائد عظيمة وخصوصاً في الصناعة، فهو يستعمل كمادة أولية لتصنيع المنتول الذي يستخرج من النعناع، ويستخدم كعطر في صناعة الصابون، ومسحوق العشب الجاف يستعمل كشاي لطرد الغازات وتسكين المغص، وهو أيضاً مطهر للكلى والمسالك البولية (٧٣).

١١ – ماء زمزم.

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ماء زمزم لما شرب له" (٧٤)، وقد أثبتت التحاليل الكيميائية أن ماء زمزم نقي لا لون له ولا رائحة، ذو مذاق رائح قليلاً، وأسه الهايدروجيني (٧.٥)، وتؤكد التحاليل بمقارنتها بالمواصفات العالمية وبخاصة مواصفات منظمة الصحة العالمية، إن ماء زمزم صالح تماماً للشرب، وأثره الصحي جيد، وعنصر الصوديم مرتفع فيه، (٧٥) كما ذكرت العديد من الأطعمة المفيدة من الكتاب والسنة، والتي لا يتسع المجال لبسطها والتي منها على سبيل المثال:

---

(٧٠) مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص١٦١٩.

(٧١) رضا، الطب النبوي، ص٩٥-٩٦.

(٧٢) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٥٣.

(٧٣) رضا، المرجع السابق، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٧٤) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، سنن البيهقي، ج٥، ص١٤٨، د.ط، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

(٧٥) موقع ماء زمزم، WWW,UAEarab.com

البطيخ، والسمك، والقرع (اليقطين) قال تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ (٧٦)، فيونس عليه السلام بعد أن خرج من بطن الحوت، وهو في حالة إعياء وتعب غذاه الله بتلك الشجرة، (٧٧) ولم تغفل التوجيهات القرآنية والنبوية التحذير من بعض الأطعمة التي لها آثار سلبية على الصحة البدنية والنفسية، والتي عبر عنها بالأطعمة المحرمة والتي من أبرزها:

أ – الخمر.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٧٨)، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الخمر:" كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ " (٧٩)، وقال (عليه الصلاة والسلام):" ما أسكر كثيره فقليله حرام " (٨٠)، وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن شرب الخمر يؤدي إلى التهابات في الأمعاء، وزيادة نوبات مرض النقرس، والتخلف العقلي والتشوهات الخلقية للأطفال الذين يولدون من أمهات مدمنات، وغيرها من الأمراض (٨١)؛ لذا أطلق على الخمر أم الخبائث؛ لأنها تذهب العقل وتدفع الإنسان لارتكاب المحرمات.

ب – لحم الخنزير .

وهو من الأطعمة المحرمة في الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ (٨٢)،

---

(٧٦) سورة الصافات، الآية (١٤٦).

(٧٧) رقيط، الرعاية الصحية والرياضة في الإسلام، ص٧٨.

(٧٨) سورة المائدة، الآية (٩٠)، (٩١).

(٧٩) مسلم، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٨٧.

(٨٠) النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (ت: ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، سنن النسائي الكبرى، تحقيق الدكتور: عبدالغفار سليمان البنداري وآخرين، ج٣، ، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٨١) فارس، معز الإسلام عزت، الغذاء والتغذية في الإسلام، من موقع تغذية، www.tagthia\islam.htm.

(٨٢) سورة المائدة، الآية (٣).

فالخنزير: حيوان قذر يعيش على الأوساخ والقاذورات، وهو ما تأباه النفس السوية، وتعافه وترفض تناوله، لما فيه من إخلال بطبع الإنسان ومزاجه السوي الذي خلقه الله عز وجل فيه، ومن ثم فإنه يحتوي على العديد من الميكروبات التي تسبب العديد من الأمراض كما أثبت العلم الحديث؛ لذا حرم أكله الشارع.

ج – ما أُهلّ لغير الله به

ويحرم الإسلام أكل كل ما ذبح لغير الله أو ذكر عليه غير اسم الله عز وجل، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، (٨٣)وهذا الأمر يؤكد ارتباط غذاء الإنسان بعقيدته، وأنه جزء من منظومة العبودية لله عز وجل، فالأكل من غير ما ذبح لله دليل على موافقة الآكل لهذا الأمر وإقراره به.

د – المنخنقة.

كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة فإذا ماتت أكلوها، وقد تنخنق بحبل الصائد، وقد يدخل رأسها بين عودين في شجرة فتنخنق فتموت، وبالجملة فبأي وجه انخنقت فهي حرام، (٨٤) وهذا يؤثر على لحمها، حيث أثبتت بعض الدراسات أن عدم إهراق الدم يؤدي إلى مفاسد كثيرة للحم.

---

(٨٣) سورة الأنعام، الآية (١٢١).

(٨٤) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت: ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق الشيخ: زكريا عميران، ص٥٤٥، ج٢، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.

هـ – الموقوذة.

وهي التي وُقِذَتْ أي: ضُرِبَتْ حتى ماتت من: وَقَذَه أيْ ضَرَبَهُ حتى استَرْخَى، ومنه وَقَذَهُ النُّعَاسُ أيْ: غلبه، ووقذه الحُلُم؛ أيْ: سكنه، وكأنَّ المادة دالَّةٌ على سُكُونٍ واسْتِرخاءٍ، ويدل في الموقوذةِ ما رُمِيَ بالبندقِ فماتَ، وهي – أيضاً – في مَعْنى الميتةِ وفي معنى المنخنقةِ، فإنها ماتَتْ ولم يَسِلْ دَمُهَا. (٨٥)

و – المتردية.

هي التي تتردى من العلو إلى السفل فتموت، كان ذلك من جبل، أو في بئر ونحوه، وهي متفعلة من الردى وهو الهلاك، وسواء تردّت بنفسها أو رداها غيرها، وإذا أصاب السهم الصيد فتردى من جبل إلى الأرض حرم أيضاً؛ لأنه ربما مات بالصدمة والتردي. (٨٦)

ز – النطيحة.

هي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها، فهي حرام، وإن جرحها القرن وخرج منها الدم ولو من مذبحها، (٨٧) والحيوانات في مثل هذه الحالات لا يحل أكلها لأنها ماتت أو قتلت بغير التذكية الشرعية التي تساعد على خروج الدم الضار من الجسم؛ ولذلك فهي تحمل الجراثيم الضارة وتؤدي إلى الإصابة بالأمراض؛ لذلك كانت حكمة تحريم أكل هذه اللحوم.

---

(٨٥) الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي (ت: ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ: عادل أحمد وآخرين، ص١٨٨، ج٧، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٨٦) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، ص٤٩، ج٦، د.ط.ت، دار الشعب، القاهرة.

(٨٧) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، تفسير ابن كثير، ص١١، ج٢، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، بيروت، دار الفكر.

ي – ما أكل السبع إلا ما ذكيتم.

وهو اسم يقع على ما له ناب ويعدو على الإنسان ويفترس الحيوان كالأسد وما دونه، قال قتادة: كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئاً فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقي فحرمه الله، وفي الآية حذف التقدير: وما أكل منه السبع؛ لأن ما أكله السبع فقد نفد ولا حكم له، وإنما الحكم للباقي وهو قوله:" إلاّ ما ذكيتم" (٨٨).

وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام حرم أكل لحوم الحيوانات المفترسة والجارحة التي تتغذى على لحوم حيوانات أخرى، مثل: السباع والقطط والكلاب، بالإضافة إلى الطيور الجارحة مثل: الصقر والنسر والعقاب، وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهى عن كل ذي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ وَكُلِّ ذي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ، (٨٩) وتتميز لحوم هذه الحيوانات بالشدة والقساوة بسبب شد العضلات في جسمها وكبر حجمها؛ وذلك لتتناسب مع حاجاتها في ملاحظة ومهاجمة الحيوانات ومصارعتها والتغلب عليها لافتراسها، فيصعب لذلك هضم وبلع هذه اللحوم والاستفادة منها.

وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يراقب الأطعمة في الأسواق بنفسه، ويتأكد من نظافتها، وكان يمنع الغش في إعدادها، فقد روي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَرَّ على صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فيها فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فقال:" ما هذا يا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قال: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يا رَسُولَ اللَّهِ! قال: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ الناس، من غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي ". (٩٠)

رابعاً الصيام:

---

(٨٨) الذكاء في اللغة: تمام الشيء، ومنه الذكاء في الفهم وفي السن التمام فيها، والمذاكي الخيل التي قد أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان، وتذكية النار رفعها وقوّة اشتعالها، والتذكية كما الذبح، النيسابوري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٥.

(٨٩) ابن حنبل: أحمد، أبو عبد الله الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ص١٤٧ ، ج١، د.ط. ت، مؤسسة قرطبة، مصر.

(٩٠) مسلم، المصدر السابق، ج١، ص٩٩.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾، (٩١) وقال تعالى: ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. (٩٢)، وهناك أحاديث كثيرة تدعو للصيام لما يترتب عليه من فوائد وفضائل، وكما قال أهل التجربة (صوموا تصحوا)؛ لذا كان الصحابة (رضوان الله عليهم) يحرصون على صوم النوافل، فعن عبد الله بن عَمْرِو بن الْعَاصِ (رضي الله عنهما)، قال لي رسول اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "يا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ، فقلت: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: فلا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فإن لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فإن لك بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فإن ذلك صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ إني أجدُ قُوَّةً، قال: فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السَّلَام، ولا تَزِدْ عليه، قلت: وما كان صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السَّلَام؟ قال: نِصْفَ الدَّهْرِ، فَكَانَ عبد الله يقول بَعْدَ ما كَبِرَ: يا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النبي" . (٩٣)

وقد أثبتت بعض الدراسات الحديثة أن في الصيام فوائد صحية كثيرة ففيه راحة للبدن، وإجازة للجهاز الهضمي لإعطائه فترة من الزمن، يستريح فيها من الامتلاء والتفريغ، فيحصل له استجمام وراحة يستعيد بها نشاطه وقوته، ولا شك في أنَّ المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، كما قال طبيب العرب الحارث بن كلدة، وليس من شكٍّ في أنَّ الصوم فيه صحَّة وراحة للإنسان، وأنَّه مقاوم لأمراض عدَّة قد تجتاح جسم الإنسان، أو أنَّه يخفف من وطئتها إذا ابتلي بها البدن، ومن فوائد الصيام الصحية: الوقاية من الأمراض وبخاصة أمراض المعدة، وزيادة الوزن، وزيادة الدهون، وزيادة الضغط، والسكري، والتهاب المفاصل، كما أنه يريح الكليتين، ويقي من البدانة، ويساعد على

---

(٩١) سورة البقرة، الآية (١٨٣).

(٩٢) سورة البقرة، الآية (١٨٤).

(٩٣) البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص٦٩٧.

صفاء الذهن؛ لأن كثرة الأكل والشرب يعقبها كسل في الجسم، وبلادة في الفكر، وميل إلى النوم، إلى غير ذلك من الفوائد. (٩٤)

خامساً: النظافة.

أ – نظافة البدن.

تعد النظافة شعاراً للحضارة الإسلامية، وقد شغلت حيزاً لا بأس به من تعليمات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حتى جعلت النظافة والطهارة من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾، (٩٥) وجعل الوضوء شرطاً من شروط صحة الصلاة والاغتسال من الجنابة واجباً شرعياً لا تصح الصلاة دونه، وجعل من إحسان الوضوء وإسباغه على المكاره علامة مميزة للمؤمنين يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. (٩٦)

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾. (٩٧)

وهناك العديد من التوجيهات النبوية الشريفة التي تدعو إلى النظافة والحرص على حسن المظهر، فعلى سبيل المثال: قال (عليه الصلاة والسلام): "إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين

---

(٩٤) رقيط، الرعاية الصحية والرياضة في الإسلام، ص٨١-٨٣.

(٩٥) سورة البقرة، الآية (٢٢٢).

(٩٦) سورة المائدة، الآية (٦).

(٩٧) سورة النساء، الآية (٤٣).

من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل" [٩٨]، وقال (صلى الله عليه وسلم): "غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ على كل مُحْتَلِمٍ" ، [٩٩] وحين رأى المصطفى (صلى الله عليه وسلم) رجلاً لم يهذب شعر رأسه ولحيته أشار إليه بيده: أن اخرج، كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته، ففعل الرجل ثم رجع، فقال عليه الصلاة والسلام: "أَلَيْسَ هذا خيراً من أَنْ يَأْتِيَ أحدكم ثَائِرَ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ" . [١٠٠]

وقال بشأن نظافة الفم: "لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مع كل صلاة [١٠١]، وقد ثبت أن الغسل بالماء مع استعمال السواك يفوق أي مطهر للفم؛ لما يحتويه من مادة مانعة للتسوس، علاوة على أن به مادة قابضة تساعد على تقوية اللثة، كما دعا المصطفى (صلى الله عليه وسلم) إلى طهارة ونظافة الأماكن التي يتوقع فيها العرق والأوساخ والميكروبات [١٠٢]، بل جعل ذلك من سنن الفطرة؛ فقد قال (صلى الله عليه وسلم):" الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الْآبَاطِ "[١٠٣].

ب – نظافة الثوب.

تعد نظافة الثياب مظهراً من مظاهر نظافة صاحبها، والحرص على جمالها مظهر من مظاهر رقي الذوق عند صاحبها؛ لذا لم تغفل الشريعة الإسلامية السمحاء عن إعطاء هذا الجانب أهمية خاصة؛ لذا نجد القرآن الكريم يأمر المسلمين بأخذ الزينة عند الذهاب للصلاة؛ أي طوال اليوم؛ لأن الصلوات خمس مقسمة على ساعات اليوم من طلوع الفجر حتى صلاة

---

(٩٨) البحاري، صحيح البخاري، ج١، ص٦٣.

(٩٩)المصدر السابق، ج١، ص٣٠٠.

(١٠٠) مالك بن أنس: أبو عبد الله الأصبحي (ت: ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ص٩٤٩، ج٢، د. ط.ت، دار إحياء التراث العربي، مصر.

(١٠١) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٣٠٣.

(١٠٢) السرجاني، راغب الحنفي، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ص٩٢-٩٣، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة.

(١٠٣) البخاري، المصدر السابق، ج٥، ر٢٢٠٩.

العشاء، قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾. (١٠٤)

وقد حرصت التوجيهات القرآنية والنبوية الحرص على نظافة الثوب، وهناك أبواب واسعة في كتب الحديث والفقه تتحدث عن طهارة الثوب من النجاسات وما يتعلق بها؛ مما يثير الإعجاب والدهشة لكل من يطلع عليها، حيث تبرهن على حرص هذه الأمة على النظافة، في وقت كان العالم آنذاك في كثير من أجزائه يعتبر الوسخ عاملاً من عوامل صحة البدن.

ولعل من أبرز التوجيهات النبوية الشريفة في هذا المجال دعوة المسلم إلى الصلاة، وخصوصاً صلاة الجمعة، بثياب نظيفة، فقال (عليه الصلاة والسلام):" ما على أَحَدِكُمْ إن وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِجُمُعَتِهِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ "، (١٠٥) وبين (عليه الصلاة والسلام) أن الحد الأدنى لعدد مرات الاغتسال مرة واحدة في الأسبوع، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال (صلى الله عليه وسلم):" حَقٌّ لِلَّهِ على كل مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ في كل سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ "، (١٠٦) لا بل أنه عد الاغتسال يوم الجمعة سنة من سننه، فقال:" يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ هذا يَوْمٌ جَعَلَهُ الله عِيداً فَاغْتَسِلُوا، وَمَنْ كان عِنْدَهُ طِيبٌ فَلاَ يَضُرُّهُ أَنْ يَمَسَّ منه وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ"، (١٠٧) وجعل المصطفى (عليه الصلاة والسلام) من كمال النظافة استعمال الطيب ليضاف إلى جمال الثياب ونظافة البدن طيب الرائحة، فكما جاء في الحديث السابق كان (عليه الصلاة والسلام) يدعو أمته إلى التطيب وخصوصاً في الأعياد والجمع، وأمر من يأكل الثوم

---

(١٠٤) سورة الأعراف، الآية (٢٦).

(١٠٥) ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ص٣٤٩، ج١، د.ط.ت، دار الفكر، بيروت.

(١٠٦) مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص٥٨٢.

(١٠٧) مالك، الموطأ ج١، ص٦٥.

والبصل ألا يشهد صلاة الجماعة؛ لأنه يؤذي المصلين برائحته، فقال (صلى الله عليه وسلم):"من أكل من هاتين الشجرتين فلا يقربنا في مسجدنا. "(108)

ج – نظافة المساكن، والطرق، والبيئة.

أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) على نظافة المسكن الذي يسكنه الإنسان المسلم، قال (عليه الصلاة والسلام):" إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَنَظِّفُوا أُرَاهُ قال أَفْنِيَتَكُمْ ولا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ "، (109) وكذلك حث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) على نظافة بيوت الله، فقد رَأَى بُصَاقاً في جِدَارِ الْقِبْلَةِ فَحَكَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ على الناس فقال:" إذا كان أحدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، فإن اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صلى"، (110) وهكذا غدت نظافة المساجد من شعائر الإسلام؛ لأنها معدة لأداء الصلاة، واجتماع المسلمين وطلب العلم، والتفقه بالدين، فيجب أن تكون نظيفة، طيبة الرائحة، وإلا نفر من دخولها المصلون وطلبة العلم.

ولعل المتأمل لمواصفات حجرات المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يلاحظ أنها قد خططت على أرقى المواصفات الصحية للمترل الصحي، فقد ذكرت بعض المصادر مواصفات الحجرات، ومما جاء فيها أن مسكن النبي (صلى الله عليه وسلم)" من أعدل المساكن، وأنفعها، وأوفقها للبدن، وحفظ صحته، فقد كان يقيه من الحر والبرد، ويستره عن العيون، ويمنعه من رواج الدواب، ولا يخاف سقوطها لفرط ثقلها، ولا تعشش فيها الهوام لسعتها، ولا تعتور عليها الأهوية والرياح المؤذية لارتفاعها، وليست تحت الأرض فتؤذي ساكنها، ولا في غاية الارتفاع عليها، بل وسط، وتلك أعدل المساكن وأنفعها.

---

(108) المقدسي: محمد بن طاهر (ت: 507هـ/ 1113م)، ذخيرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، ص2224، ج4، ط1، 1416هـ/ 1996م، دار السلف، الرياض.

(109) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي (ت: 279هـ/ 892م)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، ص111، ج5، د.ط.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(110) مسلم، المصدر السابق، ج1، ص388.

ولم يكن فيها كنف تؤذي ساكنها برائحتها، بل رائحتها من أطيب الروائح؛ لأنه كان يحب الطيب، "(١١١) وهي مواصفات جديرة بأن تأخذ بعين الاعتبار عند تخطيط المدن، والمنازل الخاصة؛ لأنها اشتملت على أروع المواصفات الصحية، وقد اهتم المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بنظافة الطرقات، واعتبر إماطة الأذى في الطرقات صدقة، قال عليه الصلاة والسلام:" أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، ما من عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ منها رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إلا أَدْخَلَهُ الله بها الْجَنَّةَ، قال حَسَّانُ: فَعَدَدْنَا ما دُونَ مَنِيحَةِ الْعَنْزِ، من رَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الْأَذَى عن الطَّرِيقِ ". (١١٢)

ومن توجيهاته (صلى الله عليه وسلم) في الحفاظ على البيئة (*) أنه نهى أن يبول الإنسان في مكان الاستحمام:" لا يبولن أحدكم في مستحمه، فإن عامة الوسواس منه. " (١١٣)

كما نهى النبي (عليه الصلاة والسلام) عن البول في الماء الراكد؛ حتى لا يصبح وسيلة لجلب الجراثيم والأمراض، إذا رميت فيه القاذورات أو تعرض للتلوث، وبما أن الماء من عناصر الحياة الرئيسية والمهمة الخادمة للنظافة، فقد أمر المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بالمحافظة عليه وعدم الإسراف في استخدامه، فقد أمر سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) بعدم الإسراف في الوضوء، فقد مر بِسَعْدٍ وهو يَتَوَضَّأُ، فقال:"ما هذا السَّرَفُ؟ فقال: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قال: نعم، وَإِنْ كُنْتَ على نَهَرٍ جَارٍ" (١١٤) .

---

(١١١) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص١٨٤، ١٨٥.

(١١٢) البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص٩٢٧.

(*) البيئة لغةً: من بوأ، وتبوأ المكان حله، وأنه لحسن البيئة أي هيئة التبوء، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٧٦، أما تعريفها اصطلاحاً: هي الإطار الذي يحيا فيه الإنسان، ويستمد منه كل مقومات حياته، وبقدر ما يحسن الإنسان التعامل مع بيئته، ويعمل على تنميتها واستغلال مصادرها استغلالاً راشداً، فإنه يستطيع المحافظة على معيشته، وإشباع حاجاته، وتطوير أساليب حياته، انظر: أرناؤوط، محمد السيد، الإنسان وتلوث البيئة، القاهرة، ص١٢، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

(١١٣) النسائي، سنن النسائي، ج١، ص٧١.

(١١٤) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج١، ص١٤٧.

ومن مظاهر اهتمامه (صلى الله عليه وسلم) بالمحافظة على نظافة وسلامة البيئة، تشجيعه للأمة على التشجير، حيث قال:" ما من مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً أو يَزْرَعُ زَرْعاً فيأكُلُ منه طَيْرٌ أو إِنْسَانٌ أو بَهِيمَةٌ إلا كان له بِهِ صَدَقَةٌ "، [115] بل أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) بغرس الشجر ولو أزف يوم القيامة؛ فعن أنس (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها". [116]

وليس هناك حث وتحريض على الغرس والتشجير أقوى من هذا الحديث؛ لأنه يدل على الطبيعة المنتجة والخيرة للإنسان المسلم، فهو بفطرته عامل معطاء للحياة، كالنبع الفياض، لا ينضب ولا ينقطع، حتى أنه ليظل يعطي ويعمل، وقد عرف تعمير الأرض في الفقه الإسلامي باسم (إحياء الموات)، والموات: هي الأرض الدارسة الخربة، والتعبير مقتبس من حديث النبي (صلى الله عليه وسلم):" من أحيا أرضاً ميتة فله أجر فيها، وما أكلت العافية منها فهو له صدقة "، [117].

فالإسلام من جهة أمر بالنظافة، ونهى عن أشكال وصور القذارة، ومن الجهة الأخرى حث على التشجير والغرس؛ ولهذا كانت البيوت والمدن الإسلامية منذ عصر الرسالة والعصور الإسلامية التالية عظيمة الجمال والرقي والتنظيم، ومن مظاهر اهتمامه بالمحافظة على البيئة، أنه خصص (صلى الله عليه وسلم) في المدينة أماكن خاصة لقضاء الحاجة (المناصع) [118] في أطراف المدينة.

بعضها للرجال وبعضها الآخر للنساء، وأخيراً فقد حرص المصطفى (صلى الله عليه وسلم) على عدم ترك آنية الماء أو الطعام مكشوفة، كما أرشدنا إلى كيفية تعقيم وتطهير الأواني

---

(115) البخاري، صحيح البخاري، ج2، ص817.

(116) البخاري، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ص168، ج1، ط2، 1409هـ/ 1989م ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

(117) القرشي، يحيى بن آدم (ت: 203هـ/ 818م)، الخراج، ص89، ج1، ط1، 1394 هـ/ 1974م المكتبة العلمية، باكستان.

(118) المناصع: المواضع التي يتخلى فيها لبول أو غائط أو لحاجة، الواحد منصع، لأنه يبرز إليها ويظهر، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص356.

إذا تعرضت إلى تلوث من لعاب الكلب، حيث أوصى بغسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات، أولاهن بالتراب، لقوله (صلى الله عليه وسلم):" إذا وَلَغَ الْكَلْبُ في إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيُرِقْهُ، ثُمَّ لِيَغْسِلْهُ سَبْعَ مِرَارٍ "، (١١٩) إن الكلاب تحمل الكثير من الجراثيم والأمراض؛ لذا نجد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ينهى عن اقتناء الكلاب إلا للحراسة.

سادساً: الرياضة.

من التدابير الوقائية التي دعا إليها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) رياضة البدن وتحريك الجسم وتحصيل اللياقة البدنية وجمال الشكل، والأصل الشرعي لهذا الاتجاه قول الرسول (عليه الصلاة والسلام): "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللَّهِ من الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ". (١٢٠)

وممارسة الرياضة في المفهوم الإسلامي تتم بطريقة منظمة لكل الأعمار من خلال الصلوات الخمس، ففيها يتم تحريك جميع عضلات الجسم القابضة والباسطة، وتنشيط القلب والدورة الدموية، (١٢١) وهناك الحج: الذي يتضمن رياضة شاقة كالطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة والتنقل بين منى والمزدلفة، قال تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾. (١٢٢)

وكان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يتمتع بلياقة بدنية عالية، فقد كان قوي البنية، قوي الاحتمال والجلد، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال:" ما رأيت شيئاً أَحْسَنَ من رسول اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) في مِشْيَتِهِ كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى له، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ ". (١٢٣)

ومن أبرز الرياضات التي حث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على ممارستها:

---

(١١٩) مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص٢٣٤.

(١٢٠) مسلم، المصدر السابق ، ج٤، ر ٢٠٥٢.

(١٢١) رقيط، الرعاية الصحية والرياضة في الإسلام، ص٩٢.

(١٢٢) سورة الحج، الآية (٢٨).

(١٢٣) الترمذي، سنن الترمذي، ح٥، ص٦٠٤.

أ – الرماية.

تعد الرماية بالسهم والقوس من أحب الرياضات عند المسلمين؛ لأنها من أدوات الحرب الأساسية، فقد كان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يشجع المسلمين على ضرورة تعلمها فأتقنوها، وجاء في صحيح مسلم عن عقبة بن نافع أنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وهو على الْمِنْبَرِ يقول:" وَأَعِدُّوا لهم ما اسْتَطَعْتُمْ من قُوَّةٍ، ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ "، (١٢٤) كما أنه أمر المسلمين بعدم التفريط في هذه الرياضة فقال:" من عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا أو قد عَصَى "، (١٢٥) وقال أيضاً:" إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ الثَّلَاثَةَ الْجَنَّةَ، صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ وَالْمُمِدَّ بِهِ، وقال: ارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ من أَنْ تَرْكَبُوا، وَكُلُّ ما يَلْهُو بِهِ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ، إلا رمية بِقَوْسِهِ ... " (١٢٦)

وتقديراً لكفاءة الرامي الجيد، كان (صلى الله عليه وسلم) يختار أمهر الرماة من المسلمين لقيادة سراياه، وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن عنصر الدقة من الخصائص الفسيولوجية المعقدة، التي هي أحد مكونات الرشاقة، حيث إنها تتوقف على القياس بالذراع أو المسافة والإحساس بالزمن، وهذان العنصران نجدهما مرتبطين معاً في رياضة الرماية التي حث عليها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قبل ١٤٠٠عام. (١٢٧)

ب – الفروسية.

من المتعارف عليه اليوم أن الفروسية من أفضل الرياضات التي تحتاج إلى لياقة عالية، فضلاً عن كونها لازمة من لوازم الجهاد في سبيل الله؛ لذا نجد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

---

(١٢٤) مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص١٩١٦.

(١٢٥) المصدر السابق ، ج٣، ر ١٥٢٢.

(١٢٦) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج٢، ص٩٤٠.

(١٢٧) سالم، مختار، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، مراجعة الشيخ: أحمد محيي الدين العجوز، ص٢٠٤، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مؤسسة المعارف للنشر، بيروت.

يحث أمته على العناية بها؛ لأن الفروسية تشجع المسلمين على اكتساب القوة البدنية، والجرأة والشجاعة، والنبل والشهامة، والثقة بالنفس لرفع الروح المعنوية، ليكونوا رجال حرب وجهاد، وأصحاب قوة ومنعة، لمحاربة الأعداء، وقد نوه الله تعالى بالخيل وأثنى عليها وعلى فرسانها في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾. (١٢٨)

هناك العديد من الأحاديث النبوية التي تؤكد أهمية الفروسية واقتناء الخيل، قال (عليه الصلاة والسلام):" الْخَيْلُ مَعْقُودٌ في نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "، (١٢٩) وقال (عليه الصلاة والسلام):" من احْتَبَسَ فَرَساً في سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَاناً بِاللَّهِ وَتَصْدِيقاً بِوَعْدِهِ فإن شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ في مِيزَانِهِ يوم الْقِيَامَةِ ". (١٣٠)

وجاء في كتاب الخيل للتيمي عن أهمية الخيل(*) عند المسلمين في عهد الرسول(عليه الصلاة والسلام):" قال أبو عبيدة (١٨هـ/٦٣٩م): فلم تزل العرب على ذلك من تثمير الخيل، والرغبة في اتخاذها، وصيانتها، والصبر على مقاساة مؤنتها، مع جدوبة بلادهم، وشدة حالهم في معيشتهم، لما كان لهم فيها من العز، والمنعة، والجمال، حتى جاء الله بالإسلام، فأمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) باتخاذها، وارتباطها لجهاد عدوّه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (١٣١)، فتأخذها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحض المسلمين على ارتباطهم، فكان رسول الله (صلى عليه وسلم) من أرغب الناس فيها، وأصونهم لها، وأشدهم إكراماً لها، وحباً وعجباً بها، حتى أنه كان ليتسار

---

(١٢٨) سورة العاديات، الآيات (١، ٤).

(١٢٩) البخاري، صحيح البخاري، ج٣، ص١٠٤٧.

(١٣٠) المصدر السابق ، ج٣، ص١٠٤٨.

(*) من أشهر أسماء الخيل التي اقتناها الرسول (عليه الصلاة والسلام): سبحة، اللحيف، الظرب، السكب، ذو العقال، الشحاء، الورد، ذو اللمة، انظر: التاجي، محمد بن علي بن كامل الصاحبي (ت: ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ص٦١-٧٠، ج١، د.ط.ت، دار البشائر، دبي.

(١٣١) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

بصهيل الخيل يسمعه، ويسبق بينها ويعطي على ذلك السبق، ويمسح وجه فرسه بثوبه، حتى جاءت عنه بذلك الآثار ورواه الثقاة من أهل العلم والصدق، وأسهم للفرس سهمين وللرجال سهماً واحداً من المغانم "[(١٣٢)]؛ لذا ليس مستغرباً أن تكون الخيول محل مدح الشعراء واحتفاء الأمراء، قال –على سبيل المثال– سلمة بن هبيرة الضبي يذكر فرسه:

نُوَلِّيها الصَّريحَ إذا شَتَونا على عِلاَّتنا ونَلِي السَّــمارا

رجـــاءً أنْ تـــوَدِّيَهُ إلينا من الأعداءِ غَصْباً واقْتِسارا.[(١٣٣)]

ج – المبارزة.

وكانت المبارزة من أهم الرياضات وفنون القتال عند العرب، وكان من أشهر المبارزين في عصر الرسالة سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حيث كان من أعظم وأقوى لاعبي السيف من المسلمين، واشتهر بالدقة والمهارة، والسرعة الفائقة في استخدام السيف، وتشهد على ذلك نتائجه في غزوات بدر، وأحد، والخندق، وحنين وغيرها، فقد أكد الواقدي في كتابه المغازي، أن علياً من أسرع المبارزين في التخلص من خصومه" .[(١٣٤)]

إن رياضة المبارزة تحتاج أكثر من غيرها من الرياضات إلى العديد من المهارات والمكونات الشخصية والبدنية والنفسية، فهي بحاجة للشجاعة، والثقة بالنفس، والمهارة والدقة في الأداء، والذكاء مع القدرة على التفكير المتزن المنظم، وسرعة البديهة، وهذه تحتاج إلى تدريب مستمر وقدرة تحمل.

---

(١٣٢) التيمي: أبو عبيدة معمر المثنى (ت: ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، الخيل، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، ص١، ج١، ط١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م، دار نهضة مصر، السعودية.

(١٣٣) التيمي، المصدر السابق، ج١، ص١.

(١٣٤) الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر واقد (ت: ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، المغازي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ص٩٦، ج١، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

ج – السباحة.

لم تقتصر توجيهات المصطفى (صلى الله عليه وسلم) على لون واحد من ألوان الرياضات؛ حتى لا تمل النفوس، بل راعى كل البيئات والمراحل العمرية، فنجده يشجع على تعلم السباحة، تلك الرياضة التي يوصي بها الأطباء اليوم فقال (صلى الله عليه وسلم): "حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي، وأن يورثه طيباً" . (١٣٥)

وكان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يمارس رياضة السباحة مع أصحابه ليقتدوا به، ويواظبوا على ممارستها لما لها من فوائد صحية، حيث قال لأصحابه ذات مرة: "ليسبح كل رجل إلى صاحبه" ، فسبح كل رجل منهم إلى صاحبه، حتى بقي رسول الله وأبو بكر، فسبح رسول الله (عليه الصلاة والسلام) إلى أبي بكر (رضي الله عنه)، حتى اعتنقه، وقال: "لو كنت متخذاً خليلاً حتى ألقى الله لاتخذت أبا بكر خليلاً، لكن أخي وصاحبي" . (١٣٦)

سابعاً: الحجر الصحي.

هناك أحاديث نبوية صحيحة كثيرة تدعو إلى اتخاذ التدابير الوقائية تجاه العدوى والأمراض المعدية، قال عليه الصلاة والسلام: "وَفِرَّ من الْمَجْذُومِ كما تَفِرُّ من الْأَسَدِ" ، (١٣٧)، وقال أيضاً: "لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ" ، (١٣٨) وبين المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الإجراءات الصحية التي تمنع من انتشار الأمراض المعدية، ومنها على سبيل المثال قوله في الطاعون: "إذا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بها فلا تَخْرُجُوا فِرَاراً منه". (١٣٩)

---

(١٣٥) البيهقي، سنن البيهقي، ج١٠، ص١٥.

(١٣٦) السيوطي، الباحة في السباحة، تحقيق: أحمد عبد الله باجور، ص٧٤، ج١، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٥م، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة.

(١٣٧) البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ر ٢١٥٨.

(١٣٨) مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٤٣.

(١٣٩) البخاري، المصدر السابق، ج٥، ص٢١٦٣.

وهذا الحديث يبين لنا كيف أن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وضع أساس الحجر الصحي لمكافحة الأوبئة، والحد من انتشارها والفتك بالناس، فطلب من أهالي البلاد التي انتشر فيها الطاعون (*) عدم الخروج منها؛ حتى لا تنتشر العدوى في البلاد المجاورة، ولا تنتقل الأمراض إليهم، وهذا ما يعمل به اليوم.

ومن الأمثلة على حرصه (صلى الله عليه وسلم) على عدم انتقال العدوى، موقفه من مجذوم (**) ثقيف (١٤٠) الذي جاء إلى المدينة، فَأَرْسَلَ إليه النبي (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّا قد بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ" ، (١٤١) وأمر (صلى الله عليه وسلم) بقتل الكلاب المسعورة؛ حتى لا تنقل مرضها للإنسان (١٤٢)، وهكذا نجد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يوجه الأنظار للأمراض المشتركة التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان، كما نجده بتوجيهاته تلك يؤسس لما عرف فيما بعد بالطب الوقائي.

(*) الطاعون الموت من الوباء والجمع الطواعين، انظر: الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، ص١٦٥، ج١، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

(١٤٠) ثقيف: **ثقيف** اسم قبيلة عربية في مدينة الطائف في جزيرة العرب تقيم منذ ما قبل الإسلام وهي قبيلة كبيرة ذات ماضٍ عريق وشريف. وينتسب إليها عدد من الصحابة والفاتحين والولاة في عصر الفتوحات العربية الإسلامية، وثقيف هو قسي بن مبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس بن عيلان واسمه إلياس بن مضر وأمها ليلى بنت عوف بن قسي وهو ثقيف وأم وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٠.

(١٤١) مسلم، المصدر السابق، ج٤، ر ١٧٥٢.

(**) الجذام: مرض الجذام فهو (بالكسر أصل الشيء)، و (الجذم) بالفتح القطع، وهو مصدر من باب ضرب، ومنه يقال (جذم) الإنسان بالبناء للمفعول، إذا أصابه (الجذام) لأنه يقطع اللحم ويسقطه وهو مجذوم، انظر: الرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص٩٤، ج١، د.ط.ت، المكتبة العلمية، بيروت.

(١٤٢) الرافعي، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٥.

ثامناً: الصحة النفسية (*).

لقد أكد الطب الحديث خطورة الأمراض النفسية على صحة الإنسان، فالقلق، والكآبة، والحزن والغضب، والاضطرابات النفسية، لها آثار سيئة على أنسجة أعضاء الجسم وصحته، والإسلام لم يدع الإنسان تفتك به هذه الأمراض، بل أرشده إلى ما يحميه من شرها، ودله على طرائق علاجها، فالمتأمل لسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) يجد أنه وضع برنامجاً نفسياً متكاملاً يحمي الإنسان المسلم من الاضطرابات وما يصاحبها من أمراض، ومن أبرز معالم هذا البرنامج:

- التركيز على تعميق الإيمان بالله، والربط بين ضعف الإيمان والضغوط النفسية التي يتعرض لها الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴾.(١٤٣)
- كما طالب المسلم بتجاوز وساوس النفس البشرية، وأن لا يجعلها في بؤرة اهتمامه، قال (عليه الصلاة والسلام): " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عن أُمَّتِي ما وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا ما لم تَعْمَلْ أو تَكَلَّمْ "،(١٤٤) وحث الأمة الإسلامية على الواقعية في التفكير، وعدم الندم على ما فات، والحرص على مواصلة المسيرة رغم العقبات قال (عليه الصلاة والسلام): " احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ولا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كان كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وما شَاءَ فَعَلَ فإن لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ".(١٤٥)

(*) الصحة النفسية: ليس هناك تعريف موحد للصحة النفسية، إذ اختلفت تعريفاتها اختلافاً كبيراً، فمنهم من عرف الصحة النفسية بعبارات محددة، ومنهم من وضع فيها مجموعة من الخصائص السلوكية، والبعض الآخر عرف الصحة النفسية بمجموعة من الخصائص في إطار معين، ويمكن القول إن الصحة النفسية هي: التكيف والتوافق النفسي، الذي يهدف إلى تماسك الشخصية ووحدتها، وتقبل الفرد لذاته وتقبل الآخرين له، انظر: موقع مقاتل من الصحراء، WWW.moqatel.com.

(١٤٣)– سورة طه، الآيات(١٢٤، ١٢٥، ١٢٦).

(١٤٤)– البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص٨٩٤.

(١٤٥)– مسلم، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٥٢.

وقد أمر الشارع المسلم بالتسلح بالدعاء والأذكار في معالجة الكرب والهم والحزن، تلك الأمراض التي كان يستعيذ منها المصطفى(صلى الله عليه وسلم) فكان من دعائه: " اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ ".(١٤٦)

وكان المصطفى(صلى الله عليه وسلم) يقول عند الكرب: " لَا إِلَهَ إلا الله الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إلا الله رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إلا الله رَبُّ السماوات وَرَبُّ الأرض وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ"،(١٤٧) وقال(عليه الصلاة والسلام) عن أهمية الاستغفار:"من لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ الله له من كل هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كل ضِيقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ من حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ"،(١٤٨) وكان (صلى الله عليه وسلم) إذا حزبه أمر لجأ إلى الصلاة.

وبين المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أن طلاقة الوجه والتبسم في وجوه الآخرين علامة من علامات الصحة النفسية، وأن من صفات أهل الجنة أن وجوههم تعلوها البسمة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ (١٤٩)؛ لذا كان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أكثر الناس تبسماً، وكان يمازح أصحابه ويلاطفهم، ولكنه لا يقول إلا حقاً، وقد روي عن عبد الله بن الحارث (رضي الله عنه) قال: "ما رأيت أَحَداً أَكْثَرَ تَبَسُّماً من رسول اللَّهِ" ، (١٥٠) وقد اعتبر بشاشة المسلم في وجه أخيه صدقة، قال: "تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ لك صَدَقَةٌ"، (١٥١) وفي رواية أخرى: (تبسمك في وجه أخيك في الدين لك صدقة).(١٥٢)

---

(١٤٦)-البخاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٠٥٩.

(١٤٧)- المصدر السابق نفسه، ج٥، ص٢٣٣٦.

(١٤٨) – ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج٢، ر ١٢٥٤.

(١٤٩)-سورة عبس، الآية (٣٨، ٣٩).

(١٥٠)-الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص ٦٠١.

(١٥١)-المصدر السابق، ج٤، ص ٣٣٩.

(١٥٢)-المصدر السابق والصفحة.

إنها أفعال بسيطة، سهلة، غير مكلفة ولا مجهدة، وتعطي راحة نفسية رائعة وجميلة وتبعد عنها الكآبة والهم والحزن، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "لَا تَحْقِرَنَّ من الْمَعْرُوفِ شيئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ" . (١٥٣) وهذه البسمة لها أثر طيب في نشر المودة والرحمة والخير بين الناس، بما يصبغ المجتمع بالأمان والإخاء والألفة.

وقدّ أكد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) على الكلمة الطيبة وما لها من آثار إيجابية في النفس البشرية، قال: "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لم تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ" (١٥٤)، وقال أيضاً: "الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ" (١٥٥)، إذن، فالكلمة الطيبة دليل على الصحة النفسية لقائلها، والكلمة الطيبة -كما هو معلوم- تقلب الضغائن التي في القلوب إلى محبة ومودة، وتشيع جواً نفسياً مريحاً. (١٥٦)

تاسعاً: الرعاية الصحية والطبية للأطفال والنساء.

أ – العناية بصحة الأطفال والنساء.

إن مستقبل الأمم في صحة أطفالها، فالأمة التي تسعى إلى حماية أطفالها وتربيتهم على الأسس الصحية السليمة تساهم في صنع غد أفضل ينبض بالخير ويبشر بالأمل، وقد وضعت الشريعة الإسلامية تدابير وقائية لحماية الطفل حتى قبل أن يتكوّن؛ وذلك من خلال الحرص على: اختيار الأم الصالحة له، حيث قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ" ، (١٥٧) وفي رواية أخرى قال (عليه الصلاة والسلام): "تخيروا لنطفكم، فإن عرق السوء يدرك ولو بعد حين". (١٥٨)

---

(١٥٣) مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ر ٢٠٢٦.

(١٥٤) البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ر٢٢٤١.

(١٥٥) المصدر السابق، ج٣، ر١٠٩٠.

(١٥٦) موقع صيد الفوائد، www.saaid.net

(١٥٧) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج١، ص ٦٣٣.

(١٥٨) الجصاص: أحمد بن علي الرازي أبو بكر (ت: ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، أحكام القرآن للجصاص، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي، ص١٢٧، ج٣، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وقال (صلى الله عليه وسلم): "تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ." (١٥٩) وقال (عليه الصلاة والسلام): "إياكم وخضراءَ الدِّمَن، قالوا: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء" (١٦٠).

وقد أثبت العلم الحديث أن الطفل يكتسب صفات أبوية، سواء منها الخلقية أو العقلية منذ الولادة، وحذر المصطفى (صلى الله عليه وسلم) من زواج القرابة، حيث أكد علم الوراثة اليوم أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفاً من ناحية الجسم والذكاء، ولعل المتأمل لحقوق الطفل التي كفلتها الشريعة الإسلامية في المجال الصحي ينبهر من تلك التفاصيل الصغيرة والكبيرة، حيث ابتدئ من ضمان حياته في بطن أمه، وكفالة حقوقه حتى قبل مولده، بالإضافة لحقه في الحضانة والحياة، والرضاعة، والختان، والرعاية والكفالة حتى لو ولد بطريق غير مشروع.

كما أن حقوق اللقيط (*) في الإسلام وما أحاطه من حقوق دفعت المنظمات الدولية الحقوقية والخاصة بالطفولة إلى تبني تلك التشريعات الإسلامية، وقد كفلت التشريعات الإسلامية حق الطفل في الرضاعة، فأمرت بإرضاع الطفل وحضانته حولين كاملين، قال تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾، (١٦١) حيث أثبتت البحوث والدراسات الصحية والنفسية أن فترة عامين ضرورية لنمو الطفل نمواً سليماً من الوجهة الصحية والنفسية (١٦٢)، وأكد العلم الحديث أن حليب الأم يحتوي على الكثير من الفوائد الصحية لطفلها وحمايته من الأمراض المعدية، وضد

---

(١٥٩) البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص ١٩٥٨.

(١٦٠) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، العقد الفريد، ص٧، ج٣، ط٣، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(*) اللقيط لغةً: اسم لشيء موجود، فعيل بمعنى مفعول، كالقتيل والجريح بمعنى المقتول والمجروح، وفي الشريعة: اسم لحي مولود طرحه أهله خوفاً من العيلة، أو فراراً من تهمة الريبة، مضيعه آثم ومحرزه غانم، لما في إحرازه من إحياء النفس فإنه على شرف الهلاك وإحياء الحي بدفع سبب الهلاك، انظر: السرخسي، شمس الدين (ت: ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)، المبسوط، ص٢٠٩، ج١٠، د.ط.ت، دار المعرفة، بيروت.

(١٦١) سورة البقرة، الآية (٢٣٣).

(١٦٢) البلوي، سلامة محمد الهرفي: الطفولة في ظل الحضارة الإسلامية، ص٣٢، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، مكتبة الصحابة، الشارقة .

الحساسية، ودرجة الحرارة، كما أن حليب الأم يحمي الطفل من خطر السمنة والبدانة التي تلحق به أخطر الضرر.

ب – رعاية المرضى.

من الآداب التي جاء بها الإسلام وحث عليها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) عيادة المريض، وقد اعتبرها من حقوق المسلم على أخيه المسلم، وكان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يقوم بعيادة المريض بنفسه، والاطمئنان عليه، والدعاء له، حيث حث المصطفى (عليه الصلاة والسلام) على فعل هذا الأمر لقوله: "فُكُّوا الْعَانِيَ، يَعْنِي الْأَسِيرَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ"،[١٦٣] وقال (عليه الصلاة والسلام) عن الأجر الذي يناله المسلم لعيادة أخيه المريض: "من عاد مريضاً أو زار أخاً له بعث الله إليه منادياً من السماء أن طبت وطاب ممشاك، قد تبوأت من الجنة مترلاً" ،[١٦٤] وقول المصطفى (صلى الله عليه وسلم): إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: "يا ابن آدَمَ، مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي، قال: يا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَاناً مَرِضَ فلم تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ".[١٦٥]

ولا يجد المرء أروع ولا أبلغ من هذا التصوير لفضل عيادة المريض ومثوبته عند الله، حتى أن الله جل جلاله ليجعل عيادة المريض كأنما هي عيادة له، وهذه الأحاديث كلها تدل على أهمية هذا الأدب الإسلامي الذي رغّبت فيه السنة النبوية القولية والعملية، ولقد عاد المصطفى (عليه الصلاة والسلام) غلاماً يهودياً كان يخدمه، فعن أَنَسٍ (رضي الله عنه) قال: "كان غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النبي (صلى الله عليه وسلم) فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النبي (صلى الله عليه وسلم) يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فقال له: أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إلى أبيه وهو عِنْدَهُ فقال: له أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ (صلى الله عليه

(١٦٣) البخاري: صحيح البخاري، ج٣، ر ١١٠٩.

(١٦٤) المصري، عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبو محمد (ت: ١٩٧هـ/ ٨١٢م): الجامع في الحديث، تحقيق الدكتور: مصطفى حسن حسين أبو الخير، ص٢٥٥، ج١، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار ابن الجوزي السعودية.

(١٦٥) مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ر ١٩٩٠.

وسلم)، فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول: الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أَنْقَذَهُ من النَّارِ"(١٦٦) وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) عند عيادته للمريض يهوّن عليه مرضه، ويبشره بحصول الشفاء والعافية إن شاء الله تعالى، فإن ذلك يطيب نفس المريض؛ لقوله (عليه الصلاة والسلام): "لَا بَأْسَ طَهُورٌ إن شَاءَ اللهُ". (١٦٧)

وخلاصة الأمر أن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قد راعى وفهم نفسية الإنسان عندما يمرض، فيعرف أنه سوف يعجز ويقنط؛ لهذا كان يقوم بعيادته، ويمنحه الأمل والتفاؤل بالشفاء، ويدعو له، ويعلم أن هذا المرض ما هو إلا تكفيراً لذنوبه، وأكدت الدراسات الحديثة أن الروح المعنوية العالية عند المريض تسرع من شفائه، والعكس صحيح.

ج – رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة (*).

لقد أحدث الإسلام انقلاباً جذرياً في النظرة إلى الفئات الخاصة، فمع بزوغ فجر الإسلام وبعد أن أصبح للمسلمين دولة، انتقل الاهتمام بتلك الفئات من مجرد مبادرات فردية يغلب عليها الشفقة، إلى تبني الدولة لها كنظام عبر مجموعة من التشريعات والقوانين التي أخذت ترعى تلك الفئات ، وتكفل لها حقوقها ، وتتلمس احتياجاتها، وتضعها في المكانة الاجتماعية التي تليق

---

(١٦٦) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٤٥٥.

(١٦٧) المصدر السابق، ج٥، ر٢١٤٣.

(*) ذوو الاحتياجات، ومنهم أصحاب العاهات وهم: الصم، والبكم، والعميان، والبرصان، والعرجان، والزّمنى ممن يندرجون ضمن فئة المعوقين جسدياً، وبعض هؤلاء قد يولد حاملاً لتلك العاهات، والبعض الآخر يصاب أثناء عمليات الفتح وغيرها، انظر: الخطيب، منصور محمد أحمد، رعاية الفئات الخاصة وإسهاماتها في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د سلامة محمد الهرفي البلوي، جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٣٥.

بها. [١٦٨]. وقد اهتم المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بفئة المعوقين [١٦٩] اهتماماً خاصاً، بطمأنتهم، وتشجيعهم، وتحفيزهم، وإشعارهم بحب المجتمع لهم، حيث رفع (عليه الصلاة والسلام) من معنوياتهم من خلال أحاديثه التي تدعو إلى الصبر على ذلك البلاء، وربط قلب المعاق ببيان عظم الأجر والثواب، قال (عليه الصلاة والسلام): "عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ، إن أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً له، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً له" . [١٧٠]

وقال أيضاً (عليه الصلاة والسلام): "لَا تُصِيبُ الْمُؤْمِنَ شَوْكَةٌ فما فَوْقَهَا إلا قَصَّ الله بها من خطيئته"، [١٧١] وبشر المصطفى (عليه الصلاة والسلام) أصحاب العاهات بأن الابتلاء سبب لبلوغ المترلة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى، والتي لا توصلهم إليها أعمالهم، قال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ الرَّجُلَ لِتَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ

---

(١٦٨) الخطيب، المرجع السابق، ص٣٥.

(١٦٩) المعوق في اللغة: عقته عن الشيء عوقاً، صرفته وحبسته، وأصله عوقت، ويقصد بالزمنى لغة: زمن الشخص زمناً وزمانة، فهو زمن، من باب تعب، وهو مرض يدوم زماناً طويلاً، والقوم زمنى، مثل مرضى، انظر: ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، بيروت دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٢، ص٢٧٠؛ وانظر: الرافعي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٦، أما المعوق اصطلاحاً: كل شخص مصاب بقصور كلي أو جزئي بشكل مستقر في قدراته الجسمية، أو الحسية، أو العقلية، أو التعليمية، أو النفسية إلى المدى الذي يقلل من إمكانية تلبية متطلباته العادية في ظروف أمثاله من غير المعوقين، انظر: السكران: تركي بن عبد الله بن حمود، دور الوقف في رعاية المعوقين (بحث مقدم للمؤتمر الثالث للأوقاف) المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٤.

(١٧٠) مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص٢٢٩٥.

(١٧١) المصدر السابق ، ج٤، ص١٩٩٢.

حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا" [١٧٢]، وقال (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إذا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ" [١٧٣].

إن شعور أصحاب العاهات بتفقد نبي الرحمة لهم، وإحساسهم بالمعية النبوية، يعطيهم دافعية كبيرة للعمل وتجاوز كل العوائق التي تقعدهم عن البذل والعطاء، وقد شكلت أحاديث الرسول (عليه الصلاة والسلام) في أصحاب الإعاقات الأساس في تعامل المجتمع المتراحم ونظرته السوية لهم، فكان ذلك عوناً لهم على رفع معنوياهم، وتصبيرهم والربط على قلوبهم بتقوية الصلة بالله تعالى، ولقد بث نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم) الثقة في نفوس المعوقين بالنظر إلى الجوانب الإيجابية لديهم.

ومن هذه المواقف أنه (صلى الله عليه وسلم) تَبِعَ رَجُلاً من ثَقِيفٍ حتى هَرْوَلَ في إِثْرِهِ، حتى أَخَذَ بِثَوْبِهِ، فقال: "ارْفَعْ إِزَارَكَ"، فَكَشَفَ الرَّجُلُ عن رُكْبَتَيْهِ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَحْنَفُ[١٧٤] وَتَصْطَكُّ رُكْبَتَايَ، فقال رسول اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "كُلُّ خَلْقِ اللَّهِ حَسَنٌ"[١٧٥] .

لقد فعلت الكلمات الحانية فعلها في قلب ذلك الرجل، الذي كان يواري حنف قدميه بإسبال إزاره، ولقد حدد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) علاقة المجتمع بالمعوق ونظرهم إليه وتحريم ازدرائه، وكان من هدي المصطفى (صلى الله عليه وسلم) حرصه على مساعدة ذوي العاهات والمعوقين في المجتمع، انطلاقاً من واجب المجتمع المسلم المأمور بنص القرآن الكريم بالإحسان لهذه الفئات، وكان (عليه الصلاة والسلام) يرشد أصحابه دوماً لمساعدهم باعتبارهم

---

(١٧٢) ابن حبان البستي، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي (ت: ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ص١٦٩، ج٧، ط١٤١٣،١هـ/ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(١٧٣) البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ر٢١٤٠.

(١٧٤) الاعوجاج وإقبال القدم بأصابعها على القدم الأخرى، انظر: ابن سعد، أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد عبيد الله (ت: ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، حديث أبي الفضل الزهري، ص٨٥، ج١، د.ط.ت.

(١٧٥) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (ت: ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٤، ص٤٠٩، ٤١٠.

من الضعفاء الذين يفتقرون إلى العون والمساعدة، فيقول عليه الصلاة والسلام: "ابْغُونِي ضُعَفَاءَكُمْ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ" . (١٧٦)

كما دعا المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ولاته لفتح أبوابهم أمام الضعفاء من المسلمين وذوي الاحتياجات، وشدد على عدم إغلاق الأبواب دونهم، قال عليه الصلاة والسلام: "من ولي من أَمْرِ الناس ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ الْمِسْكِينِ أَوِ الْمَظْلُومِ أو ذي الْحَاجَةِ أَغْلَقَ الله عز وجل دُونَهُ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ عِنْدَ حَاجَتِهِ وَفَقْرِهِ أَفْقَرَ ما يَكُونُ إِلَيْهَا". (١٧٧)

ووضع المصطفى (عليه الصلاة والسلام) مبدأ الرعاية المادية للمصابين في المعارك، وتشير قصة الصحابي الجليل خوات بن جبير (رضي الله عنه) (١٧٨) إلى مدى اهتمام الرسول (عليه الصلاة والسلام) بهذه الفئة، حيث خرج هذا الصحابي فيمن خرج مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى بدر، فلما كان بالروحاء "قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة بينهما أحد وأربعون ميلاً" (١٧٩)، أصابه نصيل حجر فكسره فرده (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وضرب له بسهمه وأجره فكان كمن شهدها.

وكذلك حال الصحابي سويد بن النعمان (رضي الله عنه) (١٨٠)، الذي كسرت يده، "حيث خرج سويد بن النعمان على فرس، فلما نظر إلى بيوت خيبر في الليل وقع به الفرس،

---

(١٧٦) الترمذي، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٦.

(١٧٧) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج٣، ص٤٨٠.

(١٧٨) خوات بن جبير ابن النعمان بن أمية بن البرك – واسم البرك: امرؤ القيس – بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بسهمه وأجره، انظر: الأصبهاني، لأبي نعيم (ت: ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، معرفة الصحابة، ص٩٧٥، ج٢، د.ط.ت.

(١٧٩) أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، ص٦٨١، ج٢، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، عالم الكتب، بيروت.

(١٨٠) سويد بن النعمان بن مالك بن عامر بن مجدعة بن حشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري، يكنى أبا عقبة، واستشهد بالقادسية (١٤هـ/٦٣٥م)، اشتهر بكرمه مع أصحابه. للمزيد انظر: ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي أبو الفضل الشافعي (ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، ص٢٢٩، ج٣، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت.

فعطب الفرس، وكسرت يد سويد، فلم يخرج من منزله حتى فتح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خيبر، فأسهم له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سهم فارس، قالوا: وكانت الخيل مائتي فرس، ويقال: ثلاثمائة، ومائتان"، [١٨١] ويعدُّ نظام التكافل الاجتماعي الذي نادى به الإسلام من أهم المبادئ التي تضمن لذوي الاحتياجات الخاصة حقوقهم المادية.

وخلاصة الأمر فإن نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم) لم يهمل أي فئة من فئات المجتمع الإسلامي الذين يعيشون معه، بل كان يشاركهم في أفراحهم وأحزانهم، وكان يرفع من معنوياهم؛ لأنه صاحب الأخلاق الحسنة والعظيمة. قال تعالى يصف أخلاق المصطفى (صلى الله عليه وسلم): ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [١٨٢]، بل كان يسند بعض المهام إلى ابن أم مكتوم إذا غاب عن المدينة، حيث كان يخلف الرسول (صلى الله عليه وسلم) في إمامة المسلمين في الصلاة في المسجد النبوي، وغيرها من الشواهد التي تؤكد حرص المصطفى (صلى الله عليه وسلم) على الاستفادة من الطاقات المذخورة لتلك الفئات.

وهكذا فإن التوجيهات النبوية الصحية والطبية تمثل الدعائم الرئيسية للنهضة الطبية والصحية التي شهدها العالم فيما بعد؛ إذ تعد هذه التوجيهات المعين الذي شرب منه الأطباء جيلاً بعد جيل، والتي كانت بمثابة المفاتيح التي سهلت على العلماء سبل البحث والتقصي في المجالات الصحية والطبية، فالعلم يؤكد كل يوم عظم تلك التوجيهات ومصداقيتها العلمية، وبعبارة أخرى كانت هذه الأسس التي أرساها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) تمثل نقطة تحول في تاريخ الطب والصحة العامة؛ إذ نقلت هذا العلم الجليل من الأسطورة والشعوذة والكهانة إلى العلم والتجربة.

---

(١٨١) الواقدي، المغازي، ج٢، ص١٥٢.

(١٨٢) سورة القلم، الآية (٤).

المبحث الثاني.

أشهر أطباء وطبيبات وآسيات عصر الرسالة.

إن معظم الأطباء في عصر الرسالة من الأطباء المخضرمين ممن عاش في العصر الجاهلي وعصر الرسالة، وسوف نعرج باختصار على تراجم بعضهم ومن أبرزهم:

١ – ابن حذيم.

من أشهر أطباء العرب، ويضرب به المثل في الحذاقة في الطب، فيقولون لمن أرادوا وصفه بذلك: هو أطبّ من ابن حذيم (١٨٣)، وكان من أمهر المعالجين بالكي، قال عنه الزمخشري: "... أطب من ابن حذيم، هو رجل من أطباء العرب، قال أوس ابن حجر الطويل:

فهل لكمُ فيما إلي فإنَّني طبيبٌ بما أعيي النطاسي حذيما" . (١٨٤)

٢ – أبو رمثة التميمي.

هو رفاعة بن يثري أبو رمثة التميمي، كان معاصراً للحارث بن كلدة، وكان طبيباً معروفاً وناجحاً بالمداواة، مزاولاً لأعمال اليد، وصناعة الجراح، رفيق اليد ولكنه لم يكن فائقاً في العلم (١٨٥)، عن أبي رِمْثَةَ قال: "أَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ (صلى الله عليه وسلم) مع أبي، فَرَأَى التي بظَهْرِهِ فقال: يا رَسُولَ اللّهِ، ألا أُعَالِجُهَا لك فإني طَبِيبٌ، قال: أنت رَفِيقٌ وَاللّهُ الطَّبِيبُ، قال: من هذا مَعَكَ، قلت: ابني، قال: أشهد بِهِ، قال: أَمَا إنه لاَ تجني عليه وَلاَ يجني عَلَيْكَ، قال عبد الله: قال أبي: اسْمُ أبي رِمْثَةَ رِفَاعَةُ بن يثربي" . (١٨٦)

---

(١٨٣) سالم، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، ص٨٠.

(١٨٤) الزمخشري، أبو القاسم جارالله محمد بن عمر (ت: ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، المستقصى في أمثال العرب، ص٢٢٠، ج١، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٨٥) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص٨٣.

(١٨٦) ابن حنبل، مسند أحمد، ج٣، ص١٦٣.

٣ – ضماد بن ثعلبة الأزدي.

"عن ابن عباس أن رجلاً من أزد شنوءة يقال له ضماد كان يعالج من الأرواح، فقدم مكة فسمعهم يقولون للنبي (صلى الله عليه وسلم):" ساحر وكاهن ومجنون، فقال: لو أتيت هذا الرجل لعل الله أن يعافيه على يدي، فلقيته فقلت: يا محمد، إن الله يشفي على يديّ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "الحمد لله نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد" ، فقال: أعد عليّ قولك: فأعاد النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله ثلاثاً، فقال: "والله لقد سمعت قول الكهنة، وسمعت قول السحرة، وسمعت قول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات".(١٨٧)

"كان يتطيب ويطلب العلم، أسلم في أوّل الإسلام، وكان يرقي؛ أي يعالج الداء بشيء يقرأ ثم ينفث، من هذا الريح" ،(١٨٨) وقد ذكر الكتاني في كتابه "التراتيب الإدارية" عن ضماد بن ثعلبة الأزدي أنه كان طبيباً، الجزء الأول، ص٤٦٢.

٤ – الحارث بن كعب.

طبيب عاصر الإسلام، وشهد النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقيل إنه حضر وفاة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد الطعنة القاتلة، وكان ربما شارك في مداواته منها.(١٨٩)

٥ – الشمردل بن قباب الكعدي (وقيل الكعبي) النجراني.

"عن قيس بن الربيع عن الشمردل بن قبات، وكان في وفد بني الحارث بن كعب الذي قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأسلموا وقضى حوائجهم، فقال الشمردل حين برك بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): بأبي وأمي، كنت كاهن قومي في الجاهلية،

---

(١٨٧) الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج٣، ص١٥٤٢.

(١٨٨) القاري، علي بن سلطان محمد (ت: ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ص٥٣٧، ج١٠، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٨٩) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص٨٣.

وقد أتى الله بالنبوة فأبطل كهانتي، وأنا رجل أتطبب فيأتيني المرأة الشابة، وغير ذلك، فما يحل لي؟ قال: فصد العروق، ومحسمة الطعنة، والانتشار إن اضطربت، ولا تجعل في دوائك شبرماً ولا ورعاناً، وعليك بالسناء والسنون، ولا تداوِ أحداً حتى تعرف داءه، فأكب عليه فقبل ركبته، ثم قال: والذي بعثك بالحق لأنت أعلم مني" . (١٩٠)

ولا بد لنا في هذا الصدد من أن نشير إلى دور المرأة المسلمة في مجال تقديم الخدمات الطبية في عصر الرسالة، ومساهمتها الفعالة في هذا الميدان، ومن أبرز المسلمات اللاتي مارسن الطب في عصر الرسالة:

٦ – رفيدة الأسلمية.

كانت هذه المرأة متميزة بالجراحة، فقد اختارها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في هذا الميدان، فاتخذت خيمة ومارست عملها فيها، وعندما أصيب معاذ يوم الخندق أمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تقيم خيمتها في المسجد ليعوده عن قرب، "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة في المسجد، تسكنها رفيدة الأسلمية، وكانت امرأة صالحة تقوم على المرضى، وتداوي الجرحى ليعوده النبي (صلى الله عليه وسلم) من قريب" . (١٩١)

---

(١٩٠) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: خليل الميس، ص٨٨٢، ج٢، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٩١) الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، جوامع السيرة، ص١٩٤، ج١، د.ط.ت.

– وقد ورد ذكر رفيدة عند ابن حجر العسقلاني، في كتابه مقدمة في فتح الباري، وأنها لديها خيمة، الجزء الأول، ص٢٦٠؛ وانظر: الكتاني في التراتيب ص٤٦٢، ج١، ؛ انظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ص٤٤٢، ج٢.

٧ – أسماء بنت أبي بكر (٧٣هـ/٦٩٢م) (رضي الله عنها) [١٩٢].

"إنها كانت تُؤْتَى بِالْمَرْأَةِ الْمَوْعُوكَةِ، فَتَدْعُو بِالْمَاءِ فَتَصُبُّهُ في جَيْبِهَا، وَتَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قال: أبردوها بِالْمَاءِ [١٩٣]، وهذا يدل على التوجيهات الطبية التي قدمها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) للصحابيات في كيفية مداواة الجرحى بطرائق صحيحة.

٨ – فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم (١١هـ/٦٣٢م) (رضي الله عنها) [١٩٤].

حدثنا عبد الله بن مَسْلَمَةَ، حدثنا عبد العزيز بن أبي حَازِمٍ، عن أبيه، عن سَهْلٍ (رضي الله عنه)، أَنَّهُ سُئِلَ عن جُرْحِ النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم أُحُدٍ، فقال: جُرِحَ وَجْهُ النبي (صلى الله عليه وسلم) وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتْ الْبَيْضَةُ على رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ (رضي الله عنها) تَغْسِلُ الدَّمَ وَعَلِيٌّ يُمْسِكُ، فلما رَأَتْ أَنَّ الدَّمَ لَا يَزِيدُ إلا كَثْرَةً، أَخَذَتْ حَصِيراً فَأَحْرَقَتْهُ حتى صَارَ رَمَاداً ثُمَّ أَلْزَقَتْهُ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ [١٩٥].

٩ – الشفاء بنت عبد الله (٢٠هـ/٦٤١م).

اشتغلت بالطب في الجاهلية، وعاصرت المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وقد بايعت الرسول عليه الصلاة والسلام بمكة، وكانت في الجاهلية تعالج الأمراض الجلدية، ثم استأذنت

---

(١٩٢) أسماء بنت عبد الله بن عثمان التيمية، والدة عبد الله بن الزبير بن العوام التيمية، وهي بنت أبي بكر الصديق، وأمها قتلة أو قتيلة بنت عبدالعزي قرشية من بني عامر بن لؤي، أسلمت قديماً بمكة، عرفت بذات النطاقين، توفيت سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م)، انظر: ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي أبو الفضل الشافعي (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ص٣٠٠، ج٣، د.ط.ت ، دار المعرفة، بيروت.

(١٩٣) مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ر١٧٣٢.

(١٩٤) فاطمة الزهراء هي: فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أمها خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، تزوجت علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فولدت له الحسن والحسين (رضي الله عنهما)، توفيت بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) بستة شهور عام (١١هـ/ ٦٣٢م)، انظر: الطبري: محمد بن جرير بن كثير بن غالب الآملي (٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، المنتخب من ذيل المذيل، ص٩٠، ج١، د.ط.ت.

(١٩٥) البخاري، صحيح البخاري، ج٣، ر١٠٦٦.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن تباشر عملها، فأذن لها بذلك، وأنها كانت ترقي في الجاهلية.

ولما هاجرت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) كانت قد بايعته بمكة قبل أن يخرج، فقدمت عليه، فقالت: يا رسول الله إني كنت أرقي برقى في الجاهلية، وقد أردت أن أعرضها عليك، فقال: اعرضيها، فعرضتها عليه وكانت منها " رقية النملة [١٩٦]: وسميت بالنملة؛ لأن صاحب المرض يشعر كأن نملة تدبي عليه وتعضه، وهو عبارة عن مرض جلدي من نوع الأكزيما، وهو عبارة عن قروح تخرج في الجنين، حيث اشتهرت الشفاء بمعالجة الأمراض الجلدية في الجاهلية وفي الإسلام ". [١٩٧]

وورد أنها كانت لديها دار عند الحكاكين [١٩٨].

---

(١٩٦) الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج٦، ص٣٣٧١.

(١٩٧) الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ص٤٥، توفيت الشفاء عام (٢٠هـ/ ٦٤١م)، انظر: ابن شبة، أبو زيد عمر النميري البصري (ت: ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م)، أخبار المدينة، تحقيق: علي محمد دندل وآخرين، ص١٥٢، ج١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت؛ ومسند ابن حنبل، ص٣٧٢، ج٦، ؛ وانظر: مسند عبد بن حميد، ص٤٦٠، ج١.

(١٩٨) ابن شبة، أخبار المدينة، ج١، ص١٥٢، والحكاكون في اللغة: يحكه حكاً وحك الشيء بيده، قال الأصمعي: دخل أعرابي البصرة فآذاه البراغيث، فأنشد يقول:

ليلة حك ليس فيها شك أحك حتى ساعدي منفك

انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج١٠، ص١٨٤، أما اصطلاحاً: فهو حك الشيء غير المرغوب فيه، للحصول على نتيجة معينة أو هدف معين، حيث يقول ابن بطوطة في كتابه رحلة ابن بطوطة: "......ويحفر عن الياقوت، فيجد أحجاراً مشبعة وهي التي يتكون الياقوت في أجوافها، فيعطيها الحكاكين، فيحكونها حتى تنفلق عن أحجار الياقوت، فمنه الأحمر والأصفر والأزرق..."، انظر: ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة، تحقيق الدكتور: علي المنتصر الكتاني، ص٦٧٩، ج٢، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٠ – أم عطية الأنصارية (٨هـ/٦٢٩م) .

وهي نسيبة بنت كعب المازنية، أسلمت وبايعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغزت معه وروت عنه عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية، قالت: (غزوت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سبع غزوات، فكنت أصنع لهم طعامهم، وأخلفهم في رحالهم، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى ... " ، [١٩٩] توفيت عام (٨هـ/ ٦٢٩م).

١١ – أم أيمن (٢٣هـ/٦٤٣م).

أم أيمن [٢٠٠] مولاة النبي (صلى الله عليه وسلم) وحاضنته، وعن الواقدي: حضرت أم أيمن أحداً وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى [٢٠١].

١٢ – أم سليم.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: كانَ رسولُ الله يَغزُو بأمِّ سُلَيمٍ [٢٠٢]، ونسْوَة منَ الأنصارِ معَه، إذا غَزا فيسقِينَ الماءَ ويُداوِينَ الجَرحى. [٢٠٣]

---

(١٩٩) الكتاني، عبد الحي (ت: ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، التراتيب الإدارية، ص١١٤، ح٢، د.ط.ت، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢٠٠) أم أيمن: مولاة النبي (صلى الله عليه وسلم) وحاضنته، قال أبو عمر: اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، وكان يقال لها أم الظباء، وقال ابن أبي خيثمة: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: أم أيمن اسمها بركة، وكانت لأم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "أم أيمن أمي بعد أمي"، انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ص١٦٩، ج٨.

(٢٠١) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٢٢١.

(٢٠٢) أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية، اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها، فقيل سهلة، وقيل رميلة، وقيل رمية، وقيل مليكة، وقيل الغميصاء أو الرميصاء، تزوجت مالك بن النضر في الجاهلية فولدت أنساً في الجاهلية، وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، فغضب مالك وخرج إلى الشام فمات بها، فتزوجت بعده أبا طلحة، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٨، ص٢٢٧.

(٢٠٣) مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص١٤٤٣.

١٣ – أمية بنت قيس أبي الصلت الغفارية.

أسلمت وبايعت بعد الهجرة، وشهدت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خيبر، حيث قالت: جئت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في نسوة من بني غفار، فقلنا: إنا نريد يا رسول الله أن نخرج معك إلى (وجهك هذا) تعني خيبر، فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "على بركة الله"، قالت: فخرجنا معه .[(٢٠٤)]

ومن خلال هذا النص يتضح أن الصحابية الجليلة أمية الغفارية كانت ملمة بأمور الطب، من طرائق العلاج، وكيفية إعداد العقاقير الطبية المناسبة لكل داء، وقيامها بمداواة جرحى المسلمين، لشعورها بأنها جزء من هذا المجتمع الإسلامي الكبير، فضميرها يحتم عليها أن تساهم وتشارك في بنائه، من خلال مشاركتها الفعالة في بعض غزوات المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتضميدها لجروح المجاهدين المسلمين، ودأبها المتواصل للقيام بهذا العمل الإنساني العظيم ليلاً ونهاراً، بسعة صدر ومحبة، ودون كلل أو ملل، واحتسابها لهذا العمل الجليل عند الله تعالى.

١٤ – الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية (٤٥هـ/٦٦٥م).

وهي صحابية جليلة، صحبت المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وغزت معه، "أخبرنا بشر بن المفضل، عن الربيع بنت معاذ بن عفراء قالت: كنا نغزو مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنسقيهم الماء ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة ... " .[(٢٠٥)]

١٥ – معاذة الغفارية.

كانت تقول: "كنت أنيساً برسول الله، أخرج معه في الأسفار، أقوم على المرضى، وأُداوي الجرحى ... "[(٢٠٦)]

---

(٢٠٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٩٣.

(٢٠٥) الحنظلي: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه (ت: ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: د. عبدالغفور بن عبدالحق البلوشي، ص١٣٩، ج٥، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.

(٢٠٦) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، ص٢٨٩، ج٧، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦ – حمنة بنت جحش (٥٧هـ/٦٧٧م) (٢٠٧): وفي رواية أخرى تسمى حمنة " ... وكانت حمنة بنت جحش تسقي العطشى وتداوي الجرحى ... " (٢٠٨)

١٧ – عائشة بنت أبو بكر الصديق (٥٨هـ/٦٧٨م) (رضي الله عنها) (٢٠٩): شهدت عدداً من الغزوات مع المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، حيث كانت تداوي الجرحى وتسقيهم في غزوة أحد (٢١٠)، وكانت لها بعض النصائح الطبية، فمثلاً كانت تدعو لشرب التلبينة، لما لها من أثر إيجابي على النفس، فهي تُذهب الحزن والهم. (٢١١)

١٨ – أم سنان الأسلمية.

قالت أم سنان لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة خيبر: "يا رسول الله، أخرج معك أسقي وأداوي الجرحى ... " (٢١٢)

١٩ – أم زياد الأشجعية (٦٥هـ/٦٨٥م) .

أنها غَزت مع النبي يوم خيبر سادسة ست نسوة، وقالت: خرجنا ومعنا دواء نداوي به الجرحى، ونناول السهام، ونسقي السَّويق، ونغزل الشعر، (٢١٣)إذاً كان إسعاف الجرحى كان

---

(٢٠٧) حمنة بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص١١٦، ج٣.

(٢٠٨) الواقدي: أبو عبد الله بن عمر (ت: ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، المغازي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ص٢٢١، ج١، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٠٩) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق الأكبر القرشية التيمية، تزوجت من النبي (صلى الله عليه وسلم)، توفيت (٥٨هـ/ ٦٧٨م)، ودفنت في البقيع. انظر: جمعة، أحمد خليل، نساء أهل البيت في ضوء القرآن والسنة، ص١٦٤-١٦٥، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار اليمامة، دمشق.

(٢١٠) ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٧، ص٢٢٧.

(٢١١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطعام والشراب، ص١٦٤.

(٢١٢) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج٨، ص٢٣١.

(٢١٣) ابن الأثير، أسد الغابة، ج٧، ص٣٦٣.

من اختصاص الصحابيات الفاضلات، يتخذنه واجباً وحباً في التضحية، وكن يسرن في المعارك جنباً إلى جنب، حاملات أواني الماء، وما يحتجن إليه من اللفائف والجبائر وغيرها من وسائل الإسعاف، وكن ينفذن بين الرجال فيرافقن الغزاة مسعفات معالجات، يرعين الجرحى ويجبرن كسورهم.

ومنهنَّ من كنَّ يشتركن في المعارك، وكانت لهن مواقف مشهورة وسِيَر معروفة، وقد خدمن الدين والوطن الغالي، وعملن كآسيات وطبيبات، وقدمن الدواء والماء، فبوركت تلك الأيادي الناعمة الجميلة، والتي امتلأت بدماء جرحى المسلمين لعلاجهم، وهدفهن من هذا العمل الجليل هو إعلاء كلمة الله، ونصرة الإسلام والمسلمين، والحصول على الأجر والثواب، فاللهم ارحم جميع الصحابيات المجاهدات اللواتي شاركن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في مختلف غزواته وفتوحاته، واجعل قبورهن روضات من رياض الجنة.

الفصل الثاني

الرعاية الصحية والطبية في العصر الراشدي:

المبحث الأول: توجيهات الخلفاء الراشدين الصحية والطبية.

المبحث الثاني: الأسس الصحية في تخطيط المدن في العصر الراشدي.

المبحث الثالث: أطباء أهل الذمة.



المبحث الأول.

توجيهات الخلفاء الراشدين الصحية والطبية.

شهد العصر الراشدي عدة تطورات، ففي هذا العصر جمع القرآن الكريم في عهد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، ثم أعيد جمعه مرة أخرى في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وفي هذا العصر دونت الدواوين، ومصرت البصرة والكوفة والفسطاط، وفتحت الشام والعراق وفارس ومصر، وأجزاء أخرى من المغرب، ووضع التاريخ الهجري، وأعيد توحيد الجزيرة العربية بعد القضاء على المرتدين، وتطورت المؤسسات وعلى رأسها المؤسسة القضائية، ونالت الصحة والطب نصيبهما من هذا التطور، وقد استفاد العرب من ثقافات وصناعات وعلوم الشعوب التي خضعت لسلطانهم وخصوصاً في صناعة الطب التي كانت مزدهرة في حواضر الشام والعراق وفارس ومصر، فاطلعوا على أساليب هذه الشعوب في كيفية تعاملهم مع الأمراض، وكيفية إعداد العقاقير المناسبة لها.

يقول ابن خلدون في مقدمته، في فصل صناعة الطب: "هذه الصناعة ضرورية في المدن والأمصار؛ لما عرف من فائدتها، فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم، واعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية"، [٢١٤]وسيحاول هذا المبحث تتبع أبرز توجيهات الخلفاء الراشدين الأربعة في الرعاية الصحية والطبية، لرسم معالم الحياة الصحية في تلك الحقبة.

(٢١٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، مقدمة ابن خلدون، ص٤١٥، ج١، ط٥، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، دار القلم، بيروت.

أولاً: توجيهات أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) الصحية.

إن فترة حكم أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) (١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤) لم تمكنه ربما من ترك بصمات واضحة في الرعاية الصحية والطبية، لانشغاله بالقضاء على المرتدين، وجمع القرآن الكريم، وبدء الفتوحات الإسلامية، إلا أنه يمكن رصد الأمور الآتية:

١ – الحرص على السلامة الصحية للجنود.

من خلال وصاياه لقادة جيوشه بعدم إرهاقهم بالمسير فمثلاً: كان (رضي الله عنه) يوصي القائد عمرو بن العاص (رضي الله عنه) عند توجهه إلى فلسطين بالرفق بالجنود المسلمين، وعدم إرهاقهم بالمشي لمسافات طويلة؛ لأن فيهم ضعيف الجسد الذي لا يقدر أن يمشي لأميال طويلة، حيث قال: " ... وكن والداً لمن معك، وارفق بهم في السير، فإن فيهم أهل ضعف، والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ... " . [٢١٥]

٢ – توجيهات الصديق (رضي الله عنه) بتزويد الجيوش الإسلامية بالإسناد الطبي.

لعل المتأمل لتاريخ المعارك الكبرى في تلك الحقبة التاريخية، يلحظ العدد الكبير للنساء اللواتي كن يقمن بدعم الجيوش طبياً، من خلال الإسعاف للجرحى، وتقديم الطعام، ورفع معنويات المقاتلين، فمثلاً كانت هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان [٢١٦] تقول: "عضدوا الغلفان بسيوفكم" ، وكان زوجها أبو سفيان قد خرج إلى الشام تطوعاً، وأحب مع ذلك أن يرى ولده، وحملها معه. [٢١٧]

---

(٢١٥) الواقدي، فتوح الشام، ص١٥، ج١.

(٢١٦) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها صفية بنت أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم، توفيت سنة (١٤هـ/ ٦٣٥م)، انظر: ابن سعد، الطبقات، ص٢٣٥، ج٨.

(٢١٧) ابن الأثير، أسد الغابة، ج٧، ص٢٨٢.

٣ – حرصه الشديد (رضي الله عنه) على الصحة النفسية للجنود.

من خلال السماح لمن يريد الرجوع إلى أهله، وعدم إكراه أحد على القتال، حيث قال لأحد قادة الجيوش الإسلامية المتجهة إلى فتح العراق وهو عياض بن غنم [٢١٨]: " ... وأذنا لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحا بمتكاره [٢١٩]" [٢٢٠]، وأنه كانت له عناية خاصة في رعاية الفئات الخاصة، كالنساء، فعن أبي صالح الغفاري قال: "إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء، في بعض حواشي المدينة من الليل، فيسقى لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمري" . [٢٢١]

إلى غير ذلك من التوجيهات التي لا تختلف عما كان في عهد المصطفى (صلى الله عليه وسلم).

ثانياً: توجيهات عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الصحية والطبية.

يعد عصر الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من أزهى العصور الإسلامية، ففيه تحققت الكثير من المنجزات الحضارية، حيث وضع التاريخ الهجري، ومصرت البصرة، والكوفة،

---

(٢١٨) عياض بن غَنم -بفتح المعجمة- بن زهير بن أبي شداد الفهري، مات بالمدينة سنة عشرين، أسلم قبل الحديبية وشهدها بالشام سنة عشرين وهو ابن ستين، هو الذي فتح بلاد الجزيرة وصالحه أهلها، وهو أول من أجاز الدرب، وقال ابن أبي عاصم: عن الحوطي، عن إسماعيل بن عياش: كان يقال لعياض زاد الراكب؛ لأنه كان يطعم رفقته ما كان عنده، وإذا كان مسافراً آثرهم بزاده، فإن نفد نحر لهم جمله، للمزيد انظر: العسقلاني، الإصابة، ص٧٥٧، ج٤.

(٢١٩) ممتكر: وثوب ممكور وممتكر: مصبوغ بالمكر، وقد مكره فامتكر أي خضبه فاختضب، قال القطامي: بضرب (تملك الأبطال منه وممتكر اللحى منه امتكاراً)؛ أي تختضب، شبه حمرة الدم بالمغرة. قال ابن بري: الذي في شعر القطامي تنعس الأبطال منه؛ أي تترنح كما يترنح الناعس، ويبدو معناها الشخص المتراخي الكسول، الذي لا يرغب في القيام بأي عمل، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٨٣.

(٢٢٠) الطبري، لأبي جعفر بن جرير (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ص٣٠٩، ج٢، د.ط.ت، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٢١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص٨٠ ، ج١، ط١، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، مطبعة السعادة للنشر، مصر.

والفسطاط، ودونت الدواوين، وفتحت الشام، ومصر، والعراق، وتطورت المؤسسة القضائية والرقابة الإدارية، وتطورت الرعاية الصحية والطبية، والتي يمكن رصد مظاهر تطورها من خلال الآتي:

١ – توجيهاته الصحية العامة.

أ – التحذير من الإسراف في تناول الطعام.

لعل من أبرز أقوال الفاروق (رضي الله عنه) في الثقافة الصحية قوله: "إياكم والبطنة من الطعام، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد، مورثة للسقم ... " [٢٢٢]، وقد أثبتت الدراسات الحديثة حقاً أن المعدة بيت الداء، وأن البطنة (أي التخمة) تذهب الفطنة، وتبعث على الخمول والكسل.

ب – وتحذيره من الإكثار من أكل اللحوم.

لقوله:" إِيَّاكُمْ وَاللَّحْمَ، فإن له ضَرَاوَةً كَضَرَاوَةِ الْخَمْرِ. " [٢٢٣] ومن المعروف علمياً أن الإكثار من تناول اللحوم الحمراء يؤدي للعديد من الأمراض أبرزها: مرض النقرس، وتصلب الشرايين، وارتفاع مستوى الكوليسترول في الدم وغيرها، وهذا ما تحذر منه المنظمات الصحية والطبية في العالم.

ج – الحرص على إتمام رضاعة الأطفال.

حيث اهتم (رضي الله عنه) بتأمين الغذاء للصبيان، مثال: وقعت حادثة في عهده حينما سمع بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه:" اتَّقِي اللهَ وأَحْسِنِي إلى صَبِيِّكِ، ثُمَّ عَادَ إلى مَكَانِهِ، فَسَمِعَ بُكَاءَهُ، فَعَادَ إلى أُمِّهِ، فَقَالَ لَهَا: مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ عَادَ إلى مَكَانِهِ، فَلَمَّا كَانَ آخِرِ اللَّيْلِ سَمِعَ بُكَاءَهُ، فَأَتَى أُمَّهُ، فَقَالَ: وَيْحَكِ إِنِّي لأَرَاكِ أُمَّ سُوءٍ، مَا لي أَرَى ابْنَكِ لاَ يَقِرُّ مُنْذُ اللَّيْلَةِ؟ قَالَتْ: يَا عَبْدَ

---

(٢٢٢) ابن حبان البستي: الإمام محمد بن أحمد بن أبي حاتم التميمي (٣٥٤هـ/ ٩٥٦م)، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: إبراهيم زايد، ص٣٥، ج٢، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، دار الوعي، حلب.

(٢٢٣) مالك، الموطأ، ج٢، ص٩٣٥.

اللهِ قَدْ أَبْرَمْتَنِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ إِنِّي أُرِيغُهُ عَنِ الفِطَامِ فَيَأْبَى، قَالَ: ولِمَ؟ قَالَتْ: لأَنَّ عُمَرَ لا يَفْرِضُ إِلاَّ لِلْفَطِيمِ، قَالَ: وكَمْ لَهُ؟ قَالَتْ: كَذَا وكَذَا شَهْراً، قَالَ: وَيْحَكِ لا تُعْجِلِيهِ فَصَلَّى الفَجْرَ ومَا يَسْتَبِينُ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ مِنْ غَلَبَةِ البُكَاءِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: يَا بُؤْساً لِعُمَرَ؟ كَمْ قَتَلَ مِنْ أَوْلاَدِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِياً فَنَادَى: أَلاَ لاَ تُعَجِّلُوا صِبْيَانَكُمْ عَنِ الفِطَامِ، فَإِنَّا نَفْرِضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الإِسْلاَمِ، وكَتَبَ بِذَلِكَ إِلى الآفَاقِ: إِنَّا نَفْرِضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الإِسْلاَمِ "[٢٢٤].

د – توفير الطعام للمحتاجين.

وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يبعث السعاة والعمال ليوزعوا الطعام على الناس في الأماكن البعيدة، وخصوصاً الصدقات على المساكين حيث يخصهم بها، ومن ذلك على سبيل المثال أنه بينما كان قائلاً في ظل شجرة، وإذا أعرابية، فتوسّمت الناس فجاءته فقالت: (إني امرأة مسكينة ولي بنون، وإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث محمد بن مسلمة ساعياً فلم يعطينا، فلعلك -يرحمك الله- أن تشفع لنا إليه)، قال: (فصاح بيرفأ)[٢٢٥]، أن ادع لي محمد بن مسلمة، فقالت: إنه أنجح لحاجتي أن تقوم معي إليه، فقال إنه سيفعل إن شاء الله، فجاءه يرفأ فقال: أجب، فجاء فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فاستحيت المرأة، فقال عمر: والله ما آلو أن أختار خياركم، كيف أنت قائل إذا سألك الله عز وجل عن هذه؟ فدمعت عينا محمد، ثم قال عمر: إن الله بعث إلينا نبيه فصدقناه واتبعناه، فعمل بما أمره الله به فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك، ثم استخلف الله أبا بكر فعمل بسنته حتى قبضه الله، ثم استخلفني، فلم آلُ أن أختار خياركم، إن بعثتك فأدِّ إليها صدقة العام وعام أول، وما أدرى لعلي لا أبعثك، ثم دعا لها بجمل فأعطاها دقيقاً وزيتاً، وقال: خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر فإنا

(٢٢٤) السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير)، ص٣٩٠-٣٩١، ج١٤، د.ط.ت.

(٢٢٥) هو خادم سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

نريدها، فأتته بخبير فدعا لها بجملين آخرين، وقال: خذي هذا فإن فيه بلاغاً حتى يأتيكم محمد بن مسلمة، فقد أمرته أن يعطيك حقك للعام وعام أول" . (٢٢٦)

وأيضاً لم ينس الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الأرقاء والموالي، حيث كان حريصاً على إطعامهم مما يطعم منه الناس، وهذا يدل على عدله بين الناس، وعدم تفريقه بين غني أو فقير، أو بين عبد أو سيد، فقد كان (رضي الله عنه) يتبع المنهج الذي سار عليه المصطفى (عليه الصلاة والسلام) بالرفق بالموالي والأرقاء، حيث حدث أنه جاء صفوان بن أمية، (٢٢٧) بجفنة يحملها نفر في عباءة، فوضعوها بين يدي عمر! فدعا عمراً ناساً مساكين وأرقاء من أرقاء الناس حوله، فأكلوا معه، ثم قال عند ذلك: "فعل الله بقوم –أو قال: لحا الله قوماً– يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم"، فقال صفوان: أما والله ما نرغب عنهم ولكنا نستأثر عليهم، لا نجد والله من الطعام الطيب ما نأكل ونطعمهم، (٢٢٨) كذلك اهتم الخليفة عمر (رضي الله عنه) بإطعام المنبوذين، وهم اللقطاء الذين لا يعرف أهلهم، حيث كان يخصص لهم طعاماً ومالاً من بيت المال (٢٢٩).

وأيضاً حرص الخلفاء الراشدون على رعاية أبناء السبيل، وتوفير سبل الراحة لهم، حيث أدرك الخلفاء أخطار الطرق وما يتعرض له أبناء المسافرين من أخطار؛ لهذا نجدهم قد ربوا الناس على تقديم ما لديهم حسب القواعد الشرعية، وإعطاء المحتاج من عابري السبيل، (٢٣٠) حيث حدثت واقعة في عهد خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه: "سافر ناس من الأنصار

---

(٢٢٦) ابن سلام، أبوعبيد القاسم (ت: ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م)، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، ص٧١٣-٧١٤، ج١، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الفكر، بيروت.

(٢٢٧) صفوان بن أمية: بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح أبو وهب الجمحي، أمه صفية بنت معمر بن حبيب جمحية، وفاته سنة ٤٢ هجرياً في أيام خلافة معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه، انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ص٤٣٣-٤٣٤، ج٣.

(٢٢٨) البخاري، صحيح البخاري، ص٨٠، ج١.

(٢٢٩) العمري، عبد العزيز بن إبراهيم، إستراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين، ص٥٢، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

(٢٣٠) العمري، المرجع السابق، ص٥٣.

فأرملوا [٢٣١]، فنزلوا حياً من أحياء العرب، فسألوهم القِرى، فأبوا، وسألوهم البسر [٢٣٢] فأبوا، فضبطوهم -فأصابوا منهم- فأتت الأعراب عمر (رضي الله عنه) وأشفقت الأنصار من عمر (رضي الله عنه) فهمّ بهم وقال:" تمنعون ابن السبيل ما يخلف الله في ضروع الإبل والغنم بالليل والنهار، ابن السبيل أحق بالماء من التالي عليه " [٢٣٣].

٢ – موقفه من الأوبئة: طاعون عمواس أنموذجاً.

من المعروف أن بلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تعرضت لوباء (طاعون عمواس) [٢٣٤]، وقتل الكثير من الناس في هذا الوباء ومنهم أمين الأمة أبوعبيدة عامر بن الجراح، فقام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بمشاورة بعض الصحابة بشأن هذا الأمر، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أنا عندي من ذلك علم، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "اذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها لا تخرجوا فراراً منه"، فحمد الله عمر، يعني لكونه وافق رأيه، ورجع بالناس، [٢٣٥] وهذا يدل على أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) قد صار على نهج المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بشأن الوباء، من خلال عدم الخروج أو الدخول من البلد الذي يوجد فيه الوباء؛ لكيلا ينتشر إلى المناطق

---

(٢٣١) أرملوه: من أرمل: أرمل القوم: نفد زادهم، وأرملوه أنفدوه، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص٢٩٦، ج١١.

(٢٣٢) البسر: بسر النخلة وابتسرها: لقحها قبل أوان التلقيح، المصدر السابق، ص٥٨، ج٤.

(٢٣٣) ابن شبة، أخبار المدينة، ص٤١٢، ج١.

(٢٣٤) عمواس: وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، قال البشاري: عمواس ذكروا أنها كانت القصبة في القديم، وإنما تقدموا إلى السهل والبحر من أجل الآبار؛ لأن هذه على حد الجبل، وقال المهلبي: كورة عمواس هي ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم فشا في أرض الشام، فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة، رضي الله عنهم، انظر: ياقوت الحموي، عبد الله أبو عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، ص١٥٧، ج٤، د.ط.ت، دار الفكر، بيروت.

(٢٣٥) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية، ص٧٧، ج٧، د.ط.ت، مكتبة المعارف، بيروت.

الأخرى المجاورة؛ أي أنه حصر المرض في تلك المنطقة، والسرعة في القضاء على هذا الوباء بالإمكانيات البسيطة عندهم في تلك الحقبة التاريخية.

٣ - رعاية المجذومين.

إن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عند مقدمه الجابية [٢٣٦] من أرض دمشق مر بقوم مجذمين من النصارى، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت [٢٣٧]، كما أمر امرأة مجذومة كانت تطوف بالبيت أن تجلس في بيتها حتى لا تؤذي الناس، [٢٣٨] وهذا الموقف يدل على حرص الخليفة عمر (رضي الله عنه) على عزل المجذوم بعيداً عن الناس؛ حتى لا ينتشر مرض الجذام بينهم.

أي أنه يؤكد الحجر الصحي للمصابين بالأمراض المعدية، وكان (رضي الله عنه) ينصح باستخدام الحنظل في علاج الجذام، وتذكر المصادر أن معقيب بن أبي فاطمة [٢٣٩] قد أصابه الجذام، فأمر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فعولج بالحنظل فتوقف المرض.

---

(٢٣٦) وهي قرية من أعمال دمشق، ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان، قرب مرج الصفر في شمالي حوران، وإذا وقف الإنسان في الصنمين واستقبل الشمال ظهرت له، وتظهر من نوى أيضاً وبالقرب منها تل يسمى تل الجابية، فيه حيات صغر نحو الشبر عظيمة النكاية يسموها أم الصويت، يعنون أنها إذا نهشت إنساناً صوّت صوتاً صغيراً ثم يموت لوقته، وفي هذا الموضع خطب عمر (رضي الله عنه) خطبته المشهورة، وباب الجابية بدمشق، منسوب إلى هذا الموضع ويقال لها جابية الجولان أيضاً، انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص٩١، ج٢.

(٢٣٧) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، ص١٣٥، ج١، د.ط.ت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٣٨) مالك ابن أنس، الموطأ، ص٤٢٤، ج١.

(٢٣٩) معقيب بن أبي فاطمة الدوسي: كان على خاتم عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وهو معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي مولى بني عبد شمس، كان على خاتمه، ويقال كان خادمه، وقال غيره: أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة في الناس، ثم إلى المدينة وشهد بدراً وما بعدها، وكان على الخاتم، واستعمله الشيخان على بيت المال، وكانت وفاته في خلافة عثمان وقيل سنة أربعين هجرياً (٤٠هـ/ ٦٦٠م)، انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، السيرة النبوية لابن كثير، ص٦٩٨، ج٤، د.ط.ت.

٤ – تقديم الإعانات للجرحى وأسر الشهداء.

كان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقدم المساعدات لمن أصيب بالحروب، ومن الأمثلة على ذلك أن قوماً غزاة من الشام يريدون اليمن، وكانت لعمر جفنات [٢٤٠] يضعها إذا صلى الغداة، فجاء رجل منهم فجلس يأكل، فجعل يتناول بشماله، فقال له عمر، وكان يتعهد الناس عند طعامهم: كل بيمينك، فلم يجبه، فأعاد عليه، فقال: هي مشغولة. فلما فرغ من طعامه دعا به فقال: ما شغل يدك اليمين؟ فأخرجها فإذا هي مقطوعة، فقال: ما هذا؟ فقال: أصيبت يدي يوم اليرموك، قال: فمن يوضئك؟ قال: أتوضأ بشمالي ويعين الله، قال: فأين تريد؟ قال: اليمن إلى أم لي لم أرها منذ كذا وكذا سنة، قال: وبرّ أيضاً، فأمر له بخادم وخمسة أباعر من إبل الصدقة وأوقرها له [٢٤١].

وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يوصي عماله بتقوى الله في معاملتهم مع الرعية، حيث كان الخليفة (رضي الله عنه) يهتم بالصحة النفسية لرعاياه وجنوده، فكان يوصي عماله بعدم إهدار كرامة الناس، ومما جاء في بعض وصاياه: "لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تغلقوا باباً دون حاجة المسلمين،" [٢٤٢] وأمر جنده أن يتفرغوا للجهاد، وخصص رواتب لهم ولأسرهم، وكذلك تكفل (رضي الله عنه) بإطعامهم وكسوتهم، وكان لا يسمح بتغيب الجندي عن زوجته وأولاده أكثر من أربعة أشهر، لاعتبارات نفسية واجتماعية كثيرة، وكان يحرص على أن يلحق بكل جيش عدداً كافياً من الأطباء للعناية بصحتهم، كما أنه أقام معسكرات فسيحة في أماكن صحية لراحة الجند في أثناء الطريق.

---

(٢٤٠) الجفن: جفن العين، والجفن أيضاً غمد السيف، والجفنة كالقصعة وجمعها جفان وجفنات بالتحريك، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٤٥، ج١.

(٢٤١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري في أنساب الأشراف، تحقيق: د. إحسان صدقي العمد، ص١٧٤، ١٧٥، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، مؤسسة الشراع العربي، الكويت.

(٢٤٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، أنساب الأشراف، ص٣٩٢، ج٣، د.ط.ت.

٥ – دفن الموتى.

كان قادة الجيوش الإسلامية يحرصون على مواراة الجثث في التراب، منعاً لانتشار الأمراض، [٢٤٣] فعلى سبيل المثال، كلف القائد سعد بن أبي وقاص (٥٥هـ/٦٧٥م) (رضي الله عنه) في معركة "القادسية" النساء بدفن الموتى، وكان يأمر سعد النساء بإسعاف الجرحى، وتقديم الإسعافات للقوات المقاتلة، ونقل السلاح والماء والغذاء لهم. [٢٤٤]

ثالثاً: توجيهات عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الصحية والطبية.

كان الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لا يجد حرجاً من الاستعانة بالأطباء غير المسلمين في معالجة المرضى المسلمين، فيذكر أن أحد الأعراب أصابته جراح، فجيء به إلى الخليفة جريحاً، فأرسله إلى طبيب نصراني كي يداويه، "وتفصيل الأمر إن زميلاً قدم المدينة فقضى حوائجه، حتى إذا صدر عن الشقرة سمع رجلاً يتغنى بشعر، فعرف زميل صوت سالم، فأقبل إليه فضربه ضربتين وعقر بعيره، فحمل سالم إلى عثمان بن عفان فدفعه إلى طبيب نصراني" [٢٤٥].

وقد أولى الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) رعايته الصحية والطبية تجاه الرقيق، حيث طالب بعدم تعذيبهم ولا التنكيل بهم، قائلاً في خطبته: "لا تكلفوا الأمة غير ذات الصنعة الكسب، فإنكم متى ما كلفتموها الكسب كسبت بفرجها،" [٢٤٦] وكان الخليفة عثمان بن

---

(٢٤٣) بدران، شوقي محمد، الشؤون الإدارية في المعارك الإسلامية، مجلة الحرس الوطني العسكرية، ع: ٢٩٦، الرياض، تاريخ النشر: ١/ ١٢/ ٢٠٠٦م، موقع نسيج، www.naseej.com

(٢٤٤) هواش، أحمد سعيد، الإعاشة والطب في التراث العربي الحربي، دمشق، مجلة التراث العربي، ع: ٧٦، السنة: ١٩، ربيع أول ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(٢٤٥) البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت: ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي وآخرين، ص١٣١، ج٢، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٤٦) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ص٣٧٩، ج٦، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

عفان (رضي الله عنه) من أوائل الخلفاء الذين اهتموا بالأسنان، وكان لا يجد حرجاً من شدها بالذهب (حيث كان قد شد أسنانه بالذهب) [٢٤٧].

ويبدو أنه استخدم معدن الذهب ليس من الناحية الجمالية، وإنما من الناحية الصحية؛ لأنه من المعلوم أن أغلبية المعادن قد تصدأ إذا استخدمت في شد الأسنان عدا الذهب، وكما تقدم في التمهيد، فقد استخدمته العرب في الجاهلية لشد الأسنان والتعويض عن الأسنان المفقودة.

رابعاً: توجيهات الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الطبية.

إن المتأمل للتوجيهات الصحية والطبية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يلاحظ أنها انصبت على عدة محاور من أبرزها:

١ – العناية بنوعية الغذاء.

فكان (رضي الله عنه) يحرص على ألا يأكل شيئاً إلا إذا عرف خصائصه، ونوعيته، وجودته، ومن أقواله التي تشير لهذا الأمر قوله: "لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم،" [٢٤٨] أما توجيهاته التي تنم عن ثقافة غذائية راقية أقواله ونصائحه الكثيرة الخاصة بتناول بعض الأطعمة النافعة للبدن، والتي منها على سبيل المثال: الحرص على تناول التمر حيث كان يقول: "من أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل داء في بطنه، ... " [٢٤٩]، بل إنه أرشد إلى الطريقة المثلى في أكل الرمان للاستفادة من كل مكوناته، فكان يقول (رضي الله عنه): "إذا أكلتم الرمان، فكلوه بشحمه، فإنه دباغ للمعدة" . [٢٥٠]

(٢٤٧) ابن عساكر، أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، تاريخ مدينة دمشق؛ ص١٥٠، ج١، د.ط.ت، دار الفكر، بيروت.

(٢٤٨) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبدالكريم الجزري الشيباني (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ص٢٦٥، ح٣، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٤٩) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله الدينوري (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، عيون الأخبار، د.ت، ج١، ص٣٦٨.

(٢٥٠) المصدر نفسه، ص٣٧٣، ج١.

٢ – الرقابة الصحية على الأغذية في الأسواق.

تشير بعض المصادر إلى أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كان شديد الحرص على الاحتساب في الأسواق، وكان كثير التجوال فيها، حاملاً معه درته، يؤدب بها من خالف الشروط الصحية للأطعمة، فكان على سبيل المثال: يمشي في الأسواق، ويأمرهم بتقوى الله، وحسن البيع ويقول: ... لا تنقّحوا (٢٥١) اللحم. (٢٥٢)

بمعنى أنه أمر القصابين بعدم النفخ في الذبيحة عند سلخها، وربما أنه أدرك (رضي الله عنه) أنه يمكن أن يكون أحد القصابين مصاباً بأمراض معينة تؤدي إلى تلويث اللحم وفساده عند نفخه فيه، ومن ثم يتم بيعه للناس دون علمهم أن هذا اللحم فاسد؛ مما يترتب نتيجة أكلهم لهذا اللحم الفاسد إصابتهم بأمراض خطيرة أبرزها التسمم الغذائي؛ وقد حرص (رضي الله عنه) على منع أكل السمك الطافي، الذي يسبب أمراضاً أيضاً عند تناوله.

وقوله الدائم لأصحاب الأسواق والمحال الغذائية: "من نفخ فليس منا، وبرواية أخرى من غشنا فليس منا." (٢٥٣)

---

(٢٥١) لا تنقحوا: التنقيح: وفي التهذيب النقح: تشذيبك عن العصا أبنها حتى تخلص. وتنقيح الجذع: تشذيبه. وكل ما نحيت عنه ونقح الشيء: قشره عن ابن الأعرابي، وأنشد لغليم من بني دبير: إليك أشكو الدهر والزلازلا*** وكل عام نقح الحمائلا، يقول: نقحوا حمائل سيوفهم أي قشروها فباعوها لشدة زمانهم، ومعناها لا تخرجوا مخ العظام المكسو باللحم، والله أعلم، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص ٦٢٥، ج٢.

(٢٥٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م)، مختصر تاريخ ص٤٣١، ج٥، د.ط.ت، دمشق.

(٢٥٣) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت: ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، الأمالي في آثار الصحابة، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، ص١٠٥، ج١، د.ط.ت، مكتبة القرآن، القاهرة.

٣ – وصاياه (رضي الله عنه) الطبية والصحية.

أ – الحرص على رفع معنويات المرضى.

من خلال الحث على عيادتهم، والرفع من معنوياتهم، فعن ثُوَيْرٍ هو بن أبي فَاخِتَةَ عن أبيه، قال: أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي، وقال: انْطَلِقْ بِنَا إلى الْحَسَنِ نَعُودُهُ، فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى، فقال عَلِيٌّ (رضي الله عنه): أَعَائِداً جِئْتَ يا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِراً؟ فقال: لَا بَلْ عَائِداً، فقال عَلِيٌّ: "سمعت رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يقول:" ما من مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوَةً، إلا صلى عليه سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حتى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلا صلى عليه سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حتى يُصْبِحَ ". [٢٥٤]

ب – وصاياه للأطباء والبياطرة.

وقد نصت على ضرورة عدم مزاولة مهنة الطب إلا ممن هو مؤهل لذلك، وحذر من الأخطاء الطبية، وبأن الطبيب ضامن لقوله:" يا معشر الأطباء البياطرة والمتطببين، من عالج منكم إنساناً أو دابة فليأخذ لنفسه البراءة، فإنه إن عالج شيئاً ولم يأخذ لنفسه البراءة فعطب فهو ضامن " [٢٥٥]، أي إذا خالف الطبيب أو البيطري شروط المعالجة، فعطب إنسان أو حيوان فهو ضامن. [٢٥٦]

وقد ذكر الشيزري (٥٩٠هـ/١١٩٤م) في كتابه نهاية الرتبة قوله:" خُذُوا دِيَةَ صَاحِبِكُمْ مِنْ الطَّبِيبِ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ بِسُوءِ صِنَاعَتِهِ وَتَفْرِيطِهِ " [٢٥٧]، وعن مجاهد، أن علياً قال في الطبيب:" إن لم يشهد على ما يعالج فلا يلومن إلا نفسه ". [٢٥٨]

---

(٢٥٤) الترمذي، سنن الترمذي، ص٣٠٠، ج٣.

(٢٥٥) الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ص٤٧١، ج٩.

(٢٥٦) ضامن: ضمن الشيء ضماناً: كفل به فهو ضامن، وضمين، وضمنه الشيء تضميناً فتضمنه عنه مثل غرمه، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص١٦١، ج١.

(٢٥٧) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الطبري (ت: ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص٩٣، ج١، د.ط.ت، دار الثقافة، بيروت.

(٢٥٨) الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت: ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ص٣٥، ج١٥، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

ج – الحرص على توفير الأمن النفسي للجند.

من خلال الإنفاق بسخاء على أبنائهم، حيث طلب من ولاته رعاية الجنود والاهتمام بهم؛ إذ قال لواليه مالك الأشتر النخعي [٢٥٩]:" ... وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف عليك قلوبهم. " [٢٦٠]

د – رعايته (رضي الله عنه) للفئات الضعيفة في المجتمع الإسلامي.

كان الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يساعد المحتاجين من النساء، والأطفال، والمرضى، وأصحاب العاهات وكبار السن، والقانع [٢٦١]، والمعتر [٢٦٢]، لقوله:" وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله، فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة ... " [٢٦٣].

بالإضافة إلى هذا فقد اهتم علي (رضي الله عنه) بتخصيص طعام ومال لخصومه أو أعدائه من بيت المال، حيث وقعت حادثة في عهده (رضي الله عنه)، فقد أتي برجل من الخوارج فقال: من

(٢٥٩) مالك الأشتر النخعي، هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن حزيمة بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد، وكان فارساً، شجاعاً، توفي عام (٣٧هـ/ ٦٥٧م)، انظر: المدائني، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد (ت: ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبدالكريم السمري، ص٥٨-٦٠،ج١٥، ط١،١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٦٠) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وآخرين، ص٢٦، ج٦، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٦١) قنع: القنوع السؤال والتذلل، وبابه خضع، فهو قانع وقنيع، وقال الفراء: القانع الذي يسألك فما أعطيته قبله، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٢٣١، ج١.

(٢٦٢) المعتر: المعتر الذي يتعرض للمسألة ولا يسأل، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ج١، ص١٧٨.

(٢٦٣) المدائني، نهج البلاغة، ص١٦، ج١٨.

أتى به؟ فقال:" يا أمير المؤمنين، إني وجدت هذا يسبك، قال: فسبه كما سبني، قال: ويتوعدك، فقال: لا أقتل من لم يقتلني، قال علي: لهم علينا -قال أبو عبيد حسبته قال- ثلاث: (ألا نمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها، وألا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم مع أيدينا ... ". (٢٦٤)

٤ – المحافظة على نظافة الطرقات والأماكن العامة من خلال التوجيهات الآتية:

أنشأ علي (رضي الله عنه) بيوت الخلاء للمسافرين وأبناء السبيل لقضاء حاجتهم، حيث أمر بإنشاء الكنف (٢٦٥) تقطع عن طريق المسلمين، (٢٦٦) وأيضاً وفر (رضي الله عنه) المياه لأبناء السبيل حرصاً على نظافتهم، فأمر بالمثاعب. (٢٦٧)

---

(٢٦٤) ابن سلام، الأموال، ص٢٩٦، ج١.

(٢٦٥) الكنف: من ذلك الكنيف هو الساتر، وزعم ناس أن الترس يسمى كنيفاً لأنه ساتر، وكل حظيرة ساترة عند العرب كنيف، قال عروة: أقول لقوم في الكنيف تروحوا ** عشية بتنا عند ماوان رزح، وهي بيوت الخلاء أو المرحاض، انظر: زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، ص١٤٢، ج٥، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، دار الجيل، بيروت.

(٢٦٦) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ص٧٢، ج١٠، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢٦٧) ثعب: ثعب الماء والدم ونحوهما يثعبه ثعباً: فجره، فانثعب كما ينثعب الدم من الأنف. قال الليث: ومنه اشتق مثعب المطر. وفي الحديث: يجيء الشهيد يوم القيامة وجرحه يثعب دماً؛ أي يجري. ومنه حديث عمر، رضي الله عنه: صلى وجرحه يثعب دماً. وحديث سعد (رضي الله عنه): فقطعت نساه فانثعبت جدية الدم، أي سالت، ويروى فانبعثت. وانثعب المطر: كذلك. وماء ثعب وثعب وأثعوب وأثعبان: سائل، وكذلك الدم الأخيرة مثل بها سيبويه وفسرها السيرافي. وقال اللحياني: الأثعوب: ما انثعب. والثعب مسيل الوادي، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص٢٣٦، ج١.

المبحث الثاني

الأسس الصحية في تخطيط المدن في العصر الراشدي.

إن المتأمل لمصادرنا الإسلامية وبخاصة ما تخصص منها في تاريخ المدن أمثال: تاريخ المدينة المنورة لابن شبة، وتاريخ بغداد للبغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وما ألف في البصرة، والكوفة، وواسط، وفارس، والقيروان، وقرطبة، وغيرها - يلاحظ أن مؤرخين عباقرة كباراً أمثال: ابن خلدون، وابن الأزرق، قد خلصوا من تلك الدراسات إلى وضع أسس لشروط المدينة الناجحة، وأمدوا الأمة بمعلومات في غاية القيمة بشأن الأماكن المناسبة لاختطاط المدن، ومن المناسب استعراض بعض النصوص عند ابن خلدون وابن الأزرق، المتعلقة بتخطيط المدن، لنجد أن هذه الأفكار الرائدة كان لها جذور تعود إلى عصر المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، والعصر الراشدي، فقد انطلق ابن خلدون من القاعدة الذهبية التي وضعها المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، والتي تنص على أن الإنسان في أثناء ممارسة دوره الحضاري لا يخرج عن قاعدة قول" لَا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ "[٢٦٨]؛ لذا نجد ابن خلدون ينص على أن أبرز الأمور التي يجب مراعاتها عند اختيار مواقع المدن:

" أن يراعي فيه دفع المضار، بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع، وتسهيل المرافق لها، فأما الحماية من المضار فيراعي لها أن يدار على منازلها جميعاً سياج الأسوار، وأن يكون وضع ذلك في متمنع من الأمكنه، إما على هضبة متوعرة من الجبل، وإما باستدارة بحر، أو نهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر، أو قنطرة، فيصعب منالها على العدو، ويتضاعف امتناعها، وحصنها، ومما يراعي في ذلك للحماية من الآفات السماوية، طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكداً خبيثاً أو مجاوراً للمياه الفاسدة، أو منافع متعفنة، أو مروج

(٢٦٨) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج٢، ص٧٨٤.

خبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورتها، فأسرع المرض للحيوان الكائن، فيه لا محالة، وهذا مشاهد والمدن التي لم يراع فيها طيب، الهواء كثيرة الأمراض في الغالب ... ". (٢٦٩)

ويواصل ابن خلدون شروط اختيار موضع المدينة بقوله:" ... أن هذه الأهوية العفنة أكثر ما يهيئها لتعفين الأجسام وأمراض الحميات ركودها، فإذا تخللها الري وتفشت وذهبت بها يميناً وشمالاً خف شأن العفن والمرض البادي منها للحيوانات، والبلد إذا كان كثير الساكن وكثرت حركات أهله فيتموج الهواء ضرورة وتحدث الريح المتخللة للهواء الراكد، ويكون ذلك معيناً له على الحركة والتموج، وإذا خف الساكن لم يجد الهواء معيناً على حركته وتموجه وبقي ساكناً راكداً وعظم عفنه وكثر ضرره،.، وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها: الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ثرة، فإن وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية، فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة، ومما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعي لسائمتهم (٢٧٠)؛ إذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب، ولا بد لها من المرعي، فإذا كان قريباً طيباً كان ذلك أرفق بحالهم، لما يعانون من المشقة في بعده، ومما يراعى أيضاً المزارع، فإن الزروع هي الأقوات، فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذه، وأقر في تحصيله ومن ذلك الشجر للحطب والبناء، فإن الحطب مما تعم البلوى في اتخاذه لوقود النيران للاصطلاء والطبخ والخشب أيضاً ضروري لسقفهم ... " (٢٧١)، ولا يكاد ما أورده ابن

---

(٢٦٩) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٤٧، ج١.

(٢٧٠) لسائمتهم: سامت الراعية والماشية والغنم تسوم سوماً: رعت حيث شاءت فهي سائمة، والمسام الذي تسومه، أي تلزمه ولا تبرح منه السوام السائمة الإبل الراعية، وأسامها هو أرعاها سومها، وأسمتها أنا أخرجتها إلى الرعي، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص٣١١، ج١٢.

(٢٧١) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص٣٤٨.

خلدون يختلف عن ما أورده ابن الأزرق في كتابه (بدائع السلك في طبائع الملك)، فقد ارتكز الاثنان في حديثيهما عن تخطيط المدن على قاعدة جلب المنافع ودفع المضار. [٢٧٢]

ويستنتج من النصوص السابقة أن من أبرز الشروط التي يجب مراعاتها عند اختطاط المدن:

١ – توافر الماء: فهو شرط أساسي في اختيار مواقع الأمصاروالمدن، فعليه تقوم الحياة، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) [٢٧٣].

٢ – توفير الغذاء: وهو شرط أساسي لنشأة المدن واستمرار الحياة فيها.

٣ – اعتدال المكان وجودة الهواء: لأن ركود الهواء يساعد على سرعة تعفن الأجسام، وقد ربط القزويني بين جودة الهواء وأثرها على الحالة النفسية للإنسان، فيذكر مثلاً عن الطائف أنها:" بليدة على طرف وادٍ، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً، طيبة الهواء شمالية، ربما يجمد الماء بها في الشتاء. قال الأصمعي: دخلت الطائف وكأني أبشر وقلبي ينضح بالسرور، ولم أجد لذلك سبباً إلا انفساح جوها وطيب نسيمها. " [٢٧٤] ولجودة الهواء أو فساده علاقة وطيدة بانحسار الأمراض أو انتشارها، وما يمس مباشرة النواحية الصحية للمجتمع المقيم فيها.

٤ – القرب من المراعي والاحتطاب: أي خصوبة التربة لتوفير الغذاء فيها للإنسان والحيوان على حد سواء.

---

(٢٧٢) ابن الأزرق، القاضي محمد بن علي بن محمد الأصبحي أبو عبد الله شمس الدين الغرناطي الأندلسي المالكي (ت: ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، ص٢٧٩، ج٢، ط١، د.ط.ت، وزارة الإعلام، العراق.

(٢٧٣) سورة الأنبياء، الآية (٣٠).

(٢٧٤) القزويني: زكريا محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٧، ج١، د.ط.ت.

٥ – **الموقع الحصين:** بأن تكون على مرتفعات، إما على هضبة، أو باستدارة بحر، أو نهر بها، أو تكون بمكان ممتنع، بحيث لا يصل إليها العدو إلا بعبور الجسر أو القنطرة، أو من الناحية المعمارية من خلال تحصين المدينة بالأسوار والأبراج.

إن المتامل لتاريخ تخطيط المدن الإسلامية في العصر الراشدي، يلاحظ أنها التزمت قبل الشروع في تمصيرها بمعظم الشروط السابقة، فمثلاً يذكر في سبب اختطاط مدينة الكوفة أن سعداً بن أبي وقاص (رضي الله عنه) شكا إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ما أصاب الجند من وهن وضعف، وأن ألوانهم قد تغيرت، وهزلت أجسامهم وخفت لحومهم، وأصابهم البعوض، فقد كتب في رسالته يبلغه:" أن الناس قد بعضوا وتأذوا بذلك "، فكتب إليه عمر:" أن العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل، فارتد لهم موضعاً عدناً ولا تجعل بيني وبينهم بحراً " (٢٧٥)، فاستشار سعد كبار قادة جنده، فجاء شخص يسمى عبدالمسيح بن بقيلة لسعد وقال له:" أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المباق "، فدله على موضع الكوفة (**١٧هـ/ ٦٣٨م**) اليوم، (٢٧٦).

ويبين هذا الموقف مدى إدراك الفاروق (رضي الله عنه) بذكائه الفطري المعهود أهمية العامل البيئي في اختيار الموضع الذي يصلح لنزول العرب المجاهدين، حتى يظلوا محتفظين بنشاطهم، وقوتهم، وحيويتهم، التي خرجوا بها من الصحراء، وأدرك أيضاً بثاقب فكره أنه لا يصلح للعرب إلا جغرافية تشبه البيئة التي خرجوا منها.

أما البصرة التي تم بناؤها في عام (١٤هـ/ ٦٣٤م) بأمر من الخليفة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والتي أسسها عتبة بن غزوان (٢٧٧) رضي الله عنه" ... وكانت البصرة

---

(٢٧٥) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٧٥، ج١.

(٢٧٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٥، ج١.

(٢٧٧) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ويكنى أبا عبد الله، استعمل عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان على البصرة، فهو الذي فتحها ومصر البصرة واختطها، وكانت قبل ذلك الأبلة، وبنى مسجد البصرة بقصب ولم يبن بها داراً، توفي سنة (١٧هـ/ ٦٣٨م) وعمره خمسين عاماً، انظر: ابن سعد، الطبقات، ص٥، ج٧.

مدينة قريبة من البحر كثيرة النخيل والأشجار، سبخة التربة ملحة الماء؛ لأن المد يأتي من البحر " [٢٧٨]، ومن أجل حل مشكلة تزويد المدينة بالماء الصالح للشرب تم حفر نهر الأبلة في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، حيث قام عبد الله بن عامر بحفر هذا النهر وغيره من الأنهار التي زودت المدينة بالماء الصالح للشرب، ووصلتها تجارياً بالأقاليم المجاورة، [٢٧٩] ومن ثم تكاملت مواصفات موقع البصرة المثالي من توافر الماء وخصوبة التربة.

وأما الفسطاط التي أسسها عمرو بن العاص (رضي الله عنه) في عام (٢١هـ/ ٦٤١م) بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، حيث أراد عمرو أن يتخذ من الإسكندرية مركزاً له، لكن الخليفة عمر (رضي الله عنه) أمره أن يبني في موضع لا يفصله عنه ماء، فاختار موضع الفسطاط على الشاطئ الشرقي للنيل بجوار حصن بابليون، [٢٨٠] وهو موضع أيضاً من أفضل المواضع من الناحية الصحية.

١ – الحفاظ على نظافة البيئة.

لقد سار الخلفاء الراشدون على نهج المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في الحرص على حماية البيئة، من خلال الالتزام بالتوجيهات النبوية، والحرص على نشر الوعي بأهمية المحافظة على البيئة، من خلال القيام بعدة إجراءات ساهمت في خدمة البيئة أبرزها:

أ – الحرص على التشجير والزراعة وعدم ترك مساحات دون زراعة.

فقد حذر الفاروق (رضي الله عنه) من على منبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من حبس الأراضي دون زراعتها.

---

(٢٧٨) القزويني، آثار البلاد، ص١٢٤، ج١.

(٢٧٩) الفقي، محمد عبد القادر، مراعاة العوامل البيئية في العمارة الإسلامية، الكويت، مجلة الوعي الإسلامي، ع: ٥٣١، سنة: مارس ٢٠١٠م.

(٢٨٠) عثمان، محمد عبدالستار، المدينة الإسلامية، ص٦٢، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، عالم المعرفة، ، الكويت.

ب – إقطاع الأراضي البور لمن يقوم بزراعتها.

فقد ثبت عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أنه أقطع أرضاً في اليمامة لرجل من بني حنيفة، كما أقطع الزبير بن العوام [٢٨١] أرضاً لاستصلاحها، ولقد مشى على هذا النهج بقية الخلفاء الراشدين، فالخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قام بإقطاع العديد من الأراضي الموات لاستصلاحها، حيث تعطل عن زراعة كثير من الأراضي في البلاد المفتوحة نتيجة ترك أهلها لها، فمنحها للصحابة لزراعتها وتعميرها؛ مما أدى إلى زيادة المنتجات الزراعية بكثرة، ومن ثم أدى إلى تأمين الأقوات للناس، وخصوصاً لفئة الفقراء والمساكين والمحتاجين، وهذه السياسة اعتمدها أيضاً الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حيث أقطع العديد من هذه الأراضي لاستصلاحها وخصص إنتاجها صدقة للفقراء والمحتاجين في عهده. [٢٨٢]

ج – الحرص على نظافة البيوت والأماكن العامة وعلى رأسها المساجد.

حيث كان الخليفة عمر (رضي الله عنه) يحث رعيته على الاهتمام ونظافة بيوتهم، ويروى أنه قدم مكة، يطوف سككها، فيمر بالقوم فيقول:" قموا [٢٨٣] فناءكم " (أي قوموا ونظفوا بيوتكم) ... " [٢٨٤] وعن عبدالمطلب بن عبد الله قال: "أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أتى مسجد قباء على فرس له، فصلى فيه، ثم قال: يا يرفأ، ائتني بجريدة (أي سعفة)، قال:

---

(٢٨١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزي بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبد الله، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته، أمه صفية بنت عبدالمطلب وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م، وعمره ٦٦ عاماً، انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ص٥٥٣، ج٢.

(٢٨١) العمري، إستراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين، ص٣١.

(٢٨٢) العمري، المرجع السابق، ص٣٣.

(٢٨٣) قموا: مفردها قمم، أي قمم الشيء، أي كنسه، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٩٣.

(٢٨٤) الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي وآخرين، ص٤٠٣، ج٢، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، دار المعرفة، لبنان.

فأتاه بجريدة، فاحتجز عمر ثوبه، ثم كنسه..." [٢٨٥]، وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم إذا قعد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على المنبر يقومون بتطيب المسجد [٢٨٦]، كما أمر (رضي الله عنه)، عندما دخل إلى فلسطين ووجد القذارة ملقاة على الصخرة المشرفة، أهل الذمّة من النصارى واليهود إلى جانب المسلمين بتنظيفها وكنسها لإزالة المزبلة عنها ". [٢٨٧]

د – إسناد مهمة مراقبة النظافة في الأمصار إلى ولاتها.

حيث قدم أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) إلى البصرة وقال لهم:" إن أمير المؤمنين بعثني إليكم لأعلمكم سنتكم، وإنظافكم طرقكم ... " [٢٨٨]

هـ – توفير المياه الصالحة للشرب والري.

حيث اهتم الخلفاء الراشدون بشق الأنهار والآبار لاستصلاح الأراضي الموات، حيث قام بعض ولاة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بحفر العديد من الأنهار.

وكان من أشهر ولاته في هذا المجال عبد الله بن عامر بن كريز [٢٨٩] الذي حفر نهر الأبلة في سنة (٣٠هـ/ ٦٥٠م)، كما حفر أنهاراً وقنوات أخرى عديدة استفاد منها مزارعو العراق وفارس كما تقدم، وفي عهد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) سار على سياسة من سبقوه في حفر الأنهار والقنوات، فقد كتب إلى أحد الأمراء أن يهتموا بحفر الأنهار وتعميرها حيث قال:"

---

(٢٨٥) ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتَى العبسي الكوفي، والمكنى بأبي بكر (ت: ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ص٣٤٩، ج١، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار ابن كثير، بيروت.

(٢٨٦) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ص١٦٨، ج٣.

(٢٨٧) ابن سلام، الأموال، ص١٩٦، ج١.

(٢٨٨) ابن أبي شيبة، المصدر السابق، ج٥، ص٢٦٤.

(٢٨٩) عبد الله بن عامر ابن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأمير أبو عبد الرحمن القرشي العبشمي الذي افتتح إقليم خراسان، توفي قبل معاوية في سنة تسع وخمسين، انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبوعبد الله (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرون، ص١٨-٢٠، ج٣، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

أما بعد، فإن رجالاً من أهل الذمّة من عمالك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وادفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم ثم اعمر، وأصلح النهر، فلعمري؛ لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد، والسلام "(٢٩٠).

و – التخلص من الحيوانات السائبة والضارة.

لقد حرص الخلفاء الراشدون على أن يكون هواء بيئتهم نقياً صحياً خالياً من الأمراض، ولتحقيق هذا الهدف النبيل، نجد أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما دخل الجابية في الشام، أمر عماله ألا يجاور المسلمون الخنازير، وأمرهم بقتلها، ونقص أثمانها من الجزية، (٢٩١) ولعل قيامه بذلك الإجراء الصحي هو حرصه (رضي الله عنه) أن يحيا الناس في عصره ببيئة نظيفة، وصحية وخالية من الجراثيم والأوبئة؛ لأنه من المعروف علمياً أن الخنازير تعيش في الأماكن التي تكثر فيها القمامات، وهذا يترتب عليه تلوث الهواء بالجراثيم الكثيرة والضارة، والتي تشكل خطراً كبيراً على صحة الناس، فينتج عنها انتشار مجموعة من الأمراض بينهم، وهذا ما أكدته الدراسات الحديثة، فالوقاية خير من العلاج، وبهذه القاعدة الطبية والصحية أدرك الفاروق (رضي الله عنه) بحسه الفطري ونظرته الثاقبة المخاطر التي تنجم عن تربية (الخنازير) في البيوت، وكذلك أكل لحومها.

٢ – مواجهة المجاعات: (عام الرمادة ١٨هـ/ ٦٣٩م) أنموذجاً.

سمي" عام الرمادة " (٢٩٢) بهذا الاسم لأن الأرض كلها صارت سوداء بسبب القحط فتشبهت بالرماد (٢٩٣)، ويقال إنه حدث في السنة الثامنة عشرة للهجرة، وهي

---

(٢٩١) ابن زنجويه، الأموال، ص١٨٣، ج١.

(٢٩٢) الرمادة لغةً: أرمد القوم إذا جهدوا، والرمادة: الهلكة، ورمد أرمد إذا هلك، وسمي به لأنهم لما أجدبوا صارت ألوانهم كلون الرماد، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٨٦، أما اصطلاحاً: فهو عام هلكت فيه العرب، صاروا فيه رماداً، وسمي عام الرمادة، لشدته، انظر: السدوسي: أبو فيد مؤرج بن عمرو (ت: ١٩٥هـ/ ٨١١م)، حذف من نسب قريش، ص٢، ج١، د.ط.ت.

(٢٩٣) السيف: عبد الله بن محمد، بحث عن عام الرمادة، مجلة العصور، لندن، دار المريخ للنشر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج١، مج٥، ص١١٣.

نفس سنة طاعون عمواس الذي حدث في الشام، ومن الأسباب التي أدت إلى أزمة عام الرمادة هو أنه بعد امتداد الفتوحات الإسلامية أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية (المدينة المنورة) تشهد نمواً سكانياً لهجرة الناس إليها من داخل الجزيرة العربية وخارجها، ولا شك في أن هذه الزيادة السكانية في المدينة وما حولها أدى إلى زيادة الطلب على المواد الغذائية، والذي أصبح يجلب من خارج المدينة (٢٩٤).

ومن أوائل الأخبار التي تحدثت عن اطلاع عمر (رضي الله عنه) على سوء أحوال الأعراب وانتشار الجوع بينهم، (... أتى عام الرمادة أو الربذة بقصعة فيها خبز مفتوت بسمن، فدعا رجلاً كالبدوي يأكل معه، فجعل الأعرابي يتبع باللقمة الودك (٢٩٥)، فقال له عمر (رضي الله عنه): كأنك مقفر؟! فقال الأعرابي: ما أكلت سمناً ولا رأيت أكلاً له مذ كذا وكذا قبل اليوم، فحلف عمر (رضي الله عنه) لا يأكل سمناً ولا لحماً حتى يحيا الناس من أول ما أحيوا)، (٢٩٦) لقد كانت هذه المجاعة شديدة لدرجة أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أمر العمال على الصدقات أن يتركوا الماشية، وأن لا يأخذوا منهم صدقة ذلك العام حتى تتحسن أحوالهم (٢٩٧).

– الإجراءات التي اتخذها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في مواجهة عام الرمادة.

لما أحس الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بانتشار الجوع في الحجاز ونجد، كتب إلى أمرائه على الأمصار (يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم) (٢٩٨)، وكان في كتابه لعماله

---

(٢٩٤) السيف، المرجع السابق، ص١١٤.

(٢٩٥) الودك: ودك: الودك: الدسم معروف، وقيل: دسم اللحم، ودكت يده ودكاً. وودك الشيء: جعل فيه الودك. ولحم ودك، على النسب: ذو ودك. وفي حديث الأضاحي: ويحملون منها الودك، هو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه، وودكه توديكاً، وذلك إذا جعلته في شيء هو والشحم، أو حلابة السمن، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص٥٠٩، ج١٠.

(٢٩٦) ابن شبة، أخبار المدينة، ص٣٩٣، ج١.

(٢٩٧) العمري، إستراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين، ص٦٥.

(٢٩٨) الطبري، تاريخ الطبري، ص٥٠٩، ج٢.

على الأقاليم لسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) بالكوفة، وأبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) بالبصرة، وعمرو بن العاص (رضي الله عنه) بمصر، ومعاوية بالشام، النص التالي:" من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان، أما بعد، فإن العرب قد دفت إلينا، و لم تحتملهم بلادهم، ولا بد لهم من الغوث الغوث، حتى ملأ الصحيفة، قال: فربما كان في الصحيفة مائتا مرة "[٢٩٩].

ومن خلال هذا النص يتضح أن الإجراء الأول الذي قام به عمر (رضي الله عنه) في مواجهة عام الرمادة هو تأمين القوت من الطعام والشراب لسكان المدينة المنورة، والحجاز، ونجد، من خلال طلب تزويده بالطعام والشراب من قبل عماله في مختلف أقاليم الدولة الإسلامية. حيث استجاب عماله على الأقاليم لطلبه، فمثلاً:

١ – رد عليه يزيد بن أبي سفيان [٣٠٠]، وهو أحد الأمراء في الشام حيث قال للخليفة عمر (رضي الله عنه):" لبيك، لبيك، يا أمير المؤمنين، أتاك الغوث، بعثت إليك عيراً أولها بالمدينة وآخرها بالشام "[٣٠١].

٢ – كما رد عليه أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) حيث قال:" أما بعد، فإني قد وجهت إليك عيراً [٣٠٢] تحمل الدقيق والزيت والسمن والشحم والمال "[٣٠٣].

٣ – كما اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إجراءً آخر للاستفادة من إمكانات مصر التموينية، وإنقاذ مكة والمدينة وبقية مدن الحجاز من الحاجة، وتوفير الأغذية في تلك المناطق طوال الوقت، حيث إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أمر عمرو بن العاص (رضي

---

(٢٩٩) ابن شبة، المصدر السابق، ص٣٩٥، ج١.

(٣٠٠) يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمه زينب بنت نوفل بن حلف بن قوالة، من بني كنانة، أسلم يزيد يوم فتح مكة، ولاه عمر بن الخطاب دمشق، فلم يزل والياً لها حتى مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة، انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص٤٠٥، ج٧.

(٣٠١) المصدر السابق، ص٣٩٤، ج١.

(٣٠٢) عيراً: عير: العير: الحمار، أياً كان أهلياً أو وحشياً، وقد غلب على الوحشي، والأنثى عيرة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص٦٢٠، ج٤.

(٣٠٣) ابن سعد، المصدر السابق، ص٣٩٥، ح١.

الله عنه) – والي مصر– أن يمد خليجاً من الفسطاط قاعدة المسلمين في مصر إلى البحر الأحمر، وسمي هذا الخليج (بخليج أمير المؤمنين) (٣٠٤).

وقد نجح عمرو بن العاص (رضي الله عنه) في حفر الخليج، وأخذ يرسل السفن عن طريقه إلى البحر الأحمر، ومن خلاله إلى ميناء الجار قرب المدينة المنورة، فكتب إليه عمرو: لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من عمرو بن العاص أما بعد" فيا لبيك ثم يا لبيك، وقد بعثت إليك بعيراً أولها عندك وآخرها عندي، والسلام عليك ورحمة الله " (٣٠٥).

وبعث إليه بقافلة عظيمة، فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضاً، فلما قدمت على عمر وسّع بها على الناس، ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيراً بما عليه من الطعام، وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص أن يقسموها على الناس، ويدفعوا إلى أهل كل بيت بعيراً بما عليه، وأن يأكلوا الطعام، وينحروا البعير فيأكلوا لحمة، ويأتدموا شحمه، ويحتذوا جلده، وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام لما أرادوا. فوسع الله بذلك على الناس، فلما رأى ذلك عمر حمد الله (٣٠٦).

كما أن عدداً آخر من الصحابة كانوا مساعدين لعمر (رضي الله عنه) في هذا الأمر، فحين بدأ وصول الأطعمة قال:" الحمد لله، ما كان الله ليضيع هؤلاء "، ثم دعا محمد بن مسلمة(٣٠٧) وعبد الله بن الأرقم (٣٠٨)، فوجه ابن الأرقم إلى قيس وتميم وطيئ وأسد بنجد،

---

(٣٠٤) العمري، إستراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين، ص٦٦.

(٣٠٥) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٩، ص٢٠٧.

(٣٠٦) المصدر السابق والصفحة.

(٣٠٧) محمد بن مسلمة بن سلمة بن حالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو وهو النبيت بن مالك من الأوس، وأمه أم سهم واسمها خليدة بنت أبي عبيد بن وهب بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب من الخزرج، وكان رجلاً أسود طويلاً عظيماً، مات محمد بن مسلمة بالمدينة في صفر سنة ست وأربعين، وهو يومئذ ابن سبع وسبعين سنة، وصلى عليه مروان بن الحكم، انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص٤٤٣-٤٤٥، ج٣.

(٣٠٨) عبد الله بن الأرقم ابن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري الكاتب، من مسلمة الفتح وكان ممن حسن إسلامه، توفي سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م، انظر: اليمني، الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله=

ووجه محمد بن مسلمة إلى طريق الشام إلى غطفان وأدنى قضاعة ولخم وجذام، ثم قال لهما: افهما إياكما أن تعطيا العرب الإبل! فإنها لا تنحرها، انحرا البعير فأطعماهم مخه وعظامه واجعلا لحمه وشيقة، واجعلا الفرارة [٣٠٩] بين عشرة، سيرا في كنف الله) [٣١٠].

ويتضح من هذا النص أمران هما:

١ – كيف كان الخليفة عمر (رضي الله عنه) يتابع تأمين القوت والطعام للقبائل التي تعرضت للمجاعة من شمال الجزيرة العربية إلى وسطها إلى بلاد الحجاز وجنوبها.

٢ – الأمر الآخر أن عمر (رضي الله عنه) كانت لديه سياسة معينة، حيث أراد من الصحابيين محمد بن مسلمة وعبد الله بن الأرقم (رضي الله عنهما) إطعام الناس، وعدم التوفير، فالوقت وقت حاجة، ومجاعة، والناس بحاجة للأكل حتى يحيوا، بدليل أنه أكد عليهما ألاّ يعطوا المحتاجين الإبل حية، وإنما ينحرونها لهم، ويجعلون بين أيديهم طعاماً يأكلون منه ليومهم، وأيامهم الأخرى القريبة بما يصنعانه من قديد، وكان الصحابي الجليل أبوعبيدة عامر بن الجراح (رضي الله عنه)، قد استجاب لإغاثة عمر (رضي الله عنه) حيث أرسل أربعة آلاف بعير إلى المدينة محملة بالأطعمة، فأمره عمر (رضي الله عنه) بأن يدور على قبائل معينة حددها له، وأن يقوم بتوزيعها عليهم، فلما رجع بعث إليه عمر (رضي الله عنه) بدنانير مكآفأة له [٣١١]، فرد عليه عبيدة قائلاً:" إني لم أعمل لك يا ابن الخطاب، إنما عملت لله ولست آخذ في ذلك شيئاً "[٣١٢].

=الخزرجي الأنصاري (ت: ٣٢٩هـ/ ٩٤١م)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، تحقيق: عبدالفتاح ، ص١٩١، ج١، ط٥، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار البشائر، بيروت.

(٣٠٩) الفرارة: والفرير والفرار: ولد النعجة والماعزة والبقرة، ابن الأعرابي: الفرير ولد البقر وأنشد: يمشي بنو علكم هزلى وإخوتهم ****عليكم مثل فحل الضأن فرفور، قال: أراد فرار فقال فرفور، والأنثى فرارة، وجمعها فرار أيضاً، وهو من أولاد المعز ما صغر جسمه، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٥٢.

(٣١٠) ابن شبة، المصدر السابق، ص٣٩٥، ج١.

(٣١١) العمري، إستراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين، ص٧٠.

(٣١٢) النيسابوري: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي (ت: ٣١١هـ/ ٩٢٣م)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، ص٦٨، ج٤، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت.

كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يعمل بنفسه على توزيع الطعام في عام الرمادة، كما كان يقيم المطابخ الكبيرة ويجعل فيها العمال والخدم، ويقدم الطعام للأعداد الكبيرة التي ألقاها الجوع إلى المدينة وما حولها، حيث كان يتعهدهم بالغداة والعشي، حيث وصف أبو هريرة وهو أحد المساعدين لعمر (رضي الله عنهما) على إطعام اللاجئين حال عمر وتفقّده لأولئك الجياع فقال:" لقد رأيته عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين [٣١٣]، وعكة [٣١٤] زيت في يده، وإنه وإنه ليعتقب ... فلما رآني قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريباً، قال: فأخذت أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى صرار [٣١٥]، فإذا صرم [٣١٦] نحو من عشرين بيتاً من محارب، فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد، قال: فأخرجوا لنا جلد الميتة مشوياً كانوا يأكلونه، ورمة العظام مسحوقة كانوا يسفونها، فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر، فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا "[٣١٧].

لقد عمل الخليفة عمر (رضي الله عنه) بنفسه في إعداد الطعام وتجهيزه، حيث كان يطرح رداءه وينزل للعمل مع الطباخين ويطعم الجوعى بيده، وكان أيضاً (رضي الله عنه) يرشد النساء إلى الطريقة الصحيحة والصحية للطبخ فكان يقول لهن:" لا تذرن [٣١٨] إحداكن الدقيق

---

(٣١٣) جرابين: جراب بالكسر، والجراب وعاء الزاد والعامة تفتحه والجمع أجربة، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٤٢، ج١.

(٣١٤) عكة: علك، العكة بالضم آنية السمن وجمعها عكك وعكاك، المصدر السابق، ص١٨٨، ج١.

(٣١٥) صرار: والصرّار: الأماكِنُ المُرْتَفِعَةُ عن الماءِ لا يَعْلُوها، انظر: الطالقاني: أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس (ت: ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، الصاحب الكافي الكفاة، تحقيق الشيخ: محمد حسن آل ياسين، ص٨٤، ج٨، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، عالم الكتب، بيروت.

(٣١٦) صرم: والصرم طائفة من القوم ينزلون بإبلهم في ناحية الماء فهم أهل صرم، والجمع على أصرام ثم يجمع على أصارم، انظر: الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ/ ٧٩١م)، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي وآخرين، ص١٢١، ج ٧، د.ط.ت، دار ومكتبة الهلال.

(٣١٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص٣١٤، ج٣، ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ص٥٧١، ج٢، ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ص٣٤٧، ج٤٤، ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص٤٥٥، ج٢.

(٣١٨) تذرن: وأذريت الشيء إذا ألقيته مثل إلقائك الحب للزرع، ويقال للذي تحمل به الحنطة لتذرى: المذرى، وذرى الشيء أي سقط، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص٢٨٣، ج١٤.

حتى يسخن الماء، ثم تذره قليلاً قليلاً وتسوطه [٣١٩] بمسوطها فإنه أريح له وأحرى ألا يتقرد، وفي رواية أخرى لا يتقدد " [٣٢٠].

كان مطبخ إغاثة اللاجئين بالمدينة يذبح يومياً ما يقرب من عشرين بعيراً، لإطعام الناس المنقطعين الذين كانوا يقاربون سبعة آلاف شخص، في كل وجبة، بالإضافة إلى قرابة أربعين ألفاً من النساء والصبيان، كانوا لا يأتون وإنما يبعث لهم بالتموين [٣٢١].

وقد وردت بعض النصوص عن استمرار العمل في مطبخ الإغاثة منذ الفجر" ... كانت قدور عمر يقوم إليها العمّال في السّحر يعلمون الكركور [٣٢٢] حتى يصبحوا، ثم يطعمون المرضى منهم، ويعملون العصايد [٣٢٣]؛ وكان الخليفة عمر (رضي الله عنه) يأمر بالزّيت فيفار في القدور الكبار على النّار، حتى يذهب حمّته وحرّه، ثم يثرد الخبز، ثم يؤدم [٣٢٤] بذلك الزّيت؛ فكانت العرب يحمّون من الزّيت، وما أكل عمر في بيت أحد من ولده، ولا بيت أحد من نسائه ذواقاً زمان الرّمادة إلا ما يتعشّى مع النّاس حتى أحيا الله النّاس أوّل ما أحيا " [٣٢٥].

---

(٣١٩) تسوطه: سوط السوط خلط الشيء بعضه ببعض، ومنه سمي المسواط، ساط الشيء سوطا سوطه خاضه وخلطه وأكثر ذلك، وخص بعضهم به القدر إذا خلط ما فيها، انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص٣٢٥، ج٧.

(٣٢٠) الطبري، تاريخ الطبري، ص٥٧١، ج٢، ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ص٤٢٣، ج٣، ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص٣١٤، ج٣.

(٣٢١) العمري، المرجع السابق، ص٧٣.

(٣٢٢) الكركور: وادٍ بعيد القعر يتكركر فيه الماء، وكركره: حبسه، وكركره عن الشيء: دفعه ورده وحبسه. وفي حديث عمر، رضي الله عنه: لما قدم الشام وكان بها الطاعون، تكركر عن ذلك أي رجع، من كركرته عني إذا دفعته ورددته، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص١٣٧، ج٥.

(٣٢٣) العصايد: مفردها عصيدة التي تعصدها بالمسواط فتمرها به، فتنقلب ولا يبقى في الإناء منها شيء إلا انقلب. وفي حديث خولة: فقربت له عصيدة هو دقيق يلت بالسمن ويطبخ، يقال: عصدت العصيدة وأعصدتها أي اتخذتها، المصدر السابق ، ص٢٩١، ج٣.

(٣٢٤) يؤدم: يؤدم بينكما يعني أن تكون بينهما المحبة والاتفاق، قال أبو عبيد: لا أرى الأصل فيه إلا من أدم الطعام لأن صلاحه وطيبه إنما يكون بالإدام، ولذلك يقال طعام مأدوم، المصدر السابق، ص٨، ج١٢.

(٣٢٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص٤١، ج٢.

ومع انتشار المجاعة في ذاك العام (عام الرمادة)، انتشرت بعض الأمراض، وكثر الموت بين الناس، وخصوصاً بين اللاجئين، فعن مالك بن أوس من بني نصر قال:" لما كان عام الرمادة، قدم على عمر قومي وهم مائة بيت، فكان عمر يطعم الناس من جاءه، ومن لم يأتِ أرسل إليه بالدقيق والتمر والأدم إلى منزله، فكان يرسل إلى قومي بما يصلحهم شهراً بشهر، وكان يتعاهد مرضاهم وأكفان من مات منهم، لقد رأيت الموت وقع فيهم حين أكلوا الثفل (٣٢٦)، وكان عمر (رضي الله عنه) يأتي بنفسه فيصلي عليهم، لقد رأيته صلى على عشرة جميعاً، فلما أحيوا قال: أخرجوا من القرية إلى ما كنتم اعتدتم من البرية، فجعل عمر يحمل الضعيف منهم حتى لحقوا ببلادهم " (٣٢٧).

وكان عمر (رضي الله عنه) ومن معه من أصحاب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يدركون أنهم ليس عندهم حل لتلك المجاعة، وأن عملهم إنما هو جزء من الأسباب التي يجب على المسلم اتخاذها، وأن المنجي من هذه الكارثة هو الله عز وجل، وهو الذي يرى رزق العباد؛ لذلك نجد عمر وبقية أصحابه عمدوا إلى الدعاء وإلى صلاة الاستسقاء، ولقد وردت عدة روايات حول الاستسقاء الذي حدث أيام عمر في عام الرمادة.

وكان الخليفة عمر (رضي الله عنه) يصلي في جوف الليل في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عام الرمادة، وهو يقول:" اللهم لا تهلكنا بالسنين، وارفع عنا البلاء، يردد هذه الكلمة، وكان يقول أيضاً: اللهم لا تجعل هلكة أمة محمد على رجلي " (٣٢٨).

إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) شديد التعلق بالله لحل تلك الأزمة التي نزلت بالمسلمين، وكان على يقين بأن الرزق من عند الله تعالى، وأنه القادر على إطعام الخلق، وكان

---

(٣٢٦) ثفل: الثفل: الحب، ووجدت بني فلان متثافلين أي يأكلون الحب؛ وذلك أشد ما يكون من الشظف، وفي الصحاح: وذلك إذا لم يكن لهم لبن، قال أبو منصور: وأهل البدو إذا أصابوا من اللبن ما يكفيهم لقوتهم فهم مخصبون، لا يختارون عليه غذاء من تمر أو زبيب أو حب، فإذا أعوزهم اللبن وأصابوا من الحب والتمر ما يتبلغون به فهم مثافلون، ابن منظور، لسان العرب، ص٨٤، ج١١.

(٣٢٧) ابن سعد، المصدر السابق، ص٣١٧، ج٣.

(٣٢٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ص٤٢٥، ج٣.

(رضي الله عنه) يتعمد أن يأكل مع الجياع وعامة الناس في مائدة واحدة، وألاّ يميز نفسه بشيء عنهم، وقد أقسم عمر (رضي الله عنه) حينما أحس بالجوع يصيب الناس ألاّ يذوق لحماً حتى يأكله الناس [٣٢٩].

وبسبب المجاعة التي حلت بالناس أخّر عمر (رضي الله عنه) الصدقة، حيث قال:" ... أذا أحيا الناس من العام المقبل، وأسمن الناس، بعث إليهم مصدقين ... " [٣٣٠]، وهكذا قدم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) درساً عملياً في كيفية مواجهة المجاعات من خلال عدة إجراءات تصلح للاستدعاء في كل زمان والتي منها:

١ – الحرص على توزيع الإمدادات الغذائية على الجميع دون إقصاء لأي شريحة من المجتمع.

٢ – إنشاء المطابخ الكبيرة لإغاثة اللاجئين والجياع في مختلف المناطق.

٣ – إشراف ولي الأمر بنفسه على توزيع المساعدات الغذائية القادمة من الأمصار.

٤ – استنفار كل الأقاليم لمساعدة الأقليم المنكوب.

٥ – تقديم نصائح خاصة للنساء في كيفية إعداد الأطعمة الصحية في فترات الأزمات والمجاعات.

٦ – الاهتمام بالمرضى في كافة المناطق التي حلت بها المجاعة، والحرص على تقديم الأطعمة الصحية والمفيدة لهم، والصلاة على الأموات منهم.

٧ – الاهتمام بالجانب النفسي للناس في أثناء الأزمات، مع الحرص على نشر الطمأنينة في قلوبهم، من خلال تأخيره للصدقة في هذا العام، وأخذها في العام المقبل حينما يحيا الناس ويسمنوا.

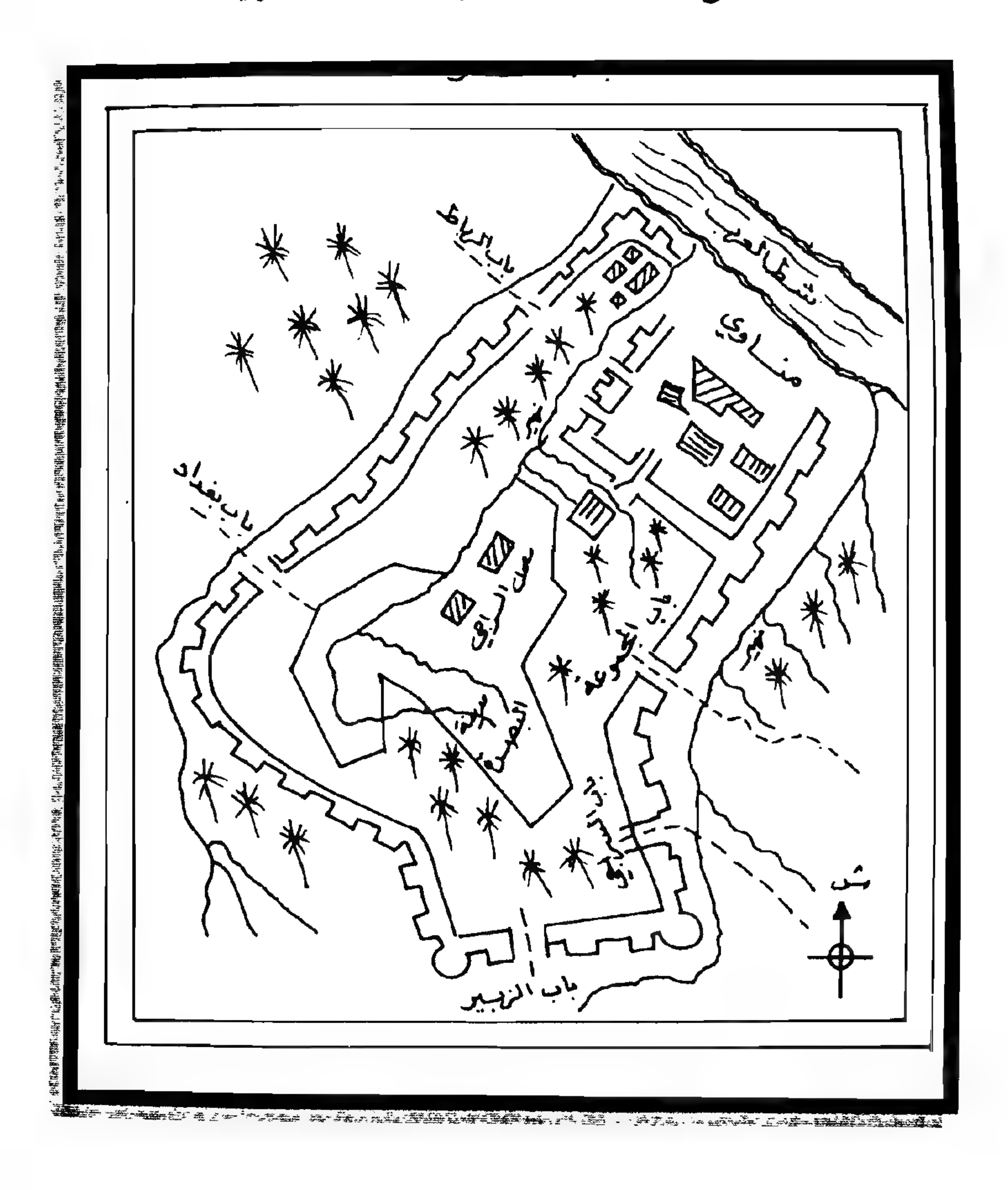
٨ – قوة الإيمان وحسن الظن بالله عنصر مهم في مواجهة الأزمات.

---

(٣٢٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص٣١٣، ج٣.

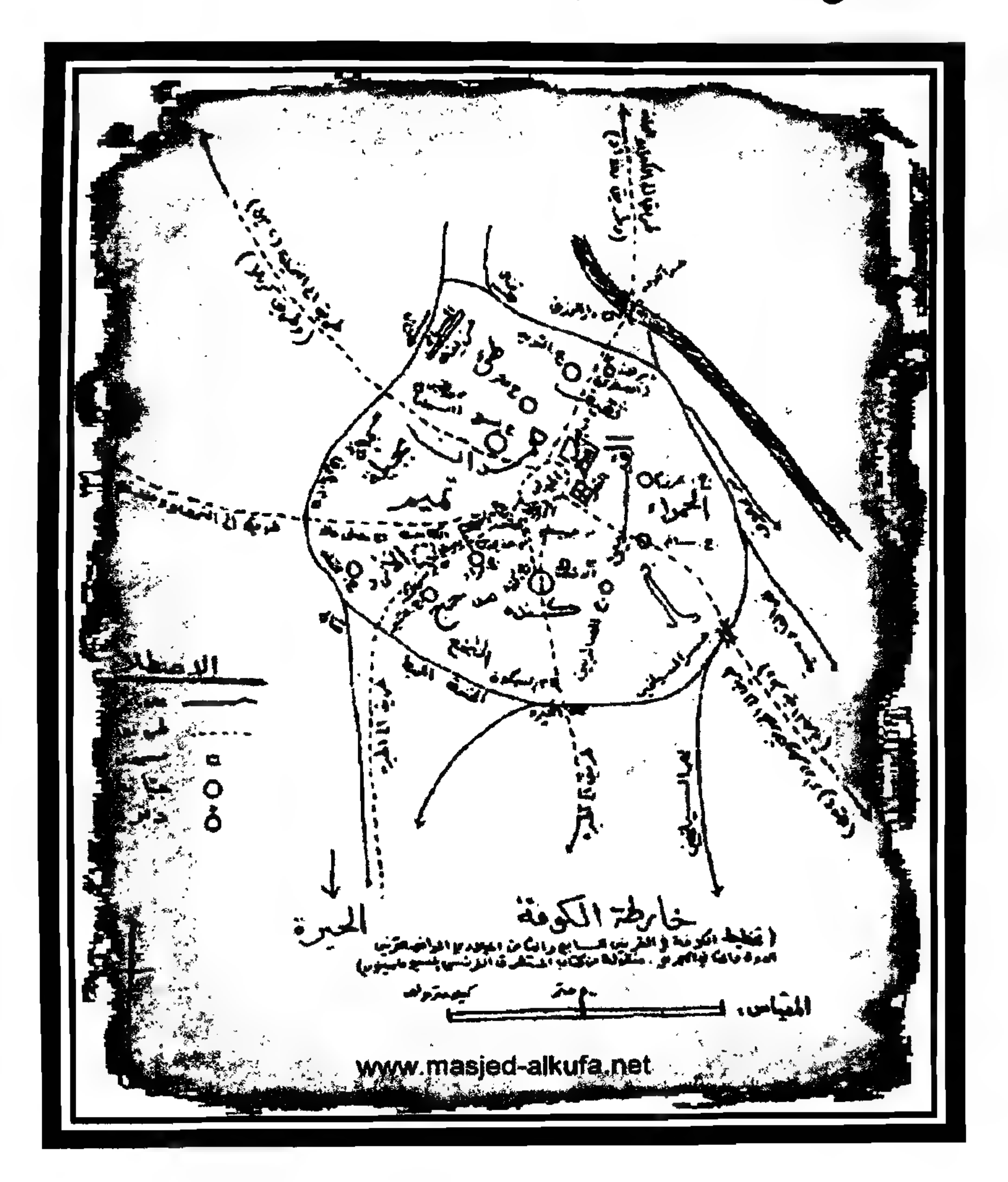
(٣٣٠) ابن زنجويه، الأموال، ص٤٧٣، ج٤.

خريطة توضح تخطيط مدينة البصرة في القرن الأول الهجري (٣٣١).



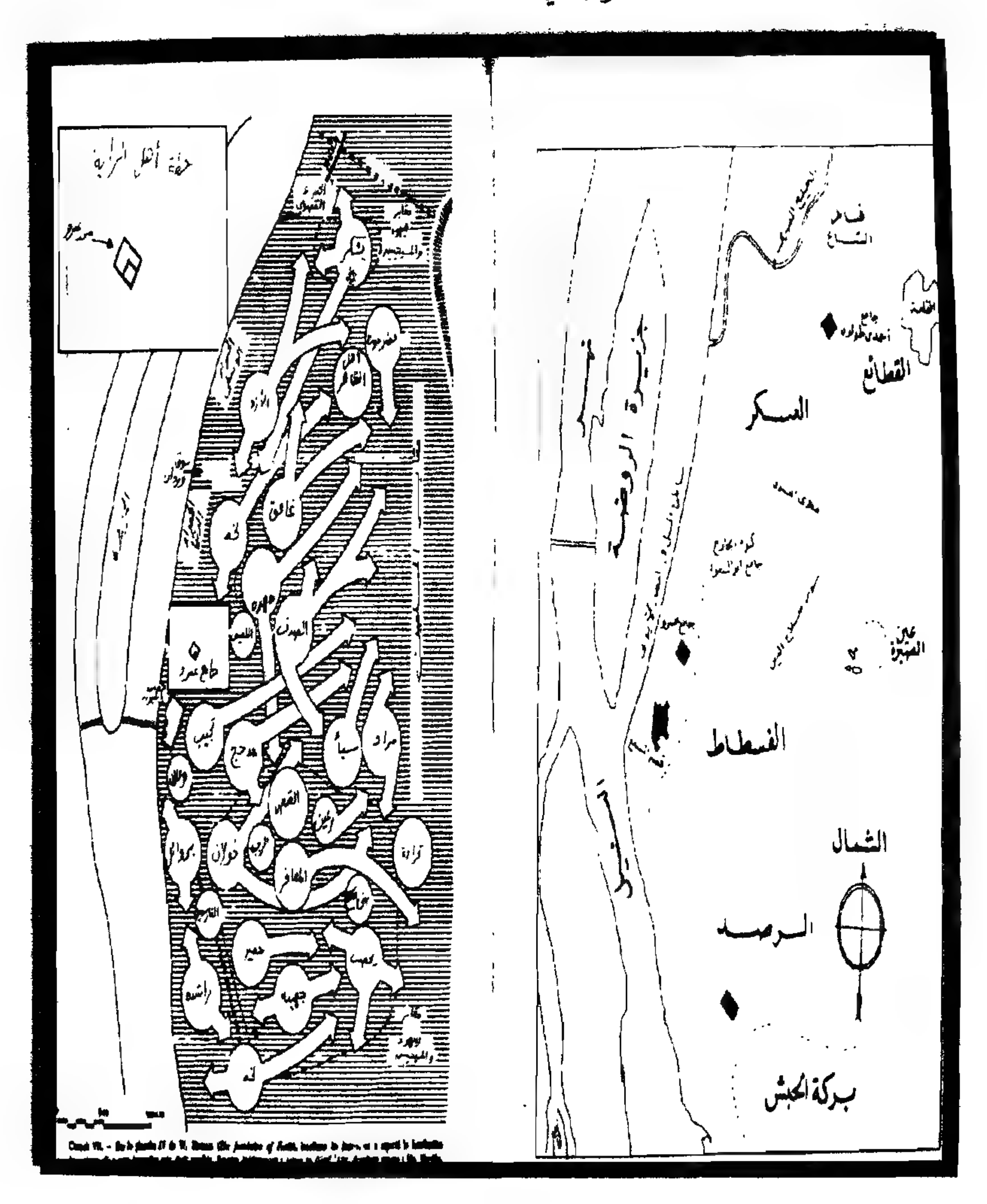
(٣٣١) العباسي، الشيخ عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة (خطط البصرة) ص٨٠، ج١، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، شركة التايمز للطبع والنشر، بغداد.

خريطة توضح تخطيط مدينة الكوفة في القرن الأول الهجري/ السادس الميلادي [٣٣٢].



(٣٣٢) موقع مسجد الكوفة، www.masjed-alkufa.net

شكل يوضح تخطيط مدينة الفسطاط في القرن الأول الهجري، وتوزيع خطط القبائل العربية في الفسطاط (٣٣٣)



(٣٣٣) عزب، خالد، الفسطاط النشأة، الازدهار، الانحسار، ص٦٠، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الآفاق العربية، القاهرة.

المبحث الثالث

من أبرز أطباء أهل الذمّة في العصر الراشدي.

تحدثت الباحثة في الفصل الأول عن أبرز أطباء وطبيبات العصر النبوي، وهم أطباء مخضرمون عاشوا أيضاً في العصر الراشدي، وهم: الحارث بن كلدة الثقفي الذي عاصر الفترة الجاهلية وعهد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وعاصر خلافة الخلفاء الراشدين، وهناك أيضاً الحارث بن كعب، وأبو رمثة التميمي، ومن النساء رفيدة الأسلمية، والشفاء بنت عبد الله، وأم أيمن، وغيرهم من الصحابيات الجليلات اللاتي مارسن مهنة الطبابة في عصر الخلفاء الراشدين.

إلا أن العصر الراشدي يمتاز بدخول الإسلام إلى الشام، والعراق، وفارس، ومصر؛ مما يعني وراثة المدارس الطبية في تلك الأمصار، ولعل من أبرز هؤلاء الأطباء الذين صرحت بأسمائهم كتب طبقات الأطباء أمثال: كتاب عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، وكتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل، وكتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي:

١- يحيى النحوي الإسكندراني (٢١هـ/٦٤٢م) (أوتوشيوس الذي يعني "أبو سعيد").

يعد من أشهر أطباء الإسكندرية المتأخرين وأكثرهم تصنيفاً، تاق إلى العلم بعد أن بلغ الأربعين من عمره، فالتحق بدار العلم في الإسكندرية، ودرس الطب وأضحى طبيباً مشهوراً، وقام بترتيب مجاميع جالينوس الستة عشر [٣٣٤]،" ... وكان أحد تلاميذ العالم ساوارى، وإلى جانب ذلك شغل يحيى مناصب دينية مرموقة، فقد كان أسقفاً في بعض الكنائس بمصر، ولما فتحت مصر على يدي عمرو بن العاص (رضي الله عنه) عرف عمرو بن العاص ليحيى مكانته

(٣٣٤) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص٦٠-٦١.

وقربه إليه "[٣٣٥]؛ **لأنه** علم أنه من أشهر الأطباء في مصر؛ لهذا قام عمرو بن العاص بإنشاء عيادة طبية ليحيى النحوي [*] ليستفيد من طبه في علاج أهل مصر.

من أشهر مؤلفات يحيى النحوي في الطب.

- تفسير كتاب النبض الصغير (لجالينوس).
- تفسير كتاب المزاج (لجالينوس).
- تفسير كتاب علل الأعضاء الباطنة (لجالينوس).
- تفسير كتاب الأصحاء (لجالينوس).
- تفسير كتاب التشريح الصغير (لجالينوس).

وغيرها كثير من الكتب والمقالات التي تحدث عنها يحيى النحوي في الطب، وقد احتوت هذه الكتب مما يحتاج إليه المتعلم والطبيب المبتدئ من الاستدلال مثلاً" بالنبض على ما ينتفع به في الأمراض، وبعض الكتب الطبية تساعد المتعلم على معرفة الأمراض وأسباها وطرق علاجها، وهناك علة من العلل التي تحدث في الأعضاء الباطنة، فإن هذه الأعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان؛ لأنها خفية عن الحس، فيحتاج إلى أن يستدل عليها بعلامات تقوم كل واحد منها ... "[٣٣٦].

(٣٣٥) ابن النديم: محمد بن إسحاق أبو الفرج (ت: ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، الفهرست، ص٣٥٦، د.ط، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، دار المعرفة، بيروت.

* لا يعرف أي سنة ولد يحيى الإسكندراني، ولكن سنة وفاته كانت ربما أثناء فتح مصر على يد عمرو بن العاص، أي بعد سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م، والله أعلم.

(٣٣٦) ابن النديم، المصدر السابق، ص٧-١٢.

٢- أهرن بن أعين.

ويسمى في بعض المصادر أقرن، وهو طبيب رومي تم ذكره في كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي [٣٣٧]، لا يعرف سنة ميلاده ووفاته، وهو القس صاحب الكناش، وألف كناشه بالسريانية، وهي ثلاثون مقالة ... [٣٣٨]، وهو من تلاميذ مدرسة الإسكندرية في زمن قريب من الفتح الإسلامي لمصر (١٧-٢٢هـ/ ٦٣٨-٦٤٣م)، وربما أدرك أوائل الخلفاء الراشدين، وعرف طبيباً وفيلسوفاً ورجل دين، عاش أكثر عمره في سورية، والكناشة التي كتبها أهران أو أقرن بالسريانية تتحدث عن الرمد، وقروح العينن ووصف عن مرض الجدري [٣٣٩].

وهناك بعض أسماء لأهل الذمّة ورد ذكرهم في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، دون ذكر لتفاصيل حياتهم، ولكنهم عاصروا فترة الأطباء الإسكندرانيين وبخاصة يحيى النحوي وهم:

٣ – شمعون الراهب المعروف بطيبويه.

٤ – اصطفن: وهو طبيب يوناني، عاش في مصر، وهو من ضمن الأطباء الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها [٣٤٠]، ويقال إنه عاصر الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية، حيث استقدمه من مصر ليترجم له كتب اليونان في الكيمياء والطب والفلك [٣٤١].

٥- والطبيب برطلاوس.

٦- والطبيب سندهشار: ومن اسمه يمكن القول إنه من فارس أو من الهند.

٧- وهناك الطبيب قهلمان.

(٣٣٧) ابن القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق الدكتور: محمد عوني عبد الرؤوف، ص٥٦، د.ط، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، مكتبة الآداب، القاهرة.

(٣٣٨) المصدر نفسه، ص١٢، ج١.

(٣٣٩) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص١١، ج١.

(٣٤٠) المصدر نفسه، ج١، ص٣.

(٣٤١) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص١٣١.

٨ – والطبيب أبو جريج الراهب.

٩ – الطبيب فلاغوسون.

١٠– والطبيب عيسى بن قسطنطين، ويكنى أبا موسى [٣٤٢]، ويدل على اسمه على أنه من أصل عربي وأدرك الإسلام، وله كتاب البواسير وكتاب الأدوية المفردة [٣٤٣].

١١– بولس الأجيني: الملقب بالقوابلي عند الأطباء العرب؛ لأنه كان جراحاً عظيماً قديراً في أمراض النساء، وهو يوناني الأصل من جزيرة أجينا غربي أثينا، عاصر صدر الإسلام، ويقال إنه أدرك بعض أطباء المسلمين، [٣٤٤]، وله مؤلفات ترجم معظمها للعربية من ضمنها:" الكناش وهي موسوعة في الطب بسبعة أجزاء أخذ فيها بكثرة عن جالينوسن وأوريبلسيوس، وآتيوس، وكرس الجزء السادس للعلوم الجراحية، تدبير الحبالى، علل النساء ... " [٣٤٥].

١٢– أريبلسيوس: طبيب إسكندراني، بعد يحيى النحوي، عاش في الديار المصرية، وكان فاضلاً مصنفاً في صناعة الطب، وله عدة كنانيش [٣٤٦] مشهورة بين أهل هذه الصناعة، ويعرف بصاحب الكنانيش [٣٤٧].

ومما تقدم يمكن تسجيل بعض الملاحظات الآتية على النظرة الشمولية للرعاية الصحية والطبية في العصر الراشدي:

١ – أن التسامح الديني بلغ قمة تألقه في هذا العصر وخصوصاً في المجال الطبي؛ إذ يعد جل أطباء هذا العصر من أهالي البلاد المفتوحة.

---

(٣٤٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص١٢، ج١.

(٣٤٣) المصدر نفسه، ص١٣، ج١.

(٣٤٤) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص٦٢.

(٣٤٥) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج١، ص١٣-١٤.

(٣٤٦) كنانيش: الكناشة الأصول التي تتشعب لها الفروع، وكناش أي جماعة الناس سريانية معربة، انظر: ابن القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص٥٦.

(٣٤٧) المصدر نفسه والصفحة.

٢ – على الرغم من انشغال الخلفاء الراشدين بالفتوحات الإسلامية، إلا أنهم لم يهملوا الأمور الصحية وتركوا في مسيرتها بصمات واضحة.

٣ – أن الحرص على نشر الوعي الصحي بمفهومه الشامل يمثل سمة من سمات هذا العصر.

٤ – أن الرقابة الصحية والطبية على الأطعمة والأطباء بدأت في هذا العصر بوضوح وجلاء.

٥ – أن الحرص على النظافة وسلامة البيئة ظهر جلياً في هذا العصر.

٦ – أن هذا العصر قدم لنا أنموذجاً رائعاً لبرامج إغاثة الأقاليم المنكوبة بالمجاعات، وهذه البرامج قابلة للاستدعاء في كل العصور.

جدول يبين أبرز أسماء أطباء أهل الذمّة في العصر الراشدي

الرقم	أسماء أطباء أهل الذمة
١	يحيى النحوي الإسكندراني
٢	أقرن أو أهرن بن أعين
٣	عيسى بن قسطنطين
٤	بولس الأجيني
٥	أريبلسيوس
٦	شمعون الراهب المعروف بطيبويه
٧	قهلمان
٨	فلاغوسون
٩	سندهشار
١٠	اصطفن
١١	برطلاوس
١٢	أبو جريج الراهب

الفصل الثالث:

الرعاية الصحية والطبية في الدولة الأموية

(٤١- ١٠١هـ/ ٦٦١- ٧١٩م).

المبحث الأول: رعاية خلفاء وولاة بني أمية للطب والأطباء.

المبحث الثاني: نماذج مختارة من إسهامات الدولة الأموية في الرعاية الصحية والطبية.

المبحث الثالث: أبرز أطباء العصر الأموي.



المبحث الأول

رعاية خلفاء وولاة بني أمية للطب والأطباء.

تمثل التجربة الأموية تجربة فريدة في تاريخنا السياسي والحضاري على حد سواء، فالعصر الأموي يمثل التجربة الإسلامية الوحيدة التي كانت تحكم فيه رقعة جغرافية واسعة من حدود الصين إلى أبواب باريس من عاصمة واحدة وخليفة واحد، كما أن هذا العصر شهد إنجازات حضارية وثقافية هائلة، ففي هذا العصر دُوّن المصدر الثاني للتشريع (الحديث الشريف)، وبنيت العديد من المدن أمثال: القيروان، وميناء تونس، وواسط، ورصافة هشام [٣٤٨] في الشام، وغيرها، وفي هذا العصر عرّبت الدواوين، والعملة، وطبعت البلاد العربية بالطابع العربي والإسلامي، وبنيت العديد من المساجد أمثال: مسجد قبة الصخرة، والمسجد الأموي في دمشق، والمسجد الأقصى، ووصلت الفتوحات الإسلامية إلى أوروبا الغربية عن طريق فتح الأندلس.

وازدهر الأسطول الإسلامي، وغدا البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، وفي المقابل تعرضت الدولة الأموية للعديد من الثورات الكبرى التي هزت دعائمها وركائزها، ومن أبرزها ثورة (عبد الله بن الزبير)، وثورة (عبد الرحمن بن الأشعث) وغيرها من الثورات، وفي هذا العصر ظهرت أبهة الملك، وفي هذا العصر كانت هناك أوسع عملية لرد المظالم في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، وإلى جانب تلك الأحداث والتغيرات السياسية والاقتصادية والعسكرية ازدهرت الحياة الطبية والصحية في العصر الأموي، فشهدت لأول مرة إنشاء (البيمارستانات) الكبرى، والمصحات الطبية على اختلاف تخصصاتها في أرجاء الدولة الأموية، وترجمت الكتب

---

(٣٤٨) رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام، وكان يسكنها في الصيف وكان ينزل قبلها الزيتونة، وحفر الهنى والمرى،. ياقوت الحموي: معجم البلدان ص٤٧، ج٣، وانظر: البلاذري، فتوح البلدان: ص١٨٤، ج١.

الخاصة بالطب، وقام الخلفاء والولاة الأمويون بتشجيع طلاب العلم على دراسة تلك الكتب الطبية المعربة؛ مما ساهم في ازدهار الطب ازدهاراً كبيراً، ولكن لم يصل إلينا سوى القليل عن تاريخ الطب في تلك الحقبة التاريخية، وربما كان ذلك بسبب ما تعرض له التاريخ الأموي للأسف من طمس وتشويه من قبل خصومهم، ولعل الحديث عن الصحة والطب في هذه الحقبة التاريخية يكون فيه جزء من الإنصاف لإنجازات هذه الدولة العظيمة.

لقد ورث الأمويون الإسكندرية، وإنطاكية، وجند يسابور، والرها، ونصيبين وبصرى الشام، ومدرسة الحيرة، ومدرسة حران، وهي تعد من أهم مراكز العلوم الطبية في العصور القديمة، حيث استفادوا من خبرات أطبائها وعلمائها، فكان خلفاء بني أمية من أوائل من أدخلوا الأطباء الأعاجم إلى حاشيتهم، فتشير بعض المصادر إلى أن ابن أثال النصراني طبيب معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) (ت: ٦٠هـ/ ٦٧٩) [٣٤٩] ساهم في نقل بعض معارف الطب إلى العربية [٣٥٠]، "فقد كان خبيراً بالأدوية المركبة والمفردة وقواها ... " [٣٥١]، وهذا ما أكده ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء حين قال: "ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه، وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيه، والمحادثة معه ليلاً ونهاراً" [٣٥٢].

لقد كان ابن أثال طبيباً ماهراً، متمكناً من علمه في الطب؛ مما دفع معاوية ابن أبي سفيان (رضي الله عنه) إلى تشجيعه على ترجمة بعض الكتب اليونانية إلى العربية، وبهذه الخطوة العظيمة والرائعة، كانت البدايات الحقيقية لترجمة كتب الطب في عهد معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه). حيث تؤكد بعض الدراسات تزايد أعداد المشتغلين في الطب في عهد معاوية (رضي الله

(٣٤٩) مُعَاوِيَةُ بن صَخْر بن حَرْب بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف القُرَشي الأمَوي، وهو معاوية بن أبي سفيان وأُمه هند بنت عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس، يجتمع أبوه وأمه في: عبد شمس، وكنيته أبو عبد الرحمن، بقي أميراً عشرين سنة، وخليفة عشرين سنة، توفي معاوية سنة ٦٠هـ، وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنة، ابن الأثير، أسد الغابة، ص٢٢٠-٢٢٤، ج٥.

(٣٥٠) الصلابي، علي محمد، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ص٢٤٠، مج١، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م ، دار المعرفة، بيروت.

(٣٥١) ابن الأثير، أسد الغابة، ص١٧٢، ج١.

(٣٥٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص١٧١، ج١.

عنه) بحيث أصبحت النسبة (طبيب لكل ٥٣٣,٣٣ فرداً) [٣٥٣]، ومما يدل على ذلك أن زياد بن أبيه، والي البصرة حينما طعن في يده،" ... جمع مائة وخمسين طبيباً ليداووه ... " [٣٥٤]، وكان عدد سكان البصرة في تلك الفترة ثمانين ألفاً تقريباً [٣٥٥].

ويعدُّ الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية: (ت: ٩٠هـ/ ٧٠٨م) [٣٥٦] من أبرز من أثر عنهم اهتمامهم بالعلوم العربية والأجنبية تشجيعاً ومساهمةً، فقد أجمع المؤرخون على وصفه بالعقل، والعلم، والحكمة، وكما تشير بعض وثائق البردي أن خالد بن يزيد يعدُّ من ضمن الأطباء [٣٥٧].

ومن ضمن المؤرخين الذين امتدحوا خالداً، بذكائه، وعلمه، ورجاحة عقله، الجاحظ (٢٥٥هـ/٨٦٨م) في كتابه البيان والتبيين إذ قال عنه: (وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيباً شاعراً وفصيحاً جامعاً وجيد الرأي كثير الأدب، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء) [٣٥٨].

---

(٣٥٣) الصلابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار والانهيار، ص٢٤٠.

(٣٥٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ص٦٢، ح٨، ؛ الطبري، المصدر السابق، ص٢٣٩، ج٣، ؛ المكي، عبد الملك بن حسين عبد الملك الشافعي العاصمي (ت: ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، ص١٢١، ج٣، د.ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣٥٥) الصلابي، المرجع السابق، ص٢٤٠.

(٣٥٦) خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، كان أميراً على حمص، ولد عام ١٣هـ، وتوفي سنة (٩٠هـ/ ٧٠٩م)، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٦٠.

(٣٥٧) إبراهيم، فاضل خليل، خالد بن يزيد سيرته واهتماماته العلمية- دراسة في العلوم عند العرب، ص٩٩، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق.

(٣٥٨) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، ص١٧٣، ج١، د.ط.ت، دار صعب، بيروت.

ويذكر ابن النديم في كتابه الفهرست: (... أن خالد بن يزيد بن معاوية، كان يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان يترل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي ...) [٣٥٩].

كما ذكر حاجي خلفية في كتابه "كشف الظنون (قول ابن سينا في كتابه مرآة العجائب عن خالد بن يزيد أنه من أوائل خلفاء وأمراء بني أمية الذين اهتموا بترجمة كتب الكيمياء، ووضع فيها الكتب، وبين صنعة الإكسير والميزان) [٣٦٠].

ويبدو من خلال هذه النصوص التاريخية أن خالد بن يزيد كان مولعاً بالعلم، ومحباً له، عاشقاً له، بذل الغالي والنفيس من أجل ترجمة الكتب العلمية وبخاصة الكيمياء والطب؛ ليتعرف على تراكيب المعادن والأدوية، والعلاجات التي كانت تستخدمها الشعوب في علاج مرضاهم، ولا ننسى أن الكيمياء كانت مرتبطة بالطب ولا تنفصل عنه؛ لهذا أمر بترجمة الكتب الطبية والكيمياء إلى العربية، حتى يطلع عليها، ويعرف أسرار هذه الصنعة.

وقد استعان خالد بن يزيد بأحد الرهبان واسمه مريانوس [٣٦١]، وبعض المصادر تقول عنه مريانس [٣٦٢]، حيث طلب منه أن يعلمه صناعة الكيمياء والطب، حيث قال له خالد:" يا مريانس! إني طلبت علم الصنعة لأعلمها، وبحثت عن خبرها وأمرها واستقصيت عنها، فلم أجد من يخبرني عنها، وأنا أسألك أن تسبب لي أمرها وعلاجها ... " [٣٦٣]، وهذا النص يدل على

(٣٥٩) ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٨؛ المدائني، شرح نهج البلاغة، ص١٥٢، ج١٥.

(٣٦٠) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص١٥٣١، ج٢، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣٦١) الديوه جي، سعيد، الأمير خالد بن يزيد ٩٠هـ، ص٣٢، ط١، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، المطبعة الهاشمية دمشق.

(٣٦٢) مريانس أو مريانوس، عاش في الإسكندرية قبيل الفتح الإسلامي، ثم انتقل للعيش في جبال بيت المقدس، كان فيلسوفاً مسيحياً، وكان شغوفاً بالكيمياء، واشتهر بدراسته لكتب هرمس الكيميائية، انظر: قاري، لطف الله، نشأة العلوم الطبيعية عند المسلمين في العصر الأموي، ص٩٩، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، دار الرفاعي، الرياض.

(٣٦٣) قاري، المرجع السابق، ص١٩٧.

اهتمام خالد بن يزيد بتعلم صنعة الطب، وطرائق العلاج، ومعرفة تراكيب الأدوية، ومن أقوال مريانوس الطبية التي كان يعلمها لخالد قوله:" ... وذكرت النطفة وتغيرها، حتى تصير دماً، ثم مضغة، ثم تتخلق حتى تصير إنساناً تاماً ... "، ويقول في مناسبة أخرى:" واعلم أنك إن لم تحكم علاج الجسد الوسخ، حتى تنقيه، وقد حل الروح فيه ... ، واعلم أن الروح سريعة المشي في جسدها، وإن كلفتها المشي في غير جسدها لم تجب إلى الدخول فيه ... "[٣٦٤].

وربما هذه العبارات الطبية التي وردت في الديوان تعطي للقارئ التعريفات التي قدمها مريانس لخالد بن يزيد عن الطب والكيمياء، حيث أدرك الطبيب الحاذق الصفات التي كان يتمتع بها الأمير خالد، من الفصاحة، وهمته في العلم، ورغبته في تعلم هذه الصنعة، ففطن مريانس لهذا الأمر، فأعطاه أسرار هذه المهنة العظيمة والجليلة.

في المقابل يذكر الدكتور فاضل خليل في كتابه" خالد بن يزيد واهتماماته العلمية (أنه لا توجد إشارات واضحة حول الكتب التي عربت في مجال الطب والتي ذكرها ابن النديم، أو من ترجم له كتب الطب) [٣٦٥]، ويعتقد الدكتور فاضل أن كناش أهرن هو أحد الكتب الطبية التي أمر خالد بن يزيد بترجمتها إلى العربية، ولم يقتصر دور خالد على الترجمة، بل كان عارفاً بالطب، والكيمياء، لما للكيمياء من ارتباط بالطب والصيدلة؛ إذ كان يتحول المهتم بالكيمياء في العادة إلى طبيب يسعى إلى شفاء الأبدان. [٣٦٦]

ويبدو أن (عمر بن عبد العزيز **١٠١هـ/ ٧١٩م**) [٣٦٧] يعد من أبرز خلفاء بني أمية حرصاً على نشر المعرفة، حيث تؤكد بعض المصادر أن عمر بن عبد العزيز كان شغوفاً بنشر

---

(٣٦٤) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص١٣٤.

(٣٦٥) إبراهيم، فاضل، خالد بن يزيد سيرته واهتماماته العلمية، ص١١٥.

(٣٦٦) المرجع السابق نفسه، ص١١٥-١١٦.

(٣٦٧) ولد عمر بن عبد العزيز بالمدينة المنورة، وبعض المصادر تشير إلى أنه ولد بحلوان قرية في مصر، وأبوه أمير عليها سنة إحدى وستين، وقيل ثلاث وستين، وأمه هي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكانت سنة وفاته مئة وواحد هجرياً، انظر: ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله (ت: ٢١٤هـ/ ٨٢٩م)، سيرة عمر بن عبد العزيز=

العلم بين الناس، فقد كتب ذات مرة إلى أحد أمراء أجناده:" أما بعد، فمر أهل الفقه والعلم من عندك، فلينشروا ما علمهم الله في مجالسهم، ومساجدهم، والسلام "(٣٦٨)، ومن أقواله أيضاً في تحصيل العلم:" إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تستطع فأحبهم، فإن لم تستطع، فلا تبغضهم "، وقال عمر بن عبد العزيز:" لقد جعل الله له مخرجاً إن قبل "(٣٦٩)، ولحرص عمر بن عبد العزيز على السعي الدائم لنشر العلم، كان يرسل الأموال للعلماء، ليشجعهم على نشر العلم بين الرعية وتعليمهم،" حيث بعث يزيد بن أبي مالك والحارث، إلى البادية أن يعلما الناس السنة، وأجرى عليهما الرزق "(٣٧٠).

وقد أمر عمر بن عبد العزيز بترجمة كتاب الطبيب أهرن بن أعين القس إلى العربية، حيث يذكر ابن أبي أصيبعة في كتابه" طبقات الأطباء (أن عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب في خزائن الكتب فأمر بإخراجه، ووضعه في مصلاه، واستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به، فلما تم له في ذلك أربعون صباحاً أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم) (٣٧١).

وقد استعان الخليفة عمر بن عبد العزيز بالطبيب ماسرجويه لترجمة كناشة أهرن، يقول ابن القفطي: (ماسرجويه الطبيب البصري، كَانَ إسرائيلياً فِي زمن عمر بن عبد العزيز، وربما

=على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، علق عليها: أحمد عبيد، ص٢٤، ط٦، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، عالم الكتب، دمشق.

(٣٦٨) النمري، يوسف بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، جامع بيان العلم وفضله، ص١٢٤، ج١، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، دار الكتب العلمية، بيروت؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ص٦٩، ج٣، ؛ البستي، محمد بن حبان أبو حاتم (ت: ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص٢٤٨، ج١، ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣٦٩) الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت: ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، المعرفة والتاريخ، تحقيق: خليل منصور، ص٣٨٠، ج٣، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣٧٠) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١٤١.

(٣٧١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٣٢، ج١ ؛ القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص١٤٠، ج١؛ الكتاني، التراتيب الإدارية، ص٢٧٠، ج٢.

قيل فِي اسمه ماسرجيس، وَكَانَ عالماً بالطب، تولى لعمر بن عبد العزيز ترجمة كتاب أهرن القس فِي الطب، وهو كناش فاضل من أفضل الكنانيش القديمة ...) [٣٧٢].

لقد خطا الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز خطوة إلى الإمام؛ وذلك بنقله تدريس الطب من الإسكندرية إلى أنطاكية وحران، فقد انتقل الطبيب عبد الملك بن أبجر الكناني، الذي كان نصرانياً ثم أسلم، إلى الشام بعد أن آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز عام ٩٩هـ/ ٧٦٨م، ونقل التدريس من الإسكندرية إلى أنطاكية، وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر ويعتمد عليه في صناعة الطب [٣٧٣].

ويبدو أن العلاقات الثقافية والعلمية كانت مزدهرة بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية، وليس أدل على ذلك من أن الإمبراطور البيزنطي عندما علم بأن عمر بن عبد العزيز مريض، أرسل إليه أفضل أطباء الإمبراطورية لمعالجته، والذي اكتشف أن عمر بن عبد العزيز وقع ضحية مؤامرة خبيثة لقتله عن طريق دس السم له في طعامه، واقترح علاجه عن طريق شراب خاص، إلا أن عمر بن عبد العزيز رفض تناول العلاج وقال: "لو كان روح الحياة بيدك ما مكنتك من ذلك، ارجع إلى صاحبك لا حاجة لي في علاجك" . [٣٧٤]

وقد تساءلت الباحثة: ما السبب الذي حمل الخليفة عمر بن عبد العزيز على أن يرفض العلاج؟ ولعل الإجابة أنه من المحتمل أن قد اتخذ هذا القرار لأنه سأل أطباءه: هل من علاج له؟ فيبدو أن إجابتهم كانت أنه لا جدوى من العلاج، وأن الموت قادم لا محالة، فاحتسب الخليفة عمر بن عبد العزيز أمره لله عز وجل، ويتوقع أن هذا السبب جعله يرفض جميع الوصفات العلاجية من رئيس الأطباء الذي جاء إليه مبعوثاً من قبل إمبراطور الدولة البيزنطية.

وبما تقدم يمكن أن نخلص بالملاحظات الآتية:

---

(٣٧٢) القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص١٤٠، ج١.

(٣٧٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص١٧١، ج١.

(٣٧٤) انظر: ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١٠٢؛ التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام (ت: ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)، المحن، تحقيق: الدكتور عمر سليمان العقيلي، ص٢٧٥، ج١، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، دار العلوم، الرياض.

١ – اهتمام عمر بن عبد العزيز بالأطباء، والحرص على مجالستهم، وقيامه بالاستفادة من خبراتهم، حيث اختار ابن أبجر ليكون طبيبه الخاص.

٢ – أن عمر بن عبد العزيز كان يحرص على استقطاب الأطباء المتميزين، بغض النظر عن الدين أو المذهب، فقد قرب الطبيب اليهودي ماسرجويه لبراعته في مهنة الطب وإتقانه فيها.

٣ – أن وجود العديد من العلماء والأطباء والنصارى في البلاط الأموي، لهو شهادة على سمو روح التسامح والتعايش في هذه الدولة.

٤ – أن اختيار الكتب الطبية للترجمة كان يتم بعد تروٍّ، وتأكد من قيمة الكتاب المطلوب، فقد مكث عمر بن عبد العزيز أربعين يوماً قبل أن يأمر بترجمة كتاب أهرن بن أعين الكناشة، حيث إن ترجمتها سوف تفتح آفاقاً كبيرة لأهل الطب في عصره.

٥ – اتساع رقعة الدولة الأموية من حدود الصين إلى أبواب باريس، وما اشتملت عليه هذه الرقعة الشائعة من أجناس، وأعراق، وعلوم، كان لها الأثر في إثراء الحركة العلمية في الدولة الأموية؛ مما ساهم في تقدم العلوم وبخاصة الطبية منها، حيث إن الأمويين استفادوا من المدارس الطبية المنتشرة في تلك الأقاليم الجغرافية الواسعة.

٦ – أن تشجيع الخلفاء الأمويين لدراسة العلوم وبخاصة الكتب الطبية، أدى إلى بروز عدد من أمرائهم الذين شغفوا بدراسة الطب والكيمياء، ألا وهو خالد بن يزيد؛ مما أدى إلى ازدهار حركة الترجمة في تلك الحقبة التاريخية.

٧ – أن توافر الأمن، وسهولة الحركة والتنقل في أرجاء الدولة الأموية، ساهم مساهمة فاعلة في تبادل الخبرات والمعارف بين أقاليم الدولة الأموية.

٨ – أن نشاط حركة الفتح الإسلامي ساهمت مساهمة فاعلة في تقدم الطب والجراحة في الدولة الأموية؛ إذ اقتضت الضرورة معالجة عدد كبير من الجرحى الذين كانوا يتساقطون في جبهات القتال، حيث كان كل جيش يصحبه عدد من الأطباء، والممرضات، والإسعافات الأولية، والدواب، والأطعمة الصحية، للاعتناء بالجرحى والمرضى.

٩ – اتسم عصر الدولة الأموية بروح التسامح، حيث استفادت الدولة من كل الخبرات الطبية الموجودة في مختلف الأقاليم المجاورة لها، بل كانت الدولة الأموية لا تجد حرجاً في استقبال أطباء من الإمبراطورية البيزنطية.

المبحث الثاني

نماذج مختارة من إسهامات الدولة الأموية في الرعاية الصحية والطبية.

لقد توجت الدولة الأموية إنجازاتها الحضارية بترك بصمات واضحة في المجال الصحي والطبي، فكان الفضل لهذه الدولة بتحويل الرعاية الصحية والطبية من عمل فردي إلى عمل مؤسسي من خلال تأسيس البيمارستانات، وما ارتبط بها من بحوث ودراسات، إذ تعتبر البيمارستانات مؤسسات علمية على غرار كليات الطب أو مستشفياتها التعليمية اليوم، فقد كانت الدروس تعقد بها تحت إشراف أطباء أكفاء متخصصين (٣٧٥).

حيث كانت تتلقى الدعم المادي والمعنوي من قبل حكام وولاة الدولة الأموية، وتقسم هذه البيمارستانات إلى عمومية لإيواء المرضى على اختلاف أمراضهم ونزعاتهم، وأخرى خاصة للأمراض العقلية، وثالثة للأمراض السارية، وكان بعضها ثابتاً يقدم خدماته في الحواضر، وكان بعضها الآخر متحركاً يقدم خدماته إلى الأماكن النائية من خلال انتقال الأطباء إلى تلك المناطق لمعالجة من لا يستطيع الوصول إلى الحواضر. (٣٧٦)

ويعد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (ت: ٩٦هـ/ ٧١٤م) الرائد في بناء البيمارستانات (٣٧٧)، وجعلها من ضمن أولويات الدولة الأموية، وكان أول من ابتنى مستشفى نمطياً، بحسب متطلبات العلاج والراحة للمرضى، على الرغم من أن معاوية بن أبي سفيان

(٣٧٥) النبراوي، فتحية، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص٢٢٨، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، دار الفكر العربي، القاهرة.

(٣٧٦) عمر، الفاضل عبيد، الطب عبر القرون، ص٦٠، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، دار الشواف، الرياض.

(٣٧٧) تعريف كلمة البيمارستان: لفظة فارسية تتألف من مقطعين "بيمار" أي مريض أو عليل، "وستان" مكان أو دار، انظر: الموني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ص١٩٣.

(رضي الله عنه) كانت له محاولات جادة في هذا المضمار إلا أنها لم تصل إلى مستوى عمل الوليد المؤسسي. [٣٧٨]

وسيحاول هذا المبحث تتبع أبرز البيمارستانات الأموية، من خلال تسليط الضوء على وظائفها، وأقسامها، والدور الذي كانت تقوم به.

نماذج مختارة من البيمارستانات الأموية.

أ- بيمارستان دمشق الصغير[*].

يعد أقدم بيمارستان عرفته الدولة الأموية بدمشق، وتنسب عمارته إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)، وكان مكانه تحت المئذنة الغربية في الجامع الأموي، والمعلومات عن هذا البيمارستان الصغير قليلة جداً، و لم يشهد له المؤرخون المتأخرون أثراً [٣٧٩]، ويبدو أنه كان على نمط ما كان موجوداً في عهد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) حين خصص حيزاً في مسجده لمعالجة المرضى و لم يصل إلى مستوى البيمارستانات بمفهومها الخاص.

ب – دار مال الله في مكة.

المعلومات المتوافرة عن هذه الدار التي ابتاعها معاوية (رضي الله عنه) من رباع بني عامر ابن لؤي [٣٨٠] وخصصها لايواء المرضى، ولا توجد إشارات أخرى عن دور أو مصحات

---

(٣٧٨) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص١٦١.

(*) **بيمارستان دمشق الصغير**: ترى الباحثة أن هذا ربما لا يعتبر بيمارستاناً بالمسمى الحقيقي، حيث لا توجد أقسام مختصة لكافة الأمراض في هذا البيمارستان، وإنما من الممكن أن يكون عبارة عن عيادة أو مستوصف صغير بالمصطلح الحديث به أدوات طبية بسيطة، وفيه طبيب يقوم بعلاج كافة الحالات في زمن الدولة الأموية في عهد الدولة الأموية، وهو ما نسميه في الوقت الحالي (طبيباً عاماً).

(٣٨٠) المرجع نفسه، ص١٦١.

(٣٨٠) الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس أبو عبد الله (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: الدكتور عبد الملك عبد الله دهيش، ص٢٨٩، ج٣، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، دار خضر، بيروت. وينظر:الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، أخبار مكة وما جاء فيها=

أقامها معاوية (رضي الله عنه) في المدن الأخرى، إلا أنه من المتوقع أن تكون تلك المصحات منتشرة في الحواضر الكبرى.

أما إنشاء البيمارستانات النظامية، فقد ظهرت في زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٧م)، حيث كان الوليد محباً للبناء والعمارة (ويعد من أفضل خلفاء بني أمية، لكثرة فتوحاته وإنجازاته الحضارية) [٣٨١]، ولقد بنى الوليد بيمارستان بدمشق [٣٨٢]، حيث أفرده للمجذومين وأمر بحبسهم، لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم الأرزاق [٣٨٣]، وأمر الناس بعدم مخالطتهم؛ حتى لا تنتشر العدوى بين الناس، وهذا ما نسميه بالمصطلح الحديث (الحجر الصحي)، وقد حرص الوليد بن عبد الملك على تزويد هذه البيمارستانات بالأطباء المتخصصين في علاج المجذومين، حيث ذكرت بعض المصادر وصفات خاصة لعلاج هذا المرض (الجذام): " ... حيث كان يدق الكرنب ويخلط به شيء من زاج الأساكفة [٣٨٤]، وشيء من خلّ، فأوجف [٣٨٥] ذلك بالخطمي [٣٨٦]، ثم طلي به برص أو جربٌ نفع بإذن الله تعالى" [٣٨٧].

وهذه الوصفة كانت معروفة منذ أقدم الأزمان، فالخل كما هو معروف مادة مطهرة، ونبات الخطمي من النباتات التي تستخدم للعلاجات، وتساعد على إزالة مرض الجذام من صاحبه، لقد بنى الوليد بن عبد الملك العديد من البيمارستانات في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، وأكثرها في بلاد الشام، ويبدو أن التركيز على بناء البيمارستانات في بلاد الشام

=من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ص٢٧٣، ج٢، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار الأندلس للنشر، بيروت.

(٣٨١) البلاذري، أنساب الأشراف، ص٤٢، ج٣؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص٣٩٤، ج٤.

(٣٨٢) القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، ص٣٤٦، ج٣ ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

(٣٨٣) الكتاني، التراتيب الإدارية، ص٤٥٤، ج١.

(٣٨٤) الأساكفة: مفرد إسكاف، والإسكاف عند العرب كل صانع يعمل في الخفاف، أي صانع الأحذية، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص١٥٧، ج٩.

(٣٨٥) أوجف بمعنى حركه، المصدر نفسه، ص٣٥٢، ج٩.

(٣٨٦) الخطمي: ضرب من النبات يغسل به، وفي الصحاح: يغسل به الرأس، المصدر نفسه، ص١٨٨، ج١٢.

(٣٨٧) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص٣٧٢، ج١.

يعود ربما لعدة أسباب منها: كان الوليد بن عبد الملك يفخر بكثرة الحمامات في دمشق، فكان يقول لأهلها: "يا أهل دمشق! إنكم تفخرون على الناس بأربع: بهوائكم، ومائكم، وفاكهتكم، وحماماتكم ... " (٣٨٨).

وربما أن مقولة الوليد بن عبد الملك قد حددت مواصفات البيئة الصحية المثالية التي يتوافر فيها طيب الهواء والغذاء ونقاء الماء والمرافق الصحية، وهي مواصفات تحرص عليها الدول المتقدمة اليوم، وقد أثنى الرحالة على بيئة دمشق الصحية، فقال القزويني: "وهي كثيرة المياه، نضرة الأشجار، ... كلها بساتين وقصور، تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها، ومياهها خارجة من تلك الجبال، وتمتد في الغوطة عدة أنهر ... " (٣٨٩)

ولعل كثرة حمامات دمشق تعد معلماً بارزاً من معالم الحرص على النظافة والوقاية من الأمراض فقد كان: " ... يقصدها أرباب العاهات، من المجذومين والمجروبين والمفلوجين، فيتعالجون بالاستحمام بمائها، فتزول عنهم أوصابهم" (٣٩٠)، بالإضافة إلى تلك المواصفات الصحية فقد تميزت دمشق بكثرة فواكهها وأشجارها وورودها، فقد وصفها الإدريسي بقوله:"... ومدينة دمشق من أجل بلاد الشام، وأحسنها مكاناً، وأعدلها هواءً، وأطيبها ثرى، وأكثرها مياهاً، وأغزرها فواكه ... " (٣٩١)، وربما تلك الأسباب جعلت الوليد بن عبد الملك يكثر من إنشاء البيمارستانات في مدينة دمشق خاصة.

---

(٣٨٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص١٤٩؛ فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص٥٨،ج١، د.ط.ت، ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص٣٢، ج٦؛ الدمشقي، عبد القادر بن محمد النعيمي (ت: ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ص٢٩٤، ج٢، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣٨٩) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٩٢، ج١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص٢١٩، ج٤.

(٣٩٠) ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي (ت: ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، د.ت، ج١، ص٨٣؛ الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحمودي الحسني (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٣٦٤، ج١، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، عالم الكتب، بيروت.

(٣٩١) الإدريسي، المصدر السابق، ص٣٦٦.

ج – البيمارستان المتنقل.

بلغ حرص الدولة الأموية على توفير الرعاية الصحية والطبية لرعاياها، أنها أمرت بتوفير بيمارستانات متنقلة ترافق القوافل في حلها وترحالها، وتقدّم الدعم الصحي للمواكب المتوجهة إلى بيت الله الحرام (في موسم الحج)، فتجهز بمواد الإسعافات الأولية وما يحتاجه المرضى، حيث كانت تودع في صناديق خاصة بها، وكانت البيمارستانات المتنقلة تدعم بما تحتاجه من الأطباء والممرضين الذين يشرفون على صحة المسافرين، ويعالجون من يحتاج إسعافاً، كما كان الخلفاء الأمويون يحرصون على صحبة الأطباء معهم أثناء أدائهم لفريضة الحج، ويكلفون الأطباء بمصاحبة أمير الحج [٣٩٢]، فعندما خرج يزيد بن معاوية -على سبيل المثال- على رأس قافلة الحج في عام (٥٠هـ)، كلف معاوية الطبيب أبا الحكم الدمشقي بمرافقة يزيد أثناء زيارته للحرمين الشريفين، حيث كان أبو الحكم الدمشقي:" طبيباً نصرانياً عالماً بأنواع العلاج والأدوية ... " [٣٩٣].

د – البيمارستانات العسكرية.

وهي البيمارستانات التي ترافق الجيوش في حلها وترحالها في حالتي الحرب والسلام، يكون فيها فريق من الأطباء، والممرضين، والصيادلة، والغلمان، وكل ما يلزم مرضى الحروب من وسائل الراحة، والاعتناء بهم عناية فائقة، [٣٩٤].

وكان خلفاء وولاة بني أمية يأمرون بتزويد الجيوش الإسلامية خلال الحروب، بالصيادلة، والأطباء، والعقاقير، وكل ما يحتاجونه من آلات وأدوات طبية [٣٩٥]، فمثلاً كان الوالي على العراق

(٣٩٢) طراوة، حجازي حسن علي، مظاهر الاهتمام بالحج والحرمين الشريفين في العصر الأموي، ص٤١٧، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٢م، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

(٣٩٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص١٧٥، ج١ ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرين، ص٧٩، ج١٣، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تتم النفقة على هذا النوع من البيمارستانات من قبل المحسنين وأهل الخير، ومن هنا جاءت تسميته أيضاً بيمارستانات السبيل.

(٣٩٤) الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٢٠-٢٢١.

(٣٩٥) عبد الرحيم، عبد الحسين مهدي، دراسات في تاريخ العراق وحضارته (الجيش والسلاح)، ص١٨٠، ج٣، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، جامعة بغداد، العراق.

الحجاج بن يوسف الثقفي (ت: ٩٥هـ/٧١٤م) [٣٩٦] أول من استحدث أسرة الإسعاف للجرحى، وهو يعرف بالمحمل [٣٩٧]، والمحمل هو الهودج الكبير الحجاجي [٣٩٨]، وهو للحجاج بن يوسف الثقفي، ومن ضمن توجيهات الحجاج بن يوسف الثقفي الصحية والطبية للجند أنه أمرهم بنقع القطن المحلوج [٣٩٩]، فنقع في الخل ثم جفف في الظل، فقال: (إذا صرتم إلى السند، فإن الخل بها ضيق (أي قليل)، فانقعوا هذا القطن في الماء، ثم اطبخوا به واصطبغوا) [٤٠٠].

وهذه من معالم العناية الصحية والطبية بالجند المقاتلين في عهد الدولة الأموية، حيث إن الحجاج بن يوسف الثقفي جهز هذا الجيش، بقيادة محمد بن القاسم الثقفي (ت: ٩٥هـ/٧١٤م)، المتوجه إلى بلاد السند، وكان عمر محمد بن القاسم ستة أو سبعة عشر عاماً، فأدرك الحجاج صغر سن محمد الثقفي، وليس لديه الخبرة الكافية في علاج جرحى الجيش والعناية بهم، فأمده بمادة الخل التي تعد من المعقمات الصحية والطبية، فضلاً عن كونها مادة أساسية في الطبخ آنذاك.

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يتحرى قبل إرسال أي جيش من جيوشه لفتح مناطق جديدة أن تتوافر فيها الأقوات والمياه؛ لأن ذلك له آثار على صحة الجيش، ومن ثم يؤثر على عطائه في القتال، فكان يسأل أهل الخبرة عن المناطق الجغرافية البعيدة، وكان هؤلاء الخبراء

---

(٣٩٦) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، أمير العراق، أبو محمد، ولد سنة أربعين، أو إحدى وأربعين، وكان فصيحاً بليغاً، توفي سنة خمسة وتسعين للهجرة في شهر رمضان، المكي، قوت القلوب، ص٢٩٣، ج٣.

(٣٩٧) الحراني، أبو عروبة الحسين بن أبي معشر محمد بن مودود (٣١٨هـ/ ٩٣٠م)، كتاب الأوائل، تحقيق: مشعل ابن باني الجبرين المطيري، ص١٧٠، ج١، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار ابن حزم، بيروت؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ص٣٣٩، ج١، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

(٣٩٨) الزمخشري، أساس البلاغة، ص١٤٢، ج١.

(٣٩٩) المحلوج: حلج: الحلج، حلج القطن بالمحلاج على المحلج، حلج القطن يحلجه ويحلجه حلجاً: ندفه، وتأتي بمعنى المفتت أو المنثور، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص٢٣٩، ج٢.

(٤٠٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٢٤، ج١.

يقدمون تقاريرهم باختصار مفيد، فعلى سبيل المثال: سأل الحجاج الغضبان الشيباني عن منطقة كرمان، ووردت في بعض المصادر مكران.

وهي موجودة في بلاد السند، فقال الغضبان: " ... أرض ماؤها وشل [٤٠١]، وتمرها دقل [٤٠٢]، ولصها بطل، والجيش فيها ضعاف، إن كثروا بها جاعوا، وإن قلوا بها ضاعوا..."[٤٠٣]. وقد تكررت تلك الرواية في عهد الفاروق (رضي الله عنه).

وفي عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ومن الملاحظ أن التقرير تضمن نوعية التمر الموجود في تلك المناطق، وأنه من أسوأ أنواع التمور (وتمرها دقل)؛ لأن التمر كان من السلع الإستراتيجية عند الجيوش الإسلامية؛ لأنه غذاء متكامل وغني بالسعرات الحرارية التي تزود

---

(٤٠١) وشل: الوشل، بالتحريك: الماء القليل، يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً، لا يتصل قطره، وقيل: لا يكون ذلك إلا من أعلى الجبل، وقيل: هو ماء يخرج من بين الصخر قليلاً قليلاً، والجمع أوشال، ابن منظور، المصدر نفسه، ص٧٢٥،ج١١.

(٤٠٢) دقل: الدقل من التمر: معروف، قيل: هو أردأ أنواعه، لسان العرب، ص٢٤٦، ج١١.

(٤٠٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص٦٥، ج٤٨ ؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ص٢٤٧، ج٦؛ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت: ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، ص٦٢١، ج٢، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، دار القلم، بيروت.

ذكرت هذه الرواية في كتاب مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح (ت: ٢٦٦هـ)، في ج٢، ص٤١٦، ٤١٧، وفي عيون الأخبار، لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: من يخبرنا عن قنديل، فقالوا له: "يا أمير المؤمنين، ماؤها وشل، وتمرها دقل،..."، ثم تكررت هذه الرواية على لسان العصفري (ت: ٢٤٠هـ) في كتابه تاريخ خليفة بن خياط، ص١٨٠، ج١؛ وذكرت عند البلاذري (ت: ٢٧٩)، فتوح البلدان، ص٤٢٠، ج١؛ وأيضاً في معجم البلدان، لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ص١٨٠، ج٥، أن الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، سأل حبلة العبدي عن منطقة مكران. وتكررت هذه الرواية في العصر الأموي، ويستنتج من تكرار تلك الرواية في عدد من المصادر، سواء ذكرت في العصر الراشدي أو الأموي، أن الخلفاء والولاة في العصرين الراشدي والأموي، كانوا يستشيرون الخبراء قبل توجيه الجيوش الإسلامية لتلك المناطق البعيدة، وذلك لمعرفة أوضاع تلك البلاد من الناحية الصحية.

الأبدان بالطاقة، وهو الطعام الرئيسي للجيوش الإسلامية، حيث إن الأسودين (الماء والتمر) يغنيان المقاتل عن تناول طعام آخر في الظروف الاستثنائية [٤٠٤].

وهناك من شبّه التمر بأقرص الفيتامينات التي تتناولها الجيوش المعاصرة وتغنيها عن تناول الطعام في الظروف الاستثنائية [٤٠٥]؛ لهذا نجد أن بعض خلفاء وولاة بني أمية كانوا يكثرون من السؤال عن فوائد التمور، فمثلاً سأل الخليفة القائد مسلمة بن عبد الملك عن التمر بقوله: "يا مسلمة، أترى لو أن رجلاً أكل هذا (يقصد التمر)، ثم شرب عليه من الماء، أكان يجزيه إلى الليل؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، كان كافيه دون هذا؛ حتى لا يبالي أن لا يذوق طعاماً غيره" [٤٠٦].

ويبدو أن المرأة كانت من العناصر الفاعلة في المستشفيات العسكرية؛ إذ تشير المصادر إلى أن دورها الرائد في هذا المجال لم ينقطع منذ عهد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، حين كانت تصحب الجيوش تداوي الجرحى، وتعد الطعام الصحي للجنود والجرحى، وتساهم في رفع الروح المعنوية للجيش، وهكذ كانت في العصر الأموي تأسو الجرحى، وتشد العظام، وتعمل على حياطة الدم دون التريف، بالإضافة إلى حملهن اللفائف والجبائر لعلاج جرحى الحروب. [٤٠٧]

وكل ذلك ضمن الضوابط الشرعية وفي حدود الضرورة [٤٠٨]، حيث تشير بعض المصادر إلى استئجار عبد الله بن الزبير [٤٠٩] عجوزاً لتمرضه، "فكانت تغمز [٤١٠] رجله،

---

(٤٠٤) الجدي، أحمد محمود، دور المرأة الجهادي في الإسلام "من البعثة النبوية حتى هاية الدولة الأموية" (١-١٣٢هـ/ ٦١١-٧٥٠م)، غزة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٤٣.

(٤٠٥) الجدي، المرجع السابق ، ص١٤٣-١٤٤.

(٤٠٦) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١٣٨، وانظر: أيضاً: المروزي، أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، الورع، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، ص١٠٨، ج١، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الصميعي، الرياض.

(٤٠٧) الجدي، دور المرأة الجهادي في الإسلام، ص١٤٥.

(٤٠٨) القاري، مرقاة المفاتيح، ص٤٤٨، ج٧.

(٤٠٩) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب (ت: ٢-٧٣هـ/ ٦٢٣-٦٩٢م)، كنيته أبو بكر، وهو أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين المدينة، قتله الحجاج بن يوسف يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة في المسجد سنة ثنتين وسبعين، وقد قيل: أول سنة ثلاثة وسبعين، ابن حبان البستي، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي (ت: ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ص٢١٢، ج٣، ط١، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، دار الفكر، دمشق.

(٤١٠) الغمز: العصر باليد، والكبس باليد، ابن منظور، لسان العرب، ص٣٨٩، ج٥.

وتفلي رأسه ... " [٤١١] وفي أثناء ثورة عبد الله بن الزبير (رضي الله عنه) تشير المصادر إلى أن خياماً كانت تنصب في معسكر ابن الزبير، وفي معسكر الحجاج في الأماكن المخصصة للصلاة لمعالجة الجرحى وتقديم الطعام للجوعى. [٤١٢]

- **وصف البيمارستانات في العصر الأموي.**

لم تمدنا المصادر بمعلومات مباشرة عن وصف البيمارستانات في العصر الأموي، ولكن يمكن من خلال تأمل بعض المصادر إيجاد بعض الإشارات المتناثرة فيها، حيث تعطي للباحثة تصوراً عن صور وأقسام تلك البيمارستانات، وما يقدم فيها من خدمات للمرضى، فيبدو أنه كان ينقسم إلى قسمين: قسم للرجال وآخر للنساء، وكل قسم منهما فيه قاعات للأمراض المختلفة، مفصولة عن بعضها، قاعة للكحالة، وأخرى للجراحة، وثالثة للتجبير، وأخرى للأمراض الباطنية.

وتجهز كل قاعة بالأثاث الذي يريح المرضى: من سرر، وفرش، وطراريح، ولحف، ومخدات، وملاءات، فيكون لكل مريض سرير خاص به، وعليه من الفرش ما يؤمن راحته، وفي بعض البيمارستانات تكون الفرش من الكتان، والصوف، والحرير، متقنة الصنع، جميلة المنظر، وكانت تقدم للمريض عند دخوله البيمارستان ملابس خاصة تتصف بالنظافة، وكان يشرف الخدم على نظافتها وغسلها إذا اتسخت، وكانت تتصف قاعات

---

(٤١١) الزيلعي، عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي (٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م)، نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق: محمد يوسف البنوري، ص٢٤٠، ج٤، ط١، د.ط، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، دار الحديث، مصر.

(٤١٢) الفاكهي، أخبار مكة، ص٣٥٥، ج٢ ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ص٢٣٠، ج٢٨؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ص١٩٦، ج٤.

البيمارستان بالسعة وهناك من يتعهدها بالنظافة، وقد يتخللها الماء الذي كان ينساب إليها، أو يتدفق من نافورات، تحف بها حدائق فيها الأشجار والرياحين والأزهار. (413)

ويبدو أن هذا الوصف الذي وصلنا بالتفصيل عن البيمارستانات المتأخرة لا يختلف كثيراً عن البيمارستانات في هذه الحقبة، أما بالنسبة للمصابين بالأمراض العقلية فكانت لهم قاعات خاصة، بعضها للرجال وبعضها للنساء، يشرف عليهم أطباء للمعالجة ويرعاهم المشرفون والخدم، يؤمنون راحتهم ويدبرون أمورهم ومعاشهم (414).

وتعدُّ **الصيدلية** من أهم أركان البيمارستان، حيث يوجد فيها أنواع الأدوية والعقاقير التي يحتاجها المرضى للمعالجة، ويشرف عليها طبيب مختص بعلم الأدوية، وكانت الصيدليات تخضع لمراقبة من قبل المحتسب، وكان الخلفاء والولاة في العصر الأموي يشددون على الأطباء والصيادلة والبياطرة الحرص على حفظ أرواح البشر، وحتى الحيوانات، وإذا تسبب أحد في وفاة إنسان أو حيوان، سوف تقع عليه أشد العقوبات (415)

أما **المخزن** المتصل بالبيمارستان، فهو لخزن الأثاث والآنية والطعام وما يحتاجه المرضى في تدبير أمورهم، وقد يكون فيه ما يكفي لمن في البيمارستان لسنة واحدة يشرف عليه ناظر، ويعمل بين يديه خازن وعمال، وعلى الخازن أن يشرف على ما في المخزن، وما يصرفه منه لحاجة المرضى، كما يسعى إلى إكمال ما ينقص منه، وللمخزن مبلغ معين مما أوقف للبيمارستان، وفي البيمارستان حمام للرجال وآخر للنساء، وهما للمرضى ولمن يعمل في البيمارستان (416).

---

(413) الوقاد: محاسن محمد علي، الطب في بلاد الشام زمن الخلافة الأموية، المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام، ص23، 24، ط1، 1430هـ/ 2009م، جامعة دمشق، سوريا.

(414) البلوي، سلامة محمد الهرفي، رعاية الفئات الخاصة، ص70، ط1، 1424هـ/ 2003م، مكتبة الصحابة، الشارقة.

(415) الوقاد، الطب في بلاد الشام زمن الخلافة الأموية، ص23-24.

(416) المرجع السابق، ص23.

ويتولى نظافة حمام الرجال عامل النظافة، وتتولى نظافة حمام النساء عاملة النظافة، ولا نغفل المطبخ التابع للبيمارستان الذي يطبخ فيه ما يقدم للمرضى، وللمطبخ مشرفون يراقبون عمال المطبخ، ونظافتهم، ونظافة الآنية والقدور، وما يتبعها من آنية الطبخ والتقديم، وكمية الطعام الذي يقدم إلى المرضى، بحيث يكون مطابقاً لما قرره الطبيب [٤١٧].

– الاهتمام بنظافة البيئة في العصر الأموي.

من المعلوم أن نظافة البيئة تعد مظهراً من مظاهر رقي الأمم، ومعلماً من معالم نضج الوعي الصحي عند هذه الأمة أو تلك، وكما تقدم فإن الإسلام أحدث انقلاباً في المجال الصحي، حيث جعل النظافة ركيزة من ركائز أداء العبادات، فتعددت النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة التي تدعو إلى النظافة، واستمر الخلفاء والولاة على مر فترات تاريخنا في جعل ذلك من ضمن أولوياتهم، ويمكن للمتتبع لإجراءات خلفاء وولاة بني أمية في دعم قيم المحافظة على البيئة حصرها بالآتي:

١ – إحياء الأرض الموات: بما أن التشجير والزراعة على العموم تساهم مساهمة فاعلة في مكافحة التلوث، ناهيك عن مد الطبيعة بحلة جميلة، تريح النفس وتبعث البهجة والسرور إلى جانب توفير الغذاء، كان حكام الدولة الإسلامية منذ عهد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يحرصون على إحياء الأرض الموات، حيث تابع الخلفاء والولاة الأمويون الاهتمام بالزراعة، فشجعوا الفلاحين على إحياء الأرض الموات، فكانوا يقطعون الفلاحين الأراضي ليستصلحوها[٤١٨]؛ مما ترتب عليه زيادة مساحة الأراضي الزراعية في العراق في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)، حيث كانت البطائح هي مشكلة العراق الدائمة؛ إذ كان

---

(٤١٧) الوقاد، الطب في بلاد الشام، ص٢٤.

(٤١٨) الظاهري، حوعان راشد سعيد، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي (٤٠-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)، ص٤٧، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، كلية الآداب، قسم التاريخ جامعة القاهرة، القاهرة.

نهر دجلة يتفرع عند مصبه إلى نهيرات متشعبة، وكانت هذه النهيرات قليلة العمق تفيض المياه على الجانبين، وتغرق الأراضي الزراعية [٤١٩].

فأمر الخليفة معاوية (رضي الله عنه) عامله في العراق بمكافحة ذلك، فاستخرج له من البطائح أراضي كثيرة، كما سمح ولاة معاوية لأهل العراق بإحياء الأرض الموات، فمثلاً زياد بن أبيه:" ... كان يقطع الرجل القطيعة ويدعه سنتين فإن عمرها وإلا أخذها منه ... "[٤٢٠]، وقام الحجاج بن يوسف الثقفي بتجفيف المستنقعات في جنوبي العراق، وأمر الفلاحين الذين غادروا قراهم بالعودة إليها، كما منع ذبح الثيران لاستخدامها في حراثة الأرض. [٤٢١]

وكان عمر بن عبد العزيز قد أعلن للأمة بأن:" من أحيا أرضاً ميتة ببنيان أو حرث، ما لم تكن من أموال قوم ابتاعوها من أموالهم أو أحيوا بعضاً وتركوا بعضاً، فأجاز للقوم إحياءهم الذي أحيوا ببنيان أو حرث "[٤٢٢]، ويفهم من هذا النص، أن عمر بن عبد العزيز قصد بكلمة البنيان أو الحرث، عن طريق شق الأنهار، أو إنشاء عيون، أو حفر بئر، لتوصيل هذه المياه إلى الأراضي الموات، وزراعتها وتعميرها.

٢ – توفير المياه: وبما أن الماء عنصر مهم من العناصر الأساسية للحياة وخصوصاً للنظافة، فقد حرص خلفاء وولاة بني أمية على حفر الترع والأنهار وتعميرها، فقد قام يزيد بن معاوية بشق الأنهار، وحسن من وسائل شرب المياه، حيث نراه يجري ذلك النهر العظيم في إحدى قرى الغوطة بدمشق، فقد وصفه الإصطخري بقوله:" نهر عظيم أجراه يزيد بن معاوية، يعرض في كثير ثم يستنبط منه نهر المزة، ونهر القنوات، ... ، وعليه قنطرة في وسط مدينة دمشق، لا يعبره

(٤١٩) حماش، نجدة، الإدارة في العصر الأموي، ص٢٤٦، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار الفكر، دمشق.

(٤٢٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٥٦، ج١.

(٤٢١) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ص٣١٠، ج٤، ط١، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، دار صادر، بيروت.

(٤٢٢) ابن سلام، الأموال، ص٣٦٩، ج١؛ ابن زنجويه، الأموال، ص٤٠٠، ج٢.

الراكب غزارة وكثرة، فيفضي إلى قرى الغوطة، ويجري الماء في عامة دورهم وسككهم وحماماتهم ... "[٤٢٣].

واهتمت الدولة الأموية بعملية كري الأنهار الكبيرة؛ أي تنظيفها من الأوساخ الكثيفة التي تعيق جريان الماء[٤٢٤]، فمثلاً في عهد سليمان بن عبد الملك قل الماء في عصره، حتى لم يبق في نهر بردا إلا شيء يسير، فشكا الناس له من قلة الماء، فوجه سليمان بن عبد الملك:" ... مولاه عبيدة بن أسلم إلى أصل الماء العين ليكريها[٤٢٥]، فدخلوا ليكروها فبينما هم كذلك إذا هم بباب حديد مشبك يخرج الماء من كوى فيه يسمعون داخلها صوت اضطراب السمك فيها فكتبوا بذلك إلى سليمان فأمرهم أن لا يحركوا شيئاً وأن يكروا بين يديها"[٤٢٦].

ويدل هذا على اهتمام وحرص الخليفة سليمان بن عبد الملك بنظافة مياه الأنهار؛ لأن عدم نظافتها يؤدي إلى ركودها، وبعدها تنتشر الحشرات والهوام بها، فتكون ملوثة، فتنتشر الأوبئة بالجو، ومن المحتمل أن من الناس من يضطر إلى شرب هذه المياه الضارة، بسبب قلة المياه في المنطقة، فتؤثر على صحته، وتنتشر بعض الأمراض الخطيرة بين الناس في عصره، ففطن سليمان لذلك الأمر، واعتبر أن الاهتمام بنظافة الأنهار ونظافة مياه الشرب وتوفيرها للناس من مسؤولياته الأساسية.

٣ – نظافة الطرقات والبيوت: وكانت الدولة الأموية تحرص على توعية الناس بأهمية نظافة الطرقات وإماطة الأذى عنها ونظافة البيوت، لورود نصوص في هذا الأمر من القرآن والسنة، حيث نهى المصطفى (صلى الله عليه وسلم) عن: "ترك القمامة في الحجرة، فإنها مجلس

---

(٤٢٣) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، المسالك والممالك، ص٢٤، ج١، د.ط.ت.

(٤٢٤) الظاهري، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، ص٨١.

(٤٢٥) كري: كرى النهر كريا: استحدث حفره، ابن منظور، لسان العرب، ص٢٢١، ج١٥.

(٤٢٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ص٣٧٤، ج٢.

الشيطان"(٤٢٧)، فمثلاً نجد أن الوالي زياد بن أبيه كان يهتم بنظافة المدينة، ويعتبر الأفراد مسؤولين عن نظافة بيوتهم، ويعاقب من يهمل ذلك (٤٢٨)، وكان يأخذ صاحب كل دار بعد المطر إذا أضحت، برفع ما بين يدي فنائه من الطين، فمن لم يفعل أمر بذلك الطين فألقي في حجلته (أي بيته)، ويأخذ الناس بتنظيف طرقهم من القذر والكناسات، ثم إنه اشترى عبيداً ووكلهم به فكانوا ينحونه (٤٢٩).

ومن الأوامر التي أصدرها زياد بن أبيه للمحافظة على نظافة وطهارة البيئة: أنه كان يمنع إقامة الحمامات إلا في المواضع التي لا تضر بأحد (٤٣٠)، وهذا الأمر الذي أصدره زياد يدل على أنه كان يحاول أن يبني الحمامات في أماكن بعيدة عن المدينة، لحماية سكان المدينة من المياه الملوثة (التي تخرج من تلك الحمامات)؛ لمنع انتشار الأمراض، كما أنه يوجد في كل حمام من هذه الحمامات بيت النار أو مستوقد، وينتج عنه من ملوثات للجو من مخلفات الاحتراق؛ لذا نجده يأمر بإنشاء الحمامات في أماكن بعيدة؛ حتى لا تسبب الضرر لأي أحد، وهذا تصديق لقول المصطفى عليه الصلاة والسلام (لا ضرر ولا ضرار) (٤٣١).

٤ – نشر الوعي الصحي: وقد اهتم ولاة بني أمية بنشر الثقافة الصحية بين الناس وتوعيتهم بخطورة الأمراض، فكانوا يأمرون بتعليق نشرات صحية في الأماكن التي تكثر بها العامة وبخاصة المساجد، وتحذيرهم من مخاطر تلك الأوبئة، فقد قام زياد بن أبيه بتعليق صحيفة في المسجد الأعظم

---

(٤٢٧) الأزدي، معمر بن راشد (ت: ١٥١هـ/ ٧٦٨م)، الجامع، تحقيق: حبيب الله الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج١١، ص٣٢، وانظر: الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ج١١، ص٣٢.

(٤٢٨) الصلابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، مج١، ص٣١٣.

(٤٢٩) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص١٥٩.

(٤٣٠) المصدر السابق نفسه، ج٢، ص١٥٥.

(٤٣١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ص٧٨٤، ج٢.

كتب فيها عن (داء الكلب) (*) (٤٣٢)، ويدل قيام زياد بن أبيه بهذا الأمر، على قيامه بتحذير الناس من هذا المرض الخطير من خلال اتخاذ الإجراءات الصحية والطبية تجنباً لإصابتهم بهذا الداء.

كما أصدر بعض ولاة بني أمية بعض القوانين الصارمة على الأشخاص الذين يتسببون في تلويث البيئة، فقد أصدر الحجاج بن يوسف الثقفي أوامره بمنع التبول في الأماكن العامة، لمنع انتشار الأمراض والأوبئة، وعاقب كل من خالفها بالحبس؛ إذ قام الحجاج بحبس أعرابي لمدة سبع سنين؛ لأنه بال في أصل ربض (٤٣٣) واسط (٤٣٤)، وهذا العمل الذي قام به الحجاج يدل على حرصه على عدم نشر النجاسات في الطرقات لما لها من آثار سلبية على حياة الإنسان، والحيوان، والبيئة.

وعندما فكر الحجاج بن يوسف الثقفي في بناء مدينة واسط، شكل هيئة من الأطباء لارتياد الموضع، ويلاحظ هنا إناطة اختيار موضع مدينته بأطباء، حيث قام الأطباء بجولة ما بين عين التمر عند مدينة كربلاء إلى قرب البصرة، فوقع اختيارهم على موضع واسط، وذهب بنفسه ليراها، فاستطاب ليلها واستعذب أنهارها، واستمرأ طعامها وشرابها.

(*) داء الكلب: مرض مُعد يقضي على الخلايا العصبية لجزء من الدماغ، وغالباً ما يسبب الوفاة. يمكن أن تصيب عدوى المرض البشر وكل الحيوانات ذات الدم الحار، الحيوانات التي يصيبها هذا المرض غالباً ما ينتابها الهياج، وتهاجم أي شيء أو حيوان في طريقها؛ لأن من أعراض داء الكلب العجز عن ابتلاع الماء؛ لذا فإن هذا المرض يطلق عليه في بعض الأحيان اسم هيدروفوبيا أو رهاب الماء، لمزيد عن هذا الداء انظر: موسوعة الجياش، http:// mosoa.aljayyash.com.

(٤٣٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ص١٢ ج٢، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار الجيل، بيروت.

(٤٣٣) ربض: من ربض بالمكان يربض، إذا لصق به وأقام ملازماً له، ومن قال يربض الرهط فهو من أراض الوادي، والربض: ما ولي الأرض من بطن البعير وغيره، ابن منظور، لسان العرب، ص١٥١، ج٧.

(٤٣٤) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، الأوائل للعسكري، ص١٠٣، ج١، د.ط.ت.

وقد حرص الحجاج على المحافظة على بيئة واسط من خلال الحرص على شق الأنهار وزراعة الأشجار [٤٣٥]، وقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي على درجة عالية من الثقافة البيئية، فكان على علم ودراية بالمواصفات البيئية لكل المناطق التي تخضع لسلطانه، فكان إذا أرسل والياً إلى إقليم من الأقاليم أو مدينة من المدن، وصف له بيئة تلك المدينة، وما تتمتع به من خصائص بيئية نظيفة وصحية قابلة للسكن والعيش بها، فعلى سبيل المثال عندما أرسل أحد ولاته إلى أصفهان* قال له: "قد وليتك بلدة حجرها الكحل، وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران"[٤٣٦])، ولا يخفى ما للكحل والعسل والزعفران من فوائد طبية عظيمة.

– نظافة أماكن العبادة.

عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أعرابياً يبول في المسجد فقال: (دعوه)، حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه عليه [٤٣٧]، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد) [٤٣٨]، وعن أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كانت تَقُمُّ الْمَسْجِدَ، فَفَقَدَهَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلَ عنها بَعْدَ أَيَّامٍ، فَقِيلَ له إِنَّهَا مَاتَتْ، قال: (فَهَلَّا آذَنْتُمُونِي؟)، فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عليها.[٤٣٩]

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: أَمَرَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ في الدُّورِ وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ. [٤٤٠]، انطلاقاً من هذه الأحاديث النبوية الشريفة، والقاعدة الصحية

---

(٤٣٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص٣٤٨، ج٥.

(*) وقد تغنى بعض الشعراء بنظافة وروعة مناخ أصفهان وطعامها وشرابها فقال أحدهم واصفاً جمال وطبيعة هذا البلد:

وَنَسِيمِ الصَّبَا وَمُنْخَرَقِ الرِّيِّ وَجَوٌّ صافٍ على كُلِّ حالِ
ولَها الزَّعْفَرَانُ والعَسَلُ الماذِيّ والصَّافِنَاتُ تَحْتَ الجِلاَلِ

(٤٣٦) الزبيدي، تاج العروس، ص٣٣٥، ج١.

انظر: الزبيدي، المصدر السابق، ص٤٧٦، ج١٧.

(٤٣٧) البخاري، صحيح البخاري، ص٨٩، ج١،

(٤٣٨) الترمذي، سنن الترمذي، ص١٧٨، ج٥.

(٤٣٩) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ص٤٨٩، ج١.

(٤٤٠) أبو داود، سنن أبو داود، ص١٢٤، ج١.

التي تدعو لبناء المساجد والاهتمام بنظافتها، وإزالة القمامة منها، اهتم خلفاء بني أمية بنظافة وتطهير بيوت الله (المساجد)، وكثفوا جهودهم لهذا العمل الجليل، لما فيه من أجر وثواب، فقد كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) من أوائل خلفاء الدولة الأموية ممن خصص عبيداً لخدمة الكعبة والسهر على نظافتها(٤٤١).

فقد كانوا يقومون بكنس المسجد وتنظيفه وتطييبه، وقد سار بقية الخلفاء الأمويين من بعده على هذا النهج، وعندما بنى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة الشريفة عام (٧٢هـ/ ٦٩١م) وضع غلماناً وسدنة وخداماً لهذا المسجد، حيث كانوا يقومون بكنس أوساخ المسجد في المواسم والشتاء والصيف، وكنس المطاهر (٤٤٢) التي حول المسجد، وكنس حصر المسجد، وكنس القناة التي يجري فيه الماء إلى الصهاريج، وكنس الصهاريج أيضاً. (٤٤٣)

إلى جانب الحرص على بخره بالطيب، والمسك، والعنبر، وماء الورد، والزعفران، جعل في القبة العود القمارى المغلف بالمسك، وكانوا إذا أطلقوا البخور شم من مسافة بعيدة، وكان إذا رجع الرجل من بيت المقدس إلى بلاده، توجد منه رائحة المسك والطيب والبخور أياماً، ويعرف أنه قد أقبل من بيت المقدس وأنه دخل الصخرة. (٤٤٤)

– بعض الأمثلة من توجيهات خلفاء وولاة الدولة الأموية بشأن آداب الطعام.

كانت هناك لبعض خلفاء وولاة الدولة الأموية توجيهات وإرشادات للناس في عصرهم، في كيفية تناول الطعام بطريقة صحيحة، فمثلاً ذكرت بعض المصادر" ... أن رجلاً دخل بابن معه، فجلسا على سماط معاوية، فجعل ولده يأكل أكلاً ذريعاً، فجعل معاوية يلاحظه، وجعل

---

(٤٤١) ابن رجب: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي الدمشقي (ت: ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله، ص٥٣٦، ج٢، ط٢ ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م، دار ابن الجوزي، السعودية.

(٤٤٢) المطاهر: والمطهرة بفتح الميم وكسرها الإداوة والفتح أعلى والجمع المطاهر، الرازي، مختار الصحاح، ص١٦٧، ج١.

(٤٤٣) الحنبلي، مجير الدين العليمي (ت: ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، ص٢٨١، مج١، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، مكتبة دنديس، عمان.

(٤٤٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ص٢٨٠، ج٨.

أبوه يريد أن ينهاه عن ذلك، فلا يفطن، فلما خرجا ... ، فقال له معاوية: أين ابنك التلقامة[٤٤٥] ؟، قال: اشتكى (أي اعتل)، قال: قد علمت أن أكله سيورثه داء "[٤٤٦].

ومن مظاهر عناية الخليفة معاوية (رضي الله عنه) بتوفير الطعام الصحي والمفيد، أنه بنى داراً تسمى" دار المراجل: وُضع فيها الطباخون، حتى يقدموا الطعام الصحي والنظيف للحجيج، وأيضاً للصائمين في شهر رمضان المبارك "[٤٤٧]، ولعل هناك من كان يراقب الطباخين في العصر الأموي، ويتأكدون من صحة نظافة الوجبات التي تقدم للحجيج والصائمين في العصر الأموي، وكان الشخص الذي يتولى الإشراف على مراقبة الأطعمة والأشربة يسمى (بمراقب السوق) حيث يأمر الطباخين:" بتغطية أوانيهم، وحفظها من الذباب وهوام الأرض (أي الحشرات) ... "[٤٤٨].

وأيضاً كان معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) حريصاً على تناول الأطعمة المفيدة، إذ كان يستشير طبيبه الخاص بالطعام الذي يفيد بدنه، حيث يحكى أنه حج في إحدى السنوات، فمر على المدينة المنورة، فأتاه أحد الأعراب فقال له:" أسألك بالحق الذي كان بين أبي سفيان وبين أبي إلا نزلت عندي، فأتاه، فلما حضر الغداء، جاء الطبيب، فجعل يقول: كل ذا ودع ذا ... ، فقال: طيبات جمعن من شتى وأكل "[٤٤٩].

---

(٤٤٥) التلقامة: رجل تلقام وتلقامة: كبير اللقم، وفي المحكم: عظيم اللقم، وتلقامة من المثل التي لم يذكرها صاحب الكتاب، ابن منظور، لسان العرب، ص١٢، ص٥٤، ج٣.

(٤٤٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ص١٤١، ج٨ ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ص٢٦٥، ج٣؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص٣١٣، ج٦ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص٢٩٧.

(٤٤٧) الأزرقي، أخبار مكة، ص٢٣٧، ج٢ ؛ الفاكهي، أخبار مكة، ص٢٨٧، ج٣.

(٤٤٨) الشيزري، نهاية الرتبة، ص٣٤.

(٤٤٩) البلاذري، أنساب الأشراف، ص٨١، ج٢؛ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد (ت: ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، أساس البلاغة، ص ٣٢٠، ج١، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار الفكر، دمشق.

كما أن الحجاج بن يوسف الثقفي سأل جلساءه ذات مرة:" ما أذهب الأشياء للإعياء؟ فقال بعضهم: أكل التمر، ... "[٤٥٠]، ولعل فوائد التمر وما يحتويه من قيمة غذائية مازالت الدراسات الحديثة تكشف يوماً بعد يوم عظم أهميتها وتعدد منافعها للإنسان.

وأيضاً كان للحجاج نصائح وإرشادات بشأن نظافة وطهارة الأبدان، حيث يروى أنه حج في إحدى السنوات، وطلب من حاجبه أن يذهب ويأتيه بأي شخص ليتغدى معه، فوجد الحاجب أحد الأعراب نائماً، فقال له: قم وأجب الأمير، فقال له الحجاج:" اغسل يديك، وتغدى معي، ... "[٤٥١]، وتدل هذه الحادثة على حرص الحجاج بن يوسف الثقفي على نشر الوعي الصحي السليم وتعليم آداب الطعام للأعرابي، ومنها: نظافة اليد وغسلها قبل تناول الطعام.

– الرعاية الصحية والطبية للسجناء.

من منطلق أن كرامة الإنسان مكفولة بنص القرآن والسنة في كل الأحوال والظروف، فقد التفتت الحضارة الإسلامية إلى حراسة حقوق السجناء ممن فقدوا حريتهم لسبب من الأسباب، وغدوا لا حول لهم ولا قوة وراء القضبان، لتمتد يد العطف والحنان لتخفف عنهم ثقل تقييد الحرية، ليخرجوا بعد انقضاء مدة العقوبة وهم أسوياء النفوس يحبون مجتمعهم الذي لم ينساهم أثناء سجنهم، على الرغم مما ارتكبوه من أخطاء واعتداء على نظم هذا المجتمع وتمردوا على قوانينه[٤٥٢].

ولقد اهتمت الدولة الأموية برعاية السجناء من الناحية النفسية والطبية، من خلال تقديم الطعام والشراب، والفراش النظيف لهم، وتقديم كسوة الصيف والشتاء لكل سجين، فقد أجرى الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) الطعام والشراب لكل سجين؛ إذ إنه سار على نهج

---

(٤٥٠) البلاذري، أنساب الأشراف، ص٣٠٧، ج٤؛ ابن قتيبة، عيوان الأخبار، ص٣٦٩، ج١ .

(٤٥١) ابن كثير، البداية والنهاية، ص١٢٢، ج٩ ؛ الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد القاضي المالكي (ت: ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)، المجالسة وجواهر العلم، ص٢٨، ج١، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، دار ابن حزم، بيروت.

(٤٥٢) البلوي، رعاية الفئات الخاصة، ص٣٧.

المصطفى (عليه الصلاة والسلام) ونهج الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) في كيفية معاملة السجناء [٤٥٣]، فقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عماله:" أن أجروا على السجناء ما يصلحهم في طعامهم، فكانوا يرزقونهم شهراً بشهر. " [٤٥٤]

كما أمر ولاته بأن يكسوا السجناء في الصيف والشتاء، وهذه سنة منذ قيام الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) [٤٥٥]، واهتمت الدولة الأموية بفراش السجين على أن يكون خاصاً به؛ حتى لا تنقل العدوى بين السجناء، وأن يكون نظيفاً، حيث بذل الخلفاء والولاة في العصر الأموي الرعاية الصحية للسجناء، وتقديم الأدوية لهم ومعالجتهم، حيث كتب عمر بن عبد العزيز لعماله:" ويعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال " [٤٥٦]، وهذا يدل على الاهتمام بالمرضى السجناء وتقديم يد العون لهم من خلال علاجهم، وتقديم الأدوية المناسبة لهم، وإدخال الأطباء عليهم؛ لأنه من المقرر منذ القدم في مهنة الطب وجوب متابعة الطبيب لأحوال مرضاه، ووصف الدواء لهم، والسؤال على تحسن أحوالهم، وهكذا يفعل بقية أيامه حتى يبرأوا (أي يشفوا) [٤٥٧].

ولم تتوانَ الدولة الأموية في توفير الأمور الضرورية للسجناء للمحافظة على صحتهم؛ إذ إنهم بذلوا لهم الماء للشراب، والوضوء والاغتسال، وكانوا يرسلون إليهم بالفحم في الشتاء إذا اشتد البرد عليهم، حيث ذكر بعض الفقهاء أنه لا يجوز منع الدفء على السجين في البرد خوفاً على تلفه؛ لأنه كمنع الطعام عنه [٤٥٨].

---

(٤٥٣) أبو غدة، حسن، أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، ص٣٤٩، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مكتبة المنار، الكويت.

(٤٥٤) أبو غدة، أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، ص٣٤٩.

(٤٥٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص٣٥٦، ج٥.

(٤٥٦) المصدر السابق والصفحة.

(٤٥٧) أبو غدة، المرجع السابق، ص٣٧٠.

(٤٥٨) المرجع السابق ، ص٣٥٣.

وحرصت الدولة الأموية على أن تكون أبنية السجون مناسبة من الناحية الصحية، فكانوا يحرصون على أن تكون واسعة جيدة التهوية، تصل أشعة الشمس إلى حجرات السجن، وإفادتها أجسام السجناء، وتمكينهم من المشي في ساحة السجن، وتوفير المرافق الصحية لهم، والمطاهر للوضوء والاغتسال، وكان المحتسب يراقب الكناسين الذين يقومون بنظافة السجون وكنسها، وتنظيف بيوت الخلاء، سواء للرجال أو للنساء، وهذا يتضح جلياً من توجيهات خلفاء بني أمية لولاتهم، وبخاصة توجيهات الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- بتعهد السجون ومن فيها؛ أي الاهتمام بالسجناء من توفير الطعام والشراب لهم، وتقديم الكسوة، والاهتمام بمرضاهم، وتنظيف السجنون التي يقطنون فيها، وهذه هي تعاليم الدين الحنيف الذي أوصى بالأسرى وكيفية معاملتهم.

واعتنى خلفاء بني أمية بالصحة النفسية للسجين، وحرصوا على أن يخرج سليم البدن والنفس، فقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى ولاته أن يتفقدوا السجناء، ويتعهدوهم ولو في كل يوم سبت [٤٥٩]، بمعنى طلب أن يعرض السجناء على المسؤولين (أي الوعاظ) في كل يوم سبت، حتى يعظوهم، ويقوموا من سلوكهم، ويقدموا لهم النصح والإرشاد، وأيضاً توصيتهم بالصلاة؛ لأنه تمنح المسلم الراحة النفسية والطمأنينة له.

- الرعاية الصحية والطبية لذوي الاحتياجات الخاصة.

لقد شهد العصر الأموي تغيراً ملحوظاً في الخدمات المقدمة إلى ذوي الاحتياجات الخاصة [٤٦٠]، فتذكر بعض المصادر أن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك يعد من أوائل خلفاء بني أمية الذين اهتموا بالزمنى، حيث قال:" لأدعن الزمِن أحب إلى أهله من الصحيح " [٤٦١]؛ إذ كان يمنح الزمنى ويعطيهم الصدقة باليد، بل يعتبر أول من أجرى الرواتب على العميان وأصحاب العاهات [٤٦٢]، وخصص لكل مقعد خادماً، ولكل ضرير قائداً [٤٦٣]، ليساهموا

---

(٤٥٩) ابن سعد، الطبقات، ص٣٥٧، ج٥.

(٤٦٠) الخطيب، رعاية الفئات الخاصة، ص٢١٠.

(٤٦١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ص٢٧٠، ج٨.

(٤٦٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص٢٩٠، ج٢.

(٤٦٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ص٤٢، ج٣.

بطاقاتهم المذخورة في خدمة الأمة من خلال دمجهم بالمجتمع، وتوفير كل الظروف التي تساعدهم على العطاء والإبداع في كافة المجالات السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، والقضاء على كل بؤر التهميش والإقصاء لأي شريحة من شرائح المجتمع.

ولم يكن هذا الإجراء مقتصراً على الخليفة الوليد بن عبد الملك في رعاية تلك الفئات الخاصة، بل كان الخليفة عمر بن عبد العزيز له مساهمة كبيرة في خدمة هؤلاء، فكان إذا كثر عنده أرقاء الخمس، فرقهم بين كل مقعدين، وبين كل زمنين غلاماً يخدمهما، ولكل أعمى غلاماً يقوده [٤٦٤]، وكان يراعى عند اختيار من يعتني بالعميان مواصفات خاصة، فيذكر أن عمر بن عبد العزيز عيّن من غلة عين كانت له قائداً لمكفوف في زمنه، وقال لخاصته:" انظروا الشيخ الجزري المكفوف الذي يغدو إلى المسجد بالأسحار، فخذوا له ثمن قائد، لا كبير فيقهره، ولا صغير فيضعف عنه "، ففعلوا [٤٦٥].

وتستلزم الإجراءات التي اتخذها الخلفاء الأمويون لرعاية الزمنى وأصحاب العاهات إحصاء أعدادهم قبل تقديم الخدمات لهم، وهذا ما فعله الخليفة عمر بن عبد العزيز، فقد كتب إلى أمصار الشام "أن ارفعوا إلي كل أعمى في الديوان، أو مقعد، أو من به فالج، أو من به زمانة تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة، فرفعوا إليه، فأمر لكل أعمى بقائد، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم" [٤٦٦]، ولم تكتفِ الدولة الأموية برعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بذلك، بل فتحت الوظائف العليا أمام المبدعين والمثقفين منهم ومن لديه خبرات في الإدارة والأمور العسكرية، فها هو على سبيل المثال: عطاء بن أبي رباح (١١٥هـ/٧٣٣م) [٤٦٧] (رحمه الله تعالى) كان موضع

---

(٤٦٤) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٥٤.

(٤٦٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ص١٨٠، ج٦٨.

(٤٦٦) ابن عساكر، المصدر السابق، ص٢١٨، ج٤٥.

(٤٦٧) أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم وقيل سالم بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري من مولدي الجند، كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، ولد سنة سبع وعشرين هجرياً، وتوفي في سنة خمس عشرة ومائة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر أبو العباس (ت: ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ص٢٦١، ج٣، ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، دار صادر، بيروت.

ثقة وتقدير الخلفاء الأمويين وتقديرهم؛ لسعة علمه على الرغم من عاهاته المتعددة، فقد كان – رحمه الله– أسود، أعور، أفطس، أعرج، ثم عمي أخيراً.[٤٦٨]

وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٨م) يأتيه هو وابناه، يسألونه عن مناسك الحج [٤٦٩]، كما كان الخلفاء الأمويون يأمرون مناديهم أن ينادي في الحج: لا يفتي بالناس إلا عطاء بن أبي رباح[٤٧٠] **وذلك** لسعة علمه، وغزارة فقهه، ويلاحظ أن الدولة الأموية قامت بالاستفادة من خبرات بعض أصحاب العاهات خلال عمليات الفتح الإسلامي، مثل المهلب بن أبي صفرة [٤٧١] حيث وضعت الدولة الأموية ثقتها بذلك القائد العظيم على الرغم من إصابته بالعور أثناء عمليات الفتح في بلاد ما وراء النهر، وذلك سنة (٥٥هـ/ ٦٧٥م)، فقد حفظ له الخلفاء الأمويون مكانته العسكرية، وبلاءه الحسن في القتال، وخصوصاً في قتال الخوارج الأزارقة [*]، فتم تعيينه والياً على خراسان سنة سبع وستين، فأبلى بلاءً حسناً في فتح بلاد ما وراء النهر [**] وتثبيت الحكم الأموي فيها.

(٤٦٨) الصفدي، أبو الصفا صلاح الدين خليل بن عز الدين أيبك بن عبد الله الألبكي (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، الشعور بالعور، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق حسين، ص١٧٠، ج١، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار عمان، الأردن.

(٤٦٩) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، صفة الصفوة، تحقيق: محمد فاخوري وآخرين، ص٢١٢، ج٢، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار المعرفة، بيروت.

(٤٧٠) الفاكهي، أخبار مكة، ص٢٤٧، ج٢.

(٤٧١) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، ولد المهلب عام فتح مكة، وولي لبني أمية ولايات، مات بمرو سنة ٨٢هـ/ ٧٠١م، انظر: الصفدي، الشعور بالعور، ص٢٢٢، ٢٢٣.

(*) الأزارقة الخوارج: الأزارقة هم أعظم الخوارج غلواً وأبعدهم عن السنة، وقد ظهر الأزارقة بعد المحكمة الأولى وهم أصحاب النهروان، وترأسهم نافع بن الأزرق الذي هو شيخهم وإمامهم، وهو الذي عرف بسؤالاته لابن عباس عندما كان يسأل ابن عباس ويجيبه، ولا يقبل، ويجادل، انظر: موقع الشيخ الدكتور: سفر الحوالي www.alhawali.com

(**) بلاد ما وراء النهر: هي تركستان ولها ولاية واسعة وقرى كالمدن كثيرة، وهي من الإقليم الخامس، طولها ٩٨درجة وعرضها ٣٩ درجة، وكانت أعمر بلاد الله وأنزهها وأوسعها خصباً وشجراً، ومياهاً جارية، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص١٧٩، ج١.

– الرعاية الصحية والطبية للحيوان.

من المتعارف عليه أن الرفق في الإسلام له مكانة عظيمة، ومترلة عالية رفيعة، كما أن الإسلام يتميز عن غيره من الشرائع في نظرته إلى الحيوان نظرة عادلة متوازنة، والتعامل معه كما ينبغي، دون إفراط ولا تفريط، ذلك أنها نظرة تعتمد على وحي السماء، وتنبع من التصور الإسلامي الحق، وللكون، والإنسان، والحيوان [٤٧٢] وجاءت النصوص الشرعية من القرآن الكريم تدعو للرفق والإحسان لتلك الدواب؛ لأن الدين الإسلامي دين الرحمة والمودة، قال تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [٤٧٣] وجاءت في السنة النبوية أحاديث شريفة تبين أن الرفق صفة من صفات رب العزة تليق بجلاله سبحانه، وأنه يحب الرفق في كل الأمور، ويعطي من الخير والثواب عليه عطاء عظيماً، قال المصطفى (عليه الصلاة والسلام) مخاطباً عائشة (رضي الله عنها): "إن الله رفيق يحب الرفق ... " [٤٧٤].

وتشير بعض المصادر إلى أن هناك العديد من الوصايا للخلفاء الأمويين تدعو للرفق بالحيوانات، فقد كان الخليفة عمر بن عبد العزيز يوصي بالرفق بهذه الحيوانات، بعدم إرهاقها، وتحميلها فوق طاقتها، ومنها أنه قد كتب إلى صاحب السكك: أن لا يحملوا أحداً بلجام ثقيل، ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة، كما كتب إلى واليه على مصر: (إنه بلغني أن بمصر إبلاً نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرف أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل) [٤٧٥].

ومن المعلوم أيضاً أن البياطرة كانوا يصحبون الجيوش الأموية الفاتحة، وكان المحتسب يراقب أصحاب الحيوانات ويعاقب من قصر في علوفتها أو علاجها أو حملها ما لا تطيق، أما بالنسبة لمعرفة طرائق علاج الحيوانات في العصر الأموي، فهناك بعض الإشارات المتناثرة في ثنايا

---

(٤٧٢) آل طه، فرح بن طه فرح، الرفق بالحيوان في الإسلام، ص٢٩، ط٣، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الأوائل للطباعة والنشر، عمان.

(٤٧٣) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٤٧٤) البخاري، صحيح البخاري، ر ٢٥٣٩، ج٦.

(٤٧٥) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١٤١.

المصادر تشير إلى بعض البياطرة المختصين في علاج الحيوانات، كل حسب اختصاصه، وقد اعتبر العلماء أن العناية بصحة الخيل مثل العناية بصحة الإنسان في الأهمية، قال حاجي خليفة: "علم (**البيطرة**): (الذي يبحث فيه عن أحوال الخيل، من جهة ما يصح ويمرض، أو تحفظ صحته ويزال مرضه، وهذا في الخيل بمترلة الطب في الإنسان، وموضوعه وغايته ظاهرة، ومنفعته عظيمة؛ لأن الجهاد والحج لا يقوم ولا يقوى صاحبه إلا به ...).

كما أن هناك من تخصص في الرعاية الصحية للطيور بمختلف أنواعها، وبخاصة الجوارح منها، فقد ظهر علم (**البيزرة**)، (وهو علم يبحث فيه عن أحوال الجوارح، من حيث حفظ صحتها، وإزالة مرضها، ومعرفة العلامات الدالة على قوتها في الصيد، وضعفها فيه، وموضوعه وغايته ظاهرة، وكتاب القانون الواضح كافٍ في هذا العلم، كذا في مفتاح السعادة)[٤٧٦].

مما تقدم نخلص إلى أن الدولة الأموية اهتمت بالرعاية الصحية والطبية، سواء بإنشاء البيمارستانات المختلفة والمتنوعة بخدماتها الطبية والصحية، أو من خلال تقديم النصائح والإرشادات البيئية والصحية للرعية، أو من خلال إحياء الأرض الموات وزراعتها، وشق الأنهار، وحفر الترع، وحرصها على نظافة المساجد، وتطييبها بأحسن البخور والطيب، ومعاقبة من يتسبب في تلويث البيئة.

ناهيك عن الرعاية الصحية للسجناء، والحرص على توافر الشروط الصحية للسجون، إلى جانب الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة، واهتمام الدولة الأموية برعاية الحيوانات صحياً وطبياً، من خلال توفير الخدمات العلاجية لها، وتقديم الطعام لها، ناهيك عن منع ظلمها وإرهاقها بما لا تطيق، وهكذا نجد أن الدولة الأموية نجحت في تطبيق شمولية الرعاية الصحية والطبية في هذه الفترة المبكرة من تاريخنا.

(٤٧٦) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص٢٦٥، ج١.

المبحث الثالث

أبرز أطباء وطبيبات العصر الأموي.

إن المعلومات التي وصلت إلينا عن أطباء العصر الأموي قليلة وموجزة في بعض المصادر وفي بعضها غموض؛ لذا نجد عدد الأطباء الذين اشتهروا آنذاك قليلاً جداً بالنسبة إلى اتساع أقطار الدولة الأموية التي امتدت من حدود الصين شرقاً إلى شواطئ بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) غرباً، فنحن نسمع فقط عن بضعة أطباء في العاصمة دمشق وواحد في الكوفة وواحد في البصرة وآخر في أنطاكية، بما لا يتناسب مع عراقة تلك الأقاليم العلمية [٤٧٧].

إلا أنه من الملاحظ أن معظم الأطباء الذين اشتهروا في العصر الأموي كانوا من النصارى، وكان غالبيتهم من الرومان الذين حفظوا تراث اليونان فيما بعد، ولعل هذا عائد إلى تمكن هؤلاء النصارى من اللغة اليونانية واختلاطهم بأطباء سورية الأروام، والذين سبقوا المسلمين في النهل من العلوم الطبية والطبيعية التي خلفها أسلافهم الإغريق، والمعلوم أن الكتب اليونانية لم تكن قد ترجمت إلى اللغة العربية، وهذا يعني أن الأطباء في دمشق امتهنوا الصنعة على أيدي أطباء الروم مباشرة، أو أنهم قرأوا كتب الطب التي صنفها الأطباء البيزنطيون المتأخرون، أو لعلهم أيضاً درسوا الطب في مدرسة جنديسابور أو حلقات الرهبان في الأديرة [٤٧٨].

ومن أبرز أطباء وطبيبات العصر الأموي:

١ – خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٩٠هـ/٧٠٩م) .

كان أبو هشام خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، قد بويع بالخلافة بعد موت أبيه يزيد بن معاوية، وبعد ثلاثة أشهر من توليه الخلافة تخلى عنها وانصرف إلى العلوم، فاشتغل بالعلوم الطبية وبالكيمياء، وبعد أن نبغ وأتقن تلك العلوم وبخاصة الطب، ألف فيها أبحاثاً

(٤٧٧) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ص١٣٠.

(٤٧٨) المرجع السابق، ص١٣١.

ورسائل، وقد سمي عالم قريش وحكيم آل مروان، وتعلم الطب والكيمياء من مريانوس الطبيب الرومي، الذي كان يعيش في منطقة صفد شمال فلسطين. (٤٧٩)

٢ – ابن أثال (٤٦هـ/٦٦٦م) .

من أشهر أطباء دمشق النصارى المقربين للخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)، فقد كسب هذا الطبيب ثقة الخليفة الأموي، لبراعته بالطب والصيدلة، فقد كان خبيراً بالأدوية المركبة والمفردة، وعلم السموم. (٤٨٠)

٣ – أبو الحكم الدمشقي (٢١٠هـ/٨٢٥م) .

كان طبيباً نصرانياً عالماً بأنواع العلاج والأدوية، وله أعمال مذكورة ووصفات مشهورة، وكان يستطبه معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)، وقد عمر هذا الطبيب طويلاً حتى تجاوز المائة سنة (٤٨١)، وحدث أن يزيد بن معاوية ولي موسم من مواسم الحج سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، فقام معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) بإرسال أبي الحكم الدمشقي مع ابنه يزيد بن معاوية، وأيضاً خرج أبو الحكم الدمشقي مع عبدالصمد بن علي بن عبد الله بن العباس إلى مكة متطبباً له (٤٨٢).

---

(٤٧٩) السعيد، عبد الله عبد الرزاق مسعود، من رواد الطب عند المسلمين والعرب في القرن الأول الهجري وفي الأردن وفلسطين، الأردن، مكتبة الأقصى، ط١، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م، ص٤٨-٤٩، سبق التعريف بمنجزاته في المبحث الأول من الفصل الثالث، ص١٥٢.

يقال: إن خالد بن يزيد كان يحاضر ويدرس في مسجد قبة الصخرة وكان الذي يستمع إليه عمر بن عبد العزيز، هذه المعلومة من مقالة (المستشفيات في فلسطين حتى بداية العصر العثماني)، اللبدي، عبد العزيز، من موقع الطبي، www.altibbi.com

(٤٨٠) الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ص٥٣.

(٤٨١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٨، ج١.

(٤٨٢) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ص١٣٨.

٤ – حكم الدمشقي.

هو ابن الحكم الطبيب السابق الذكر، له معرفة واسعة بالأعمال الطبية والمداواة، وقد كان مقيماً في مدينة دمشق، يمارس صناعة الطب بتشجيع من الخلفاء الأمويين، حتى أصبح بارعاً في الطب، وبارعاً في علاج الجروح، وإيقاف النزيف [٤٨٣]، ويقال إنه عمر طويلاً وتوفي في زمن الدولة العباسية وكان قد تجاوز مائة وخمسين سنة، لم يتغير عقله ولم ينقص علمه [٤٨٤].

٥ – تياذوق (٩٠هـ/٧٠٩م).

كان طبيباً فاضلاً، وله نوادر وألفاظ مستحسنة في صناعة الطب، وكان من أوائل أطباء خلفاء بني أمية، ومشهوراً عندهم بالطب، صحب الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان يعتمد عليه، ويثق بمداواته [٤٨٥]، حيث كان يقدم له النصح والإرشاد في شؤون حياته، لكي يحافظ على صحته، وكان ينصحه بألا يشرب الدواء من غير علة، ولا يأكل الفاكهة إلا في أوان نضجها، وأن يجيد مضغ الطعام، وإذا أكل في النهار يستطيع النوم، إما إذا أكل ليلاً فلا بد أن يمشي ولو خمسين خطوة، وكان يوصيه بألا يأكل حتى يجوع، وألاّ يحبس البول [٤٨٦]، ويذكر أن الحجاج سأل جلساءه يوماً، وكان من ضمن الحاضرين تياذوق: أي الأشياء تذهب الإعياء؟ فقال بعضهم: أكل التمر، وقال آخرون: التمريخ (أي التدليك بالمصطلح الحديث)، وقال تياذوق: قضاء الحاجة، فقال الحجاج: صدقت [٤٨٧]، وقد ترك هذا الطبيب كناشاً كبيراً ألفه لابنه وهو كتاب (أبدال الأدوية، وكيفية دقها، وإبقائها، وإذابتها، وشيء من تفسير أسماء الأدوية)، وقد توفي هذا الطبيب سنة تسعين للهجرة بواسط [٤٨٨].

---

(٤٨٣) الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ص٥٤.

(٤٨٤) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص٢٩–٣٠، ج١، (يبدو أن هناك مبالغة في العمر الذي وصل إليه).

(٤٨٥) المصدر السابق ، ص٣٢، ج١.

(٤٨٦) الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ص٥٥.

(٤٨٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ص٣٠٧، ج٤.

(٤٨٨) الهوني، المرجع السابق، ص٥٦.

٦ – ماسرجويه (٢٤٣هـ/٨٥٧م) (ويعرف أيضاً بيحيى بن ماسرجويه السوري) .

طبيب بصري كان يهودياً من أصل فارسي، عاش في زمن عمر بن عبد العزيز، وربما قيل اسمه ماسرجيس، وكان عالماً بالطب، تولى لعمر بن عبد العزيز ترجمة كتاب أهرن أو أقرن القس في الطب، وهو كناش من أفضل الكنانيش القديمة، حيث أمر عمر بن عبد العزيز ماسرجويه بترجمته إلى العربية، حتى ينتفع منه المشتغلون بالطب [٤٨٩].

٧ – الطبيب عبد الملك بن أبجر الكناني (٢١٣هـ/٨٢٨م) .

كان طبيباً، عالماً، ماهراً، وكان في أول أمره مقيماً في الإسكندرية؛ لأنه كان المتولي في التدريس بها، ثم إن المسلمين لما فتحوا البلاد وملكوا الإسكندرية، أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز، وكان حينئذ أميراً قبل أن تصل إليه الخلافة وصحبه، فلما أفضت الخلافة إلى عمر؛ وذلك في سنة تسع وتسعين للهجرة، نقل التدريس إلى أنطاكية وحران، وتفرق في البلاد، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر، ويعتمد عليه في صناعة الطب [٤٩٠]، ومن أقوال ابن أبجر ونصائحه الطبية:" دع الدواء ما احتمل بدنك الداء "، وهذا من أقوال النبي عليه الصلاة والسلام:" سر بدائك ما حملك "، وأيضاً من أقواله:" البطنة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعودوا كل بدن ما اعتاد "، والشطر الأول من حكمته هذه قالها الطبيب الحارث بن كلدة الثقفي من قبل [٤٩١].

٨ – فرات بن شحناتا (١٦٨هـ/٧٨٥م) .

ومن أطباء ذلك العصر الأموي فرات بن شحناتا وقيل (شحناثا)، وهو يهودي ومن أبرز تلاميذ تياذوق وأقربهم، أتقن المهنة على أستاذه، وخدم بعد وفاته الحجاج بن يوسف الثقفي، وعاش حتى خلافة أبي جعفر المنصور [٤٩٢].

---

(٤٨٩) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص١٤٣-١٤٤.

(٤٩٠) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٢٤.

(٤٩١) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ص١٥١.

(٤٩٢) المرجع السابق والصفحة.

٩ – زينب طبيبة بني أود.

كانت عارفة بالأعمال الطبية، خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات، مشهورة بين العرب بذلك، قال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني: (أتيت امرأة من بني أود، كحلت شخصاً قد أصابه من رمد، فكحلته ثم قالت: اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك، فاضجع الشخص المصاب). [٤٩٣]

١٠ – خرقاء العامرية: اشتهرت بطب العيون، فقد عالجت عيون الشاعر ذي الرمة [٤٩٤].

(٤٩٣) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج١، ص٣٥.

(٤٩٤) الدبوه جي، سعيد، الموجز في الطب الإسلامي، ص٣٣، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.



شكل يوضح انتشار بعض المدارس الطبية في العصر الأموي (٤٩٥)

(٤٩٥) الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ص٣٢٤.

الخاتمة

وختاماً فإن هذه الدراسة المتواضعة، قد أبرزت حجم الإسهامات التي قدمها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء في العصرين الراشدي والأموي تجاه الرعاية الصحية والطبية؛ مما ترتب عليه ازدهار الطب وزيادة عدد الأطباء في تلك الحقبة التاريخية، ويمكن الخروج بالنتائج الآتية، وهي:

١ – أن الإسلام أحدث انقلاباً في الفكر الطبي والصحي في العالم، فنقله من الشعوذة والأسطورة والسحر إلى العلم والتجربة؛ مما ساهم في تقدم الطب خطوات واسعة في فترة الدراسة.

٢ – أن المتأمل لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بشأن الصحة والطب يجد أنها وضعت الركائز السليمة والصحيحة للرعاية الصحية والطبية الشمولية.

٣ – أرسى المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بأقواله وأفعاله قواعد الرعاية الصحية والطبية التي قام عليها تقدم الطب في الحضارة الإسلامية، ومن أبرز تلك القواعد:

- أن العلم قبل العمل.
- الدعوة إلى الاعتدال في الطعام، والإشارة لأهمية بعض الأطعمة النافعة للأبدان.
- الدعوة إلى النظافة وربطها بالعبادة.
- أهمية الصيام وفوائده الصحية.
- التشجيع على ممارسة كافة الرياضات.
- الاهتمام بالصحة النفسية.
- الرعاية الشمولية لكل فئات المجتمع بغض النظر عن اللون، أو الجنس، أو العمر، أو الدين، أو الحالة الصحية.

- أن هناك أمراضاً مشتركة بين الإنسان والحيوان يجب الحذر منها.

٤ – أن الخلفاء والأمراء في فترة الدراسة قدموا نصائح ثمينة في المجالات الصحية والطبية، كان لها الأثر الكبير في تقدم الرعاية الصحية والطبية في الدولة الإسلامية.

٥ – أن الاهتمام بالوضع الصحي للجنود ودوابهم قد شغل حيزاً كبيراً من اهتمامات الخلافة الراشدة؛ وذلك لانشغال الخلافة بالفتوحات وانتشار الجنود في أقاليم متعددة، ولعل من أبرز مظاهر هذا الاهتمام:

- الحرص على عدم إرهاق الجنود في السير لمسافات طويلة.
- تقديم الأطعمة الصحية والمفيدة لهم.
- تزويد الجيوش الإسلامية بالأطباء، والممرضين، والآسيات، والمسعفين، والصيادلة والبياطرة، والعقاقير الطبية.
- الاهتمام بالجانب النفسي للجنود.

٦ – الاستفادة من خبرات أطباء أهل الذمّة في علاج المرضى.

٧ – وضع عقوبات صارمة لمن يزاول مهنة الطب وهو غير مؤهل، فقد كان يقول الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):" من وضع يده من المتطببين في علاج فهو ضامن إلا أن يكون طبيباً معروفاً" [٤٩٦].

٨ – العناية بالنظافة من خلال العديد من الإجراءات والتي من أبرزها:

- التوجيهات الحكيمة من قبل خلفاء وولاة العصرين الراشدي والأموي، بتنظيف البيوت، والطرقات العامة، والمساجد.

---

(٤٩٦) القرطبي: عبد الملك بن الحبيب الإلبيري (ت: ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) مختصر في الطب العلاج بالأغذية والأعشاب في المغرب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، ص٣٠، ج١، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

- إبراز أهمية النظافة والعناية بها من خلال توجيهات الخلفاء والولاة في العصرين الراشدي والأموي.

٩ – بلغ علم الطب درجة عالية من التقدم في العصر الأموي، ومن مظاهر ذلك التطور:

- ترجمة الكتب الطبية من اللغات القديمة إلى اللغة العربية.
- إنشاء البيمارستانات بكافة أنواعها وتخصصاتها المختلفة.
- العناية بنظافة وحماية البيئة.
- التشجيع على دراسة علم الطب؛ مما زاد من عدد الأطباء في العصر الأموي.
- وضع شروط صحية محددة عند تخطيط المدن الإسلامية.
- توعية الناس في العصر الأموي بأخطار بعض الأوبئة أو الأمراض عن طريق الإعلانات الصحية التي نشرت في المساجد والأماكن العامة.
- أن نسبة عدد الأطباء المسلمين أقل من نسبة أطباء أهل الذمّة في عصر الرسالة، بينما زادت نسبة الأطباء المسلمين قليلاً في العصر الراشدي مقارنة بأطباء أهل الذمّة في تلك الفترة، وتزايدت أعدادهم في العصر الأموي وأصبحوا متساوين مع أطباء أهل الذمة، وربما يرجع كثرة أعداد الأطباء المسلمين في الدولة الأموية نتيجة:
- تشجيع الخلفاء والولاة الأمويين لطلاب العلم على دراسة الطب.
- قيام بعض الخلفاء وولاة الدولة الأموية بترجمة العديد من الكتب الطبية إلى العربية، مستعينين بأمهر وأبرز أطباء أهل الذمّة في تلك الحقبة التاريخية.
- تقريب بعض خلفاء وولاة الدولة الأموية الأطباء إلى مجالسهم، مثل قيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) بتقريب ابن أثال عنده، والاستفادة من خبراته الطبية، وتقريب الخليفة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) الطبيب ابن أبجر الكناني في مجلسه.

- قيام بعض الخلفاء الأمويين بإنشاء العديد من البيمارستانات في مختلف أقاليم التي تحت سيطرت الدولة الأموية، ومن أبرز هؤلاء الخلفاء، الوليد بن عبد الملك حيث كان محباً للعمارة والبناء.

وفي نهاية المطاف، فإن هذه الدراسة المتواضعة تأمل أن تكون قد أدلت بدلوها في هذا الموضوع الهام، وهي تعي أن العمل البشري دائماً يعتريه النقص، فما كان فيها من الصواب فمن توفيق رب العباد، وما كان فيها من خطأ أو زلل فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

الملاحق

ملحق رقم (١)



(صورة لنبات الإذخر)

الإذخر: هو نبات عشبي معمر ذو رائحة عطرية ذكية تشبه في الغالب رائحة الورد، ساق النبات قائم يبلغ ارتفاعه من ٣٠ إلى ٦٠سم، يتميز النبات بظهور أغصان كثيرة من قاعدة النبات، أوراق النبات شريطية خشنة، ويعتبر من النباتات الصحراوية من الدرجة الأولى، يعرف نبات الإذخر بعدة أسماء في الوطن العربي وهي: صخبر بدولة الإمارات، حشيش الجمل، خلال مأموني، سنبل عربي، تبن همشة، حلفاير، حلفا مكة، طيب العرب، اصخبر، تبن مكة، سراد، وفي اليمن يعرف باسم محاح، ويحتوي الإذخر على زيوت طيارة، وأهم مركبات هذه الزيوت هي: جيرانيول المشابهة لزيت عشب الليمون، وسترال الذي يستخدم كمادة أولية في صناعة فيتامين "أ" بجانب تحويله إلى عطر الأينون، وكذلك مركب سترول. (٤٩٧)

(٤٩٧) شبكة الشفاء الإسلامية، www.ashefaa.com

ملحق رقم (٢)



صورة لنبات القسط

ذكرت مجلة التايم في صفحتها العلمية (١٩٩٩) أن القسط (**Costus**) نبات ينمو بشكل عشوائي دون زراعة في منطقة الهيمالايا الحاوية على قمة أفرست الأعلى ارتفاعاً في

العالم، ويعتبر القسط أهم ركائز الطب التبتي التقليدي، وقد كان الكهنة هناك لا يكشفون عن طبهم هذا إلا لأمثالهم ليبقى سراً بينهم إلى أن جاء زعيمهم الأخير دالاي لاما فأسس كلية الطب التبتي لتعليم أي أحد، وذلك في منطقة Dharamsala على الحدود الهندية للتيبت؛ ليحافظ على ذلك الطب من الاندثار، وبدأ الكهنة في التبت بحفظ ذلك الطب على شكل خلطات مرقمة لشركة بادما Padma السويسرية، ومنها الخلطة رقم ٢٨ لإذابة جلطة أوعية الساق وفيها خلاصات من نبات القسط؛ إذ ليس في جعبة الطب الحديث دواء ناجع لها سوى الطلب إلى المريض عدم تحريك ساقه لأسابيع حتى تذوب تلك السدادة ببطء وحتى لا تنطلق إلى الدورة الدموية فتحدث خثرة في مكان آخر [٤٩٨].



صورة لجذر القسط الهندي الذي يستعمل دواءً منذ آلاف السنين

(٤٩٨) موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، wwwquran-m.com.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا	المؤمنون	٢١	٣٨
يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ	النور	٣٥	٣٧
وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ	الصافات	١٤٦	٤١
وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	القلم	٤	٦٧
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ	عبس	٣٨،٣٩	٥٩
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ	العلق	١،٢	٣٣
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا	العاديات	١،٢	٥٤

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الخرائط

المصادر والمراجع

١ - **القرآن الكريم**

٢ - إبراهيم، فاضل خليل، خالد بن يزيد سيرته واهتماماته العلمية- دراسة في العلوم عند العرب، العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ط١، ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣ - إبراهيم، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مصر، دار الدعوة، د.ت.

٤ - ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبدالكريم الجزري الشيباني (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٥ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦ - الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحمودي الحسني (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٧ - أرناؤوط، محمد السيد، الإنسان وتلوث البيئة، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٨ - الأزدي، معمر بن راشد (ت: ١٥١هـ/ ٧٦٨م)، الجامع، تحقيق: حبيب الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩ - ابن الأزرق، القاضي محمد بن علي بن محمد الأصبحي أبو عبد الله شمس الدين الغرناطي الأندلسي المالكي (ت: ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، العراق، وزارة الإعلام، ط١، د.ت.

١٠- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، بيروت، دار الأندلس للنشر، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١١ - الأصبهاني، أبو نعيم (ت: ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، معرفة الصحابة، د.ت.

١٢ - الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، المسالك والممالك، د.ت.

١٣ - الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت: ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، بيروت، دار القلم، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٤ - ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الثقافة، ط ٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٥ - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن بردزبه (ت: ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، صحيح البخاري، تحقيق الدكتور: مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

١٦ - الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٧ - البخاري ومسلم، الجامع بين الصحيحين، ترتيب الدكتور: صالح أحمد الشامي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٨ - بدران، شوقي محمد، الشؤون الإدارية في المعارك الإسلامية، مجلة الحرس الوطني العسكرية، ع: ٢٩٦، تاريخ النشر: ١/ ١٢/ ٢٠٠٦م، من موقع نسيج، www.naseej.com.

١٩ – ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة، تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٠ – البغدادي، أبوبكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي (ت: ٢٨١هـ/ ٨٩٤م)، الشكر، تحقيق: بدر البدر، الكويت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢١ – البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت: ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١.

٢٢ – البغدادي، العلامة موفق الدين عبداللطيف (ت: ٦٢٩هـ/ ١٢٢٧م)، الطب من الكتاب والسنة، حققه الدكتور: عبدالمعطي أمين قلعجي، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٣ – البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): الشيخان أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري في أنساب الأشراف، تحقيق: د. إحسان صدقي العمد، الكويت، مؤسسة الشراع العربي، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٤ – فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٥ – أنساب الأشراف، د.ت.

٢٦ – البلوي، سلامة محمد الهرفي: رعاية الفئات الخاصة، الشارقة، مكتبة الصحابة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٧ – الطفولة في ظل الحضارة الإسلامية.

٢٨ – البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٩ – التاجوري، عبدالكريم، من هديه صلى الله عليه وسلم العلاج بالتلبينة دقيق الشعير بنخالته الإعجاز العلمي لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، القاهرة، العصر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٣٠ – التاجي: محمد بن علي بن كامل الصاحبي (ت: ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دبي، دار البشائر، د.ت.

٣١ – الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٣٢ – التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام (ت: ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)، المحن، تحقيق: الدكتور عمر سليمان العقيلي، الرياض، دار العلوم، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٣ – التيمي: أبو عبيدة معمر المثنى (ت: ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، الخيل، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، السعودية، دار نهضة مصر، ط١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

٣٤ – الجاحظ، أبو عثمان عمرو (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م):

٣٥ – الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣٦ – البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت، دار، د.ت.

٣٧ – الجدي، أحمد محمود، دور المرأة الجهادي في الإسلام "من البعثة النبوية حتى نهاية الدولة الأموية" (١-١٣٢هـ/ ٦١١-٧٥٠م)، غزة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٨ – الجراحي: إسماعيل بن محمد العجلوني (ت: ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م) كشف الخفاء ومزيل الإلباس لما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق: أحمد القلاش، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٩ – الجصاص: أحمد بن علي الرازي أبوبكر (ت: ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) أحكام القرآن للجصاص، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٠ – جمعة، أحمد خليل، نساء أهل البيت في ضوء القرآن والسنة، دمشق، دار اليمامة، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤١ – ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسّان الأندلسي (ت: ٣٨٣هـ/ ٩٩٤م)، طبقات الأطباء والحكماء تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي، ط٢، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ص١١-١٢.

٤٢ – ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م): تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤٣ – صفة الصفوة، تحقيق: محمد فاخوري وآخرين، بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٤ – العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: خليل الميس، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٥ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، دار صادر، ط١، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٤٦ – حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٤٧ – ابن حبان البستي، محمد أبو حاتم (ت: ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م): روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٤٨ - الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٤٩ - المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: إبراهيم زايد، حلب، دار الوعي، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٥٠ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٥١ - ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي أبو الفضل (ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، د.ت

٥٢ - ابن حنبل: أحمد، أبو عبد الله الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصر، مؤسسة قرطبة، د.ت.

٥٣ - الحنظلي، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه (ت: ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: د. عبدالغفور بن عبدالحق البلوشي، المدينة المنورة، مكتبة الإيمان، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١مز.

٥٤ - الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي (ت: ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ: عادل أحمد وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨م.

٥٥ - الحنبلي، مجير الدين العليمي (ت: ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبدالمجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٥٦ – الخطيب، حنيفة، الطب عند العرب، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥٧ – ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر أبو العباس (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٥٨ – ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار القلم، ط٥، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥٩ – الخطيب، منصور محمد أحمد، رعاية الفئات الخاصة وإسهاماتها في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د سلامة محمد الهرفي البلوي، جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٦٠ – حماش، نجدة، الإدارة في العصر الأموي، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٦١ – الدمشقي، عبد القادر بن محمد النعيمي (ت: ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٦٢ – الدميري: كمال الدين بن محمد بن موسى بن عيسى (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٣ – الدينوري، أبوبكر أحمد بن مروان بن محمد القاضي المالكي (ت: ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)، المجالسة وجواهر العلم، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٦٤ – الديوه جي، سعيد: الأمير خالد بن يزيد ٩٠هـ، دمشق، المطبعة الهاشمية، ط١، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

٦٥ – الموجز في الطب الإسلامي، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٦٦ – الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبوعبد الله (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج٣، ص١٨-٢٠.

٦٧ – الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م.

٦٨ – الرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت.

٦٩ – ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي الدمشقي (ت: ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله، السعودية، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م.

٧٠ – رضا، أكرم، الطب النبوي (دراسة صيدلانية حول العقاقير النبوية وكيفية الاستفادة منها)، القاهرة، دار الوفاء، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٧١ – رقيط، حمد حسن، الرعاية الصحية والرياضية في الإسلام، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٧٢ – الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

٧٣ – زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٧٤ – الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت: ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م): ربيع الأبرار، د.ت.

٧٥ – الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي وآخرين، لبنان، دار المعرفة، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٧٦ – المستقصى في أمثال العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧٧ – أساس البلاغة، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٨ – الزيلعي، عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي (٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م)، نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق: محمد يوسف البنوري، مصر، دار الحديث، ط١، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

٧٩ – سالم، مختار، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، مراجعة الشيخ: أحمد محيي الدين العجوز، بيروت، مؤسسة المعارف للنشر، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨٠ – السدوسي: أبو فيد مؤرج بن عمرو (ت: ١٩٥هـ/ ٨١١م)، حذف نسب قريش، د.ت.

٨١ – السرجاني، راغب الحنفي، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٨٢ – السرخسي، شمس الدين (ت: ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)، المبسوط، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

٨٣ – ابن سعد، محمد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د.ت.

٨٤ – ابن سعد، أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري (ت: ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، حديث أبو الفضل الزهري، د.ت.

٨٥ – السعيد، عبد الله عبد الرزاق مسعود، من رواد الطب عند المسلمين والعرب في القرن الأول الهجري وفي الأردن وفلسطين، الأردن، مكتبة الأقصى، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٨٦ – سفر الحوالي، www.alhawali.com

٨٧ – السكران، تركي بن عبد الله بن حمود، دور الوقف في رعاية المعوقين (بحث مقدم للمؤتمر الثالث للأوقاف)، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٨٨ – ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت: ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م)، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨٩ – ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.

٩٠ – السيف: عبد الله بن محمد، عام الرمادة، مجلة العصور، لندن، ع: الأول، دار المريخ للنشر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٩١ – السيوطي: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م): الباحة في السباحة، تحقيق: أحمد عبد الله باجور، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٩٢ – تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة للنشر، ط١، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

٩٣ – جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير)، د.ت.

٩٤ – ابن شبة: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت: ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م)، أخبار المدينة، تحقيق: علي محمد دندل وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٩٥ – ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي (ت: ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، د.ت.

٩٦ – الشطي، شوكت موفق، تاريخ الطب (السفر الأول)، دمشق، مطبعة الجامعة السورية، ط١، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

٩٧ – شبكة الشفاء الإسلامية، www.ashefaa.

٩٨ – ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن القاضي إبراهيم بن عثمان الكوفي المكنى بأبي بكر (ت: ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٩٩ – الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الطبري (ت: ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، بيروت، دار الثقافة، د.ت.

١٠٠ – صديق: حسن خان (ت: ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) الروضة الندية، تحقيق: علي حسين الحلبي، القاهرة، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٠١ – الصفدي، أبو الصفا صلاح الدين خليل بن عز الدين أيبك بن عبد الله الألبكي (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، الشعور بالعور، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق حسين الأردن، دار عمان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٠٢ – الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠٣ – الصلابي، علي محمد محمد،

– أبو بكر الصديق شخصيته وعصره، الأردن، مؤسسة سمير عزام للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

– الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، بيروت، دار المعرفة، ط ٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٠٤ – الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، الأمالي في آثار الصحابة، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، القاهرة، مكتبة القرآن، د.ت.

١٠٥ – مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٠٧ – الطالقاني: أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس (ت: ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، الصاحب الكافي الكفاة، تحقيق الشيخ: محمد حسن آل ياسين، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٠٨ – الطبري، أبي جعفر بن جرير (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)،

– تاريخ الرسل والملوك، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

– المنتخب من ذيل المذيل، د.ت.

١٠٩ – الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (ت: ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١١٠ – طراوة، حجازي حسن علي، مظاهر الاهتمام بالحج والحرمين الشريفين في العصر الأموي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٢م.

١١١ – الظاهري، جوعان راشد سعيد، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي (٤٠-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)، القاهرة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١١٢ – الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، جوامع السيرة، د.ت.

١١٣ – العباسي، الشيخ عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة (خطط البصرة) بغداد، شركة التايمس للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١١٤ – ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله (ت: ٢١٤هـ/ ٨٢٩م)، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، علق عليها: أحمد عبيد، دمشق، عالم الكتب، ط ٦، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١١٥ – عبد الرحمن، حكمت نجيب، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، العراق، جامعة الموصل، ط١، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م.

١١٦ – عبد الرحيم، عبد الحسين مهدي، دراسات في تاريخ العراق وحضارته (الجيش والسلاح)، العراق، جامعة بغداد، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١١٧ – ابن عبد ربه: أحمد بن محمد الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، العقد الفريد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م.

١١٨ – أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١١٩ – عثمان، محمد عبدالستار، المدينة الإسلامية، الكويت، عالم المعرفة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٢٠ – عزب، خالد، الفسطاط النشأة، الازدهار، الانحسار، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٢١ – ابن عساكر، أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، تاريخ مدينة دمشق، بيروت، دار الفكر، د.ت.

١٢٢ – العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، الأوائل للعسكري، د.ت.

١٢٣ – عكاوي، رحاب خضر، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، بيروت، دار المناهل للنشر، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٢٤ – عمر، الفاضل، عبيد، الطب عبر القرون، الرياض، دار الشواف، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٢٥ – العمري، عبد العزيز بن إبراهيم، استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين، الرياض، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٢٦ – علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٢٧ – أبو غدة، حسن، أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، الكويت، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٢٨ – فارس، معز الإسلام عزت، الغذاء والتغذية في الإسلام، من موقع تغذية.www.tagthia\islam.htm

١٢٩ – الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس أبو عبد الله (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: الدكتور عبد الملك عبد الله دهيش، بيروت، دار خضر، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٣٠ – الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ/ ٧٩١م) كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي وآخرين، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

١٣١ – الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت: ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، المعرفة والتاريخ، تحقيق: خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٣٢ – الفقي، محمد عبد القادر، مراعاة العوامل البيئية في العمارة الإسلامية، الكويت، مجلة الوعي الإسلامي، ع: ٥٣١، سنة: مارس ٢٠١٠م.

١٣٤ – فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، د.ت.

١٣٥ – الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت.

١٣٦ – القاري، علي بن سلطان محمد (ت: ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٣٧ – قاري، لطف الله، نشأة العلوم الطبيعية عند المسلمين في العصر الأموي، الرياض، دار الرفاعي، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٣٨ – ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله الدينوري (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، عيون الأخبار، د.ت.

١٣٩ – القرشي، يحيى بن آدم (ت: ٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، الخراج، باكستان، المكتبة العلمية، ط١، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م.

١٤٠ – القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الشعب.

١٤١ – القرطبي، عبد الملك بن حبيب الإلبيري (ت: ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، مختصر في الطب العلاج بالأغذية والأعشاب في المغرب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج١، ص٣٠.

١٤٢ – القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، د.ت.

١٤٣ – ابن القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق الدكتور: محمد عوني عبدالرؤوف، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٤٤ – القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٤٥ – ابن القيم الجوزية، الحافظ شمس الدين (ت: ٧٥١هـ/ ١٣٤٩م)، الطب النبوي، الشارقة، مكتبة العلا، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٤٦ – الكتاني، عبدالحي (ت: ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

١٤٧ – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، د.ت.

١٤٨ – السيرة النبوية لابن كثير، د.ت.

١٤٩ – تفسير ابن كثير، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٥٠ – الكناني، أبو الحسن بن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون (ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، الحيدة والاعتذار، د.ت.

١٥١ – اللبدي، عبد العزيز، (المستشفيات في فلسطين حتى بداية العصر العثماني)، من موقع الطبي، www.altibbi.com.

١٥٢ – ماء زمزم، www.u.a.earab.com.

١٥٣ – مقاتل الصحراء. www.moqtalel.com

١٥٤ – ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، د.ت.

١٥٥ – مالك بن أنس: أبو عبد الله الأصبحي (ت: ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي مصر، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

١٥٦ – المباركفوري: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا (ت: ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

١٥٧ – المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي الأزدي (ت: ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، التعازي والمراثي، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٥٨ – محمد، محمود الحاج قاسم، تاريخ طب الأطفال عند العرب، بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٥٩ – المدائني، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد (ت: ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٦٠ – المروزي، أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، الورع، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الرياض، دار الصميعي، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٦١ – مسجد الكوفة، www.masjed-alkufa.net.

١٦٢ – مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٥م)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.

١٦٣ – المصري، عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبو محمد (ت: ١٩٧هـ/ ٨١٢م)، الجامع في الحديث، تحقيق الدكتور: مصطفى حسن حسين أبو الخير، السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٦٤ – المقدسي: محمد بن طاهر (ت: ٥٠٧هـ/ ١١١٣م) ذخيرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، الرياض، دار السلف، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٦٥ – المكي، عبد الملك بن حسين عبد الملك الشافعي العاصمي (ت: ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٦٦ – المكي، محمد بن علي بن عطية أبي طالب الحارثي (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق الدكتور: عاصم إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٦٧ – ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م):لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٦٨ – مختصر تاريخ دمشق، د.ت.

١٦٩ – موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، wwwquran-m.com.

١٧٠ – النبراوي، فتحية، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٧١ – ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج (ت: ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، الفهرست، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٧٢ – النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (ت: ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، سنن النسائي الكبرى، تحقيق الدكتور: عبدالغفار سليمان البنداري وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٧٣ – النمري، يوسف بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، جامع بيان العلم وفضله، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٧٤ – النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٧٥ – النيسابوري: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي (ت: ٣١١هـ/ ٩٢٣م)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي للنشر، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٧٦ – النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٧٧ – النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت: ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق الشيخ: زكريا عميران، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٧٨ – الوقاد، محاسن محمد علي، الطب في بلاد الشام زمن الخلافة الأموية، المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام، سوريا، جامعة دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٧٩ – الواقدي، أبو عبد الله بن عمر واقد (ت: ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م):

١٨٠ – فتوح الشام، بيروت، دار الجيل، د.ت.

١٨١ – المغازي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٨٢ – ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (ت: ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبدالرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٨٣ – الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت: ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٨٤ – هواش، أحمد سعيد، الإعاشة والطب في التراث العربي الحربي، دمشق، مجلة التراث العربي، ع: ٧٦، السنة: ١٩، ربيع أول ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٨٥ – الهوني، فرج محمد، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر، ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٨٦ – الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، مجمع الزوائد، القاهرة، بيروت، دار الريان للتراث/ ودار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٨٧ – ياقوت الحموي، بن عبد الله أبو عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، د.ت.

١٨٨ – اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)، تاريخ اليعقوبي بيروت، دار صادر، د.ت.

١٨٩ – اليمني، الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري (ت: ٣٢٩هـ/ ٩٤١م)،

– خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، تحقيق: عبد الفتاح، دار البشائر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

– المراجع باللغة الإنجليزية:

190 - Joan Otes, BABYLON, Germany, Interdruck Leipzig, 1994

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الفصل الأول:
الرعاية الصحية والطبية في عصر الرسالة

الفصل الثالث:

الرعاية الصحية والطبية في الدولة الأموية (٤١–١٠١هـ/ ٦٦١–٧١٩م)



مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
ص.ب: 55156 ـ دبي ـ الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 2624999 4 00971 / 2625999 4 00971 فاكس: 2696950 4 00971
www.almajidcenter.org-E-mail: info@almajidcenter.org